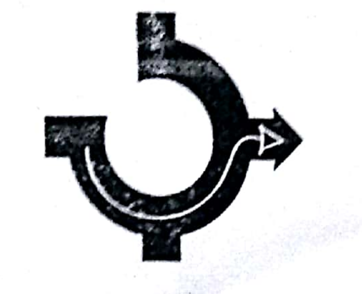
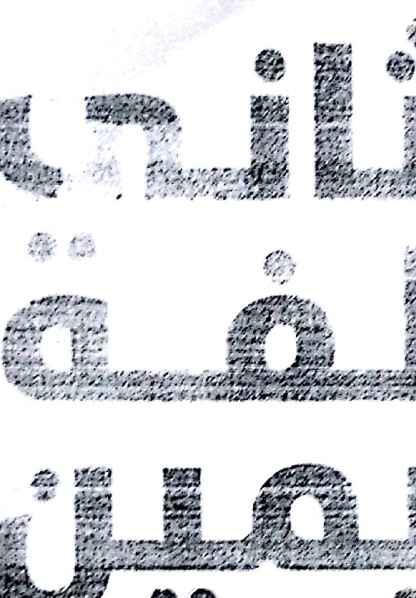
رواية
أعمال





ثاني لفة يمين



رحلةُ البحث عن مِهنتِك المناسِبة

د. أمجد الجنباز



ثاني لفة يمين

د. أمجد الجنباز

ثاني لفة يمين

إنَّ قرارَ اختيارِ التخصُّص والمهنة هو أحدُ أهمِّ وأصعب القرارات التي تواجهنا في حياتنا. وبسبب صعوبته، فقد حطَّ الرحالُ بعددٍ كبيرٍ منَّا في التخصُّص الخاطئ.

يساعد هذا الكتاب على معرفة ما إذا كانَ التخصُّصُ الحاليُّ مناسبًا لك، ثم يرشدُك بصورةٍ عمليَّةٍ وعلميَّةٍ إلى آليَّة اكتشاف التخصُّص المناسب، كما يرسمُ لك خُطَّةً عمليَّة لتصل إليه. وعلينا أن ندركَ هنا أنَّ التخصُّص الأوَّل غير المناسب هو ليسَ النهاية، بل هو "اللفَّة الأولى" في حياتك. لذا سيرشدك الكتاب إلى كيفيَّة الذهاب إلى "ثاني لفة".

هذا الكتابُ موجَّهٌ إلى مَن يرغبونَ في تعديل مهنتهم أو تغييرها، وهو أيضًا مفيد لطلَّابِ الجامعاتِ والخرِّيجين. كما يفيد طلَّاب المرحلة الثانويَّة لمساعدتهم على اختيار تخصُّصهم الأوَّل؛ إذ إنَّه يرشدهم إلى المعايير الأهمِّ في اختيار التخصُّص، وإلى كيفيَّةِ اكتشافِ ذواتهم وقدراتهم.

وحتَّى يكونَ أسلوبُ الكتابِ سهلَ التطبيق، فقد كُتِبَ بأسلوب "رواية أعمال". حيث ستعيش معه قصَّة طبيب الأسنان "د. جواد" وطالبة الإدارة "زينة"، وصراعهما مع التخصُّص الخاطئ الذي يعيشان فيه، ثمَّ ستعيش معهما طريقةَ بحثهما عن الحلِّ لاختيار التخصُّص البديل، ثمَّ رَسْم الخُطَّة للوصول إليه.

يوجدُ في نهاية الكتاب ملحقٌ يتضمَّن خلاصةَ آليَّةِ اختيارِ التخصُّص أو تغييره.

ISBN 978-9959-502-505
9789959502505
www.JAPublishers.com
@JabalAmman
JAPublishers
جبل عمّان Jabal Amman



د. أمجد الجنباز

طبيب أسنان، حاصل على شهادة البكالوريوس وشهادة الماجستير في طبِّ الأسنان، تخصُّص الاستعاضة الثابتة. في أثناء دراسةِ الماجستير، تنبَّه إلى أنَّه يسير في التخصُّص الخاطئ، وبدأ رحلة البحث عن الحلِّ البديل، فرسم خُطَّة الانتقال من هذا التخصُّص. وفي نهاية رحلته التي استمرَّتْ تسعَ سنوات في دراسة طبِّ الأسنان، و٥ سنوات في العمل فيه، قرَّر أن يتحوَّل إلى العمل في الاستشارات الإداريَّة، وذلك بعد نَيلِه شهادة الماجستير في إدارة الأعمال (MBA) من جامعة أكسفورد بروكس البريطانيَّة. من منشوراته السابقة، كتابٌ مبسَّط في ريادة الأعمال بعنوان "فكرتي صارت مشروعًا"، كما شارك في تأليفِ كتاب آخر بعنوان "كيف تنجح مبادرتك؟".

قدَّم العديدَ من الدورات في اختيار التخصُّص وريادة الأعمال، كما ألقى عدَّة كلمات، نذكرُ منها كلمته في تيدكس عن آليَّة تغيير التخصُّص.

"أحترم مَن يطبِّق ما يدعو له على نفسه أوَّلًا. وهذه هي حالُ المؤلِّف الذي ترك طبَّ الأسنان بعد أن اكتشف «تدفُّقه»، فقرَّر أن يتبَعَه. والسؤال المطروح هنا: هل كان هذا الكتابُ ليرى النورَ لو تابَعَ د. أمجد وظيفته؟".

نايف الزريق
شريك مؤسِّس، بوك تشينو- السعوديَّة

"كَوني غيَّرت مهنتي من جرّاح أسنان إلى جرّاح «أذهان»، وأخذتُ «ثاني لفة» في حياتي، فقد وجدت نفسي في هذا الكتاب. لقد عبَّر عن فكري حول أسرار متعة العمل، وإنْ كانَ خارج تخصُّصي. الكتاب قصَّةٌ ولا قصَّة في آنٍ معًا، ممَّا يُضفي عليه تحدِّيًا خاصًّا يشدُّك إلى قراءته، واستنباط ما فيه من دروس مهمَّة".

د. سهيل جوعانه
مستشار في السلوك المؤسَّسيّ والذكاء العاطفيّ- الأردن

"«لم يفُتِ الوقتُ بعدُ». هذه كلمةٌ أوجِّهُها إلى مَن يخشى الانتقال من التخصُّص إلى الهواية في مجال عمله. قد تكون هوايتك هي بداية نجاحك، ولكن قبل أن تتَّخذَ هذه الخطوة، عليك أن تكونَ متسلِّحًا بالمعرفة، وقد درست الموضوع من جميع جوانبه".

عبدالله السبع
مهتمٌّ بالتقنية- السعوديَّة

"يروي لنا د. أمجد حكايةَ كلِّ مقيَّدٍ في المهنة الخطأ. هذا الكتاب مشوِّقٌ وعمليٌّ، كما أنّه حافلٌ بدروسٍ ثمينة من تجربةٍ واقعيَّة حقيقيَّة. إذا كنتَ تسعى إلى إلهام ونصيحةٍ عمليَّة لاستِعادةِ السيطرةِ على مسارِكَ المهنيّ، فهذا الكتاب هو خيرُ معينٍ لك".

عماد سيف

محاضر ومنسِّق ريادة الأعمال في جامعة قطر- قطر

"يحاولُ هذا الكتاب أن يخبرَ المقبِل على سوق العمل أن الاختيار للمستقبل ليس حظًّا، بل هو محاولة جادَّة لإدراك أبعاد الحياة، وأبعادِنا نحن أنفسنا. وإذ يجتهد الدكتور أمجد بنقاط واضحة المعاني، فهو يتحرَّك بنا في حواريَّات تصل بنا إلى نتيجةٍ مؤدَّاها أنَّ المهنةَ الصحيحةَ لا تجيء اعتباطًا.

وأودُّ هنا أن أشكر المؤلِّفَ على جهده في الانتقال بموضوع اختيار التخصُّص من الرفوف والتنظير إلى ميدان البدء من بوَّابة النفس ليفهمَ المرءُ ذاتَه، ويُحسِنَ اختيارَ مهنتِه".

خليل الزيود

استشاري تربوي- الأردن

"كتاب رائع، قُدِّم بطريقة ذكيَّة، بعيدًا عن التقليديَّة في تقديم المعلومة بطريقة تلقين. لا غنى عنه لكلِّ طالب غير راضٍ عن تخصُّصه، أو موظَّفٍ لا يشعر بانسجام مع وظيفته. أعتقد أنّه سيلقى قَبولًا ذائعَ الصيت".

ماجدة المزروعي

مؤسِّسةُ ومُعدَّة بودكاست ورَّاق- السعوديَّة

"هذا الكتاب هو روايةٌ تعليميَّة فريدة تأخذك بأسلوب ممتع في رحلة لاكتشاف الذات؛ لأنَّ من المهمّ أن يكتشف المرءُ شغفه وقدراته، لا سيَّما في عصر الابتكار والإبداع الذي لم يترك لنا خِيارًا سوى أن نتبَعَ شغفَنا. ومَن يراهنُ على موهبتِهِ وقدراته لن يندمَ بتاتًا".

د. سامي الحوراني

طبيب ومؤسِّس موقع فرصة.كوم- الأردن

"لقد أظهر الكاتب براعة أدبيَّة في تطويع الأسلوب الروائيّ لتقديم معرفة علميَّة، ولطرح حلول عمليَّة لمعضلة اختيار التخصُّص. ويقودُنا هذا الكتاب إلى التساؤل عن مدى استمتاعنا بالعمل، وما إذا كنَّا في الطريق الصحيح نحو تحقيق طموحاتنا. وهو يقدِّم وسائلَ عدَّة تختصر الوقت والجهد في البحث عن إجابات، ويطرحها بأسلوب مبسَّط يحفِّزُنا لتجربته. لذا أنصح جدًّا بقراءته".

حياة العياشي

مستشارة وباحثة في الموارد البشرية- السعوديَّة

"إنَّ البحث عن التخصُّص المناسب والقدرة على تحديده هما أمران من أبرز الأمور التي يحتاجُ إليها الشباب في انطلاقهم نحو رسم معالم مستقبلهم. ونحن محظوظون بتلقِّي هذه الهديَّة التي يقدِّمها المؤلِّف للشباب الباحثين عن التخصُّص المناسِب، وهي إضافةٌ قيِّمة من المؤلِّف في مجال التوجيه والإرشاد والتوعية بالتخصُّص الأمثل. وستَرَون هذا لدى إبحاركم بين دفَّتَي هذا الكتاب الجميل".

م. سليمان الهويسين

مختصٌّ في تنمية القيادات الشابَّة، وتحديد مسار التخصُّص الحياتي- السعوديَّة

"كتابٌ رائع. يحتاج إليه كلُّ مَن يتطلَّع إلى تحديد مساره المهنيّ أو تغييره. وأبرزُ ما يميِّز هذا الكتاب هو الدمج ما بين البحوث والدراسات من جهة، وخبرة المؤلِّف وتجربته الشخصيَّة من جهةٍ أخرى، كما أنَّه كتابٌ يساعد المرءَ كثيرًا على اكتشاف ذاته".

محمَّد الأنصاري

شريك مؤسِّس قدرة استراتيجي- البحرين

ثاني لفة يمين

ثاني لفة يمين
المؤلف: د. أمجد الجنباز
الطبعة العربية الأولى ٢٠١٧م

جبل عمّان ناشرون
ص.ب. ٣٠٦٢، عمّان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٥٥٥٩ ٤٦٤ ٦ ٩٦٢+
فاكس: ٣٣٨٥ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+
Email: info@JApublishers.com



رقم الإيداع: ٢٠١٧/٥/٢٢٢٦
ISBN 978-9957-539-43-6

الفهرس

المقدِّمة

عزيزي القارئ، هذا الكتاب ليس روايةً أدبيَّةً، بل هو كتابٌ تعليميٌّ على شكل رواية.

يمنحك هذا الكتابُ الخطواتِ التي عليك اتِّباعها لتستكشفَ ذاتك، وتقترب أكثرَ من فهمكَ لنفسك، فتختار التخصُّص الذي يتناسب معك. ستعرفُ فيه سبب كرهِك لعملك الحاليّ، ثمَّ ستجدُ الطرقَ الصحيحةَ لتحديد التخصُّصِ الذي يتناسب معك. أُنجِزَ الكتابُ على شكل رواية؛ لكي ترى نفسك بين سطورها، أو- على الأقلّ- لتعيشَ مع أبطالها وتشعرَ بمعاناتهم، ثمَّ ترى الخطواتِ التي اتَّبعوها بصورةٍ عمليَّةٍ ليَخرُجوا من دوَّامةِ اختيار تخصُّصٍ لا يتناسب معهم.

لا أدَّعي أنَّ الكتابَ سيضمنُ لك الوصولَ إلى هدفك؛ فليس هناك كتابٌ يضمنُ لك ذلك. لكنَّ هذا الكتابَ سيعملُ على إعدادكَ للرِّحلةِ الاستكشافيَّةِ التي عليك أن تخوضها وحدَك وهو يقودك حتَّى تكتشف الإجابات في داخلك. ومن المحتمل أن تصلَ إلى هدفِكَ في نهايةِ الرحلة، أو تصلَ إلى طرقٍ متشعِّبةٍ أخرى. فهذه طبيعةُ الاستكشاف، ليست له نتائجُ مضمونة إلَّا أنَّها غالبًا ما تكون إيجابيَّة.

هذا الكتاب موجَّهٌ إلى مَن يريد أن يختارَ تخصُّصَه الجامعيّ، أو إلى مَن وجدَ نفسَه في تخصُّصٍ خاطئٍ لا يتناسب معه، أو إلى الذي لا يحبُّ تخصُّصَه، وقرَّر أن يغيِّره.

الأساليب والخطوات المقترحة في هذا الكتابِ مبنيَّةٌ على مزيجٍ من البحوثِ والكتب، وتجربتي وملاحظاتي الشخصيَّة في تغيير تخصُّصي، فضلًا عن تجارب الأشخاص الذين

غيّروا تخصُّصاتهم. وسيضمنُ لك هذا المزيجُ من العلمِ والملاحظةِ والتجربةِ الشخصيَّة أن يكونَ الكتابُ عمليًّا بما يكفي لتتمكَّنَ من تطبيقهِ على نفسك.

أريد أن أذكِّرك مرَّةً أخرى أنَّ هذا الكتاب ليس رواية، لكنَّه يستخدم أسلوبًا منتشرًا بكثرة في الكتب الأجنبيَّة يُسمَّى أسلوب «روايات أعمال» (Business Fable)، وهي روايةٌ تهدف إلى إعطاء الدروس والعِبَر الإداريَّة أو الحياتيَّة بواسطة السرد القصصيّ؛ وذلك بهدف تسهيل فهمها وتطبيقها. ولا يُكتَبُ هذا النوع من الروايات بأسلوب أدبيّ، ولا يحوي كلَّ العناصر المعروفة للرواية.

رسالتي الأخيرةُ هي أنَّك لو اكتشفتَ أنَّك تكرهُ تخصُّصك، فهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا. وهو لا يعني بتاتًا وجودَ نقص فيك- كما قد يخبرك بعضُ الناس من حولك- بل أنت شخصٌ طبيعيٌّ، اختار تخصُّصهُ بمحض إرادته، ثمَّ اكتشف أنَّ خِيارهُ كان خاطئًا. لن ألومَكَ على اختياركَ الخاطئ؛ فخبرتك وقت الاختيار كانت أقصرَ من أن تمكِّنكَ من اتِّخاذِ قرارٍ صائب، والمجتمعُ من حولك أضعفُ من أن يرشدكَ نحو الخيارِ الصحيح، والأسوأُ من ذلك هو تلك القيودُ التي يضعها المجتمعُ على تفكيرنا، فيمنعنا من دخولِ بعض التخصُّصات، ويدفعنا لدخولِ تخصُّصاتٍ أخرى، لا سيَّما تلك التي تعطي دارسها حرفَ "د."، أو "م.". هل لاحظتَ كم هو طبيعيٌّ أن تتَّخذَ القرارَ الخاطئ؟

قد تكونُ هذه النصيحةُ هي أهمّ ما في الكتاب؛ لذا في وُسعِكَ أن تتوقَّفَ عن القراءة هنا، وتعيدَ الكتابَ إلى الرَّف، أو أن تخطوَ خطوةً إضافيةً فتقرأَ الكتابَ، وتبدأَ الرحلةَ في محاولةِ البحثِ عن الحلِّ البديل- تلك الرحلةَ التي انطلقَ بها كثيرون، وأنا منهم. استمتع بالرحلة، وسنلتقي مجدَّدًا في نهاية الكتاب.

بالمناسبة، هناك مفاجأة داخل الكتاب، وعليك أن تبحث عنها أثناء القراءة.

د. أمجد الجنباز

البداية

يومُ الزفاف هو يومٌ تحلم به كلّ فتاة، لتلتقي فارسَ أحلامِها الذي كانت تنتظره، وحتمًا لم تكن زينة مختلفةً عنهنّ.

نظرت زينة إلى نفسها في المرآة وإلى الفستان الجميل الذي ترتديه، وقالت في نفسها: "يا إلهي كم أبدو جميلةً اليوم!" وتابعت النظر في المرآة، متأمّلةً في فستانها ناصع البياض.

هكذا كانت تراه في المرآة، رغم أنّ لونَه الحقيقيَّ كان مختلفًا؛ إذ كان ورديًّا!

"الورديُّ" هو اللون الشائع لفساتين حفلات الخِطبة. ومع أنّ زينة كانت غايةً في السعادة في يَومِ خِطبتها، فقد كانت تحلم بلَيلةِ الزفاف التي لم يَحِنْ أوانُها بعد.

نظرتْ إلى صديقاتها اللاتي ملأنَ الغرفة، وسألتهنّ:

– كيف أبدو اليوم؟

فردَدنْ بصوتٍ واحد:

– أنت اليوم فاتنة.

ابتسمت زينة وهي تعلم مسبّقًا أنّ هذه الإجابةَ هي التي ستسمعُها منهنّ، حتّى لو بدَتْ قبيحةً؛ فهذا هو دور الأصدقاء: يقولون لك ما تودُّ سماعه، لا سيّما في مثل هذه مواقف.

دخلت ريما مسرعة إلى الغرفة وصاحت: "وصل العريس". ريما هي الصديقة المقرَّبة لزينة.

كانتا مختلفتَين في كلِّ شيء تقريبًا. في الحقيقة، لا أحدَ يدري كيف صارتا صديقتَين!

فزينة نحيلة الجسم، بيضاء الوجه، مع شعر بُنّيٍّ فاتح، وعيون بُنّيّة، أمّا ريما فكانت سمراءَ ممتلئةَ الجسم، ذات شعر أسود، وعيون سوداء داكنة. اختلافهما في الشكل هو مجرَّد الاختلاف الأوَّل ضمن قائمة الاختلافات الكثيرةِ في الذَّوق والشخصيَّة، بل حتَّى في السلوك؛ فطبيعة زينة تتَّسم بالجِدِّيَّة والهدوء، على العكس من ريما التي كانت دائمة الحركة والمزاح.

كان جميعُ صديقاتها يعلمْنَ تمامًا أنَّ الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يخرِّبَ كلَّ الحفل هو ذِكرُ كلمة «الجامعة»؛ فجميعهنَّ يدرسنَ في كلِّيَّة إدارة الأعمال، وزينة كانت أتعسهُنَّ؛ إذ إنَّها لم تستطعْ أن تحبَّ تخصُّصها، وصارتِ الجامعةُ عندَها أشبَه بكابوسٍ مزعج لا يريدُ أن ينتهي؛ فقدرات زينة واهتماماتها لم تتناسب بتاتًا مع كلِّيَّة الإدارة.

إقامة حفل الخِطبة في عطلة الصيف كان حلًّا مناسبًا كي لا تختلطَ هذه المناسبة السعيدة بكآبة الدراسة. لذا اتَّفقنَ جميعًا على عدم ذِكرِ أيِّ شيءٍ له علاقة بالجامعة؛ لأنَّهنَّ أدركنَ أنَّ شخصيَّة زينة القلقة ستضطرب بمجرَّد أن تتذكَّر ما تكرهُه.

ركضت زينة إلى النافذة لتنظرَ نحو ساحة المنزل حيث يجتمع الرجال، وبدأ خطيبها المستقبليُّ تامر يسلِّمُ على أهلها.

بحثت جيِّدًا بين الضيوف، وعندما لم تجدْ «جواد» بينهم، انقبض قلبها. "أين أنت يا جواد؟".

جواد هو حبيب زينة الأوَّل، الذي لم تتوقَّع يومًا أن يخرجَ من قلبها. فبدأت زينة تقلق: "هل يُعقَل أن يكونَ جواد قد تعرَّض لحادثٍ ما، أو ربَّما هو مستاء بسبب خِطبتي، وقرَّر ألَّا يأتي؟".

٢

١٢ ساعة قبل الخطبة...

خرجَ صوتٌ مزعجٌ من غرفة النوم، وملأ سكونَ الصباح الباكر بالضجيج. يكاد هذا الصوت أن يكونَ أسوأ أصوات العالم.

مدَّ جواد يده من تحت الغطاء، وضغط زرَّ الغفوة «Snooze» ليُطفئَ المنبِّه مدَّةً مؤقَّتة. توقَّفَ الصوت المزعج ثمَّ عاد جواد إلى النَّوم، لكنَّ صوتًا بجانبه في السرِّير قال له:

– هيَّا استيقظْ! إنَّها المرَّة العاشرة التي تضغط فيها على هذا الزرّ، ستتأخَّر عن عملك.

حاولَ جواد النهوض، لكنَّ السرير كان يضمُّه إليه بقوَّة، وكأنَّه مغناطيس كبير يشدُّ إليه مسمارًا من الحديد. شدَّ نفسه بصعوبة من السرير عدَّة مرَّات حتَّى نجح في نهاية المطاف. نظر إلى الوسادة وهو يقول في نفسه: "وداعًا وسادتي الجميلة. سأعود إليك بعد ٤ ساعات" نظر إلى سحر، زوجته النائمة بجانبه، وقال بصوت خافت:

– صباح الخير حبيبتي، ما زال أمامي ١٥ دقيقة ليبدأ عملي.

قام جواد إلى الحمَّام، وأغلق الباب على نفسه. وبدأ روتينه اليوميّ. وكانت بداية الروتين هي في الوقوف أمام المرآة، ثمَّ النظر إلى نفسه والحديث معها. نظر إلى جسمه القصير النحيل، ثمَّ تأمَّل أنفه الكبير الذي يتوسَّط وجهه المستدير، ثمَّ نظر إلى عينَيه البُنّيَّتَين اللتين يعلوهما حاجبان ثخينان. وأخيرًا نظر إلى شعره الأجعد بُنّيّ اللون وكان منفوشًا

بسبب استيقاظه من النوم، ممّا جعل رأسه يبدو كالشمس المشرقة بأشعّتها المنتشرة. في أثناء تأمُّله لنفسه في المرآة، كان يردّد قائلًا: "أنا قويّ...أنا نشيط...أنا أحبُّ عملي...أنا طبيب ناجح". بدأ جواد يردّد تلك العبارات منذ أن قرأ آخر كتاب في التنمية البشريّة "كيف تحبُّ عملك في ثلاثة عشر يومًا". كان هذا الكتابُ هو الخامسَ بين ما قرأه في التنمية البشريّة بحثًا عن طريقة يحبُّ بها عمله. بعد أن كرّر تلك العبارة ١٠ مرّات "على الريق"، جلس على كرسيّ الحمّام، وأغمضَ عينَيه، وراح يتخيّل يومَه السعيد. بدأ يتخيّل نفسَه ذاهبًا في طريقه إلى العيادة، حيث يدخل عيادتَه سعيدًا مبتهجًا. تستقبله سعاد موظّفة الاستقبال الجميلة مبتسمةً، وتخبره بأنّ جدول أعماله فارغ اليوم، وبأنّ جميع المرضى اعتذروا عن عدم التمكُّن من الحضور. ثمّ يعود إلى المنزل ليتابعَ قراءاته، أو حتّى نومه.

ضغط زرَّ السيفون، ثمّ نظر مرّة أخرى إلى نفسه في المرآة وبدأ يقول في نفسه: "يا ربّ، أتضرّعُ أن تمطرَ اليومَ لتُلغى كلُّ مواعيد العيادة".

وبدأ يتصوّرُ ما سيفعله إنْ لم يجدْ أيَّ مريضٍ في العيادة، وكيف أنّه سيعود إلى المنزل ليتابعَ قراءاته المتعة.

لم يكن هذا الجزء الأخير موجودًا في كتاب التنمية البشريّة، لكنّه كان يمارسه على أيّة حال.

فجأة، ظهر صوتٌ عالٍ مزعجٌ من غرفة النوم وملأ المنزلَ ضجيجًا. ثمّ تبعه صوتٌ آخر يصيح:

– جواد، تعالَ أطفِئْ منبّهَك الغبيّ!



استعدَّ جواد للخروج من المنزل، واتّجهَ إلى العيادة.

عندما وصل إلى عيادته، استقبلته سعاد موظّفة الاستقبال بوجهها العبوس القبيح الذي لا يبتسم بتاتًا. ولشدّة عبوسها انحفرت أخاديد على جبهتها لتعطيها المنظر العابس طَوال الوقت.

تحسَّرَ جواد في نفسه: "يا لَخسارة هذا الاسم السعيد فيك! الأولى أن يكون اسمك «تُعاس»".

رسم على وجهه ابتسامة مصطنعةً وهو يقتربُ من سعاد، وقال لها: "صباح الخير يا سعاد".

فعبست في وجهه، وأشارت إليه ليلحقَ بها إلى غرفة الأطبّاء خلف الاستقبال مباشرة، فلحق بها. دخلا الغرفة وأغلق الباب خلفه، فهو يعرف تمامًا ما سيحصل له في الدقائق التالية.

بمجرّد إغلاق الباب، قالت له بصوتها الأجشّ المرتفع:

– من أين سيأتي الخير؟ الساعة الآن التاسعة والنصف. لقد تأخّرت نصف ساعة كعادتك. لم أعرف ما عليَّ أن أقولَه للمرضى الذين ينتظرونك. أنت تحرجُني دومًا. ألن تُغيِّر طبعَك هذا في عدم التزام الوقت؟

حاولَ جواد أن يُبقيَ على ابتسامته المزيّفة، ثمّ قال:

– أنا ثابتٌ دومًا على مواقفي يا سعاد. ألا تعرفين لماذا أسماني والدي «جواد»؟

تحوّلت سعاد بنظرها بعيدًا عن جواد، ثمّ نظرت إلى السقف، وكأنّها تريد أن تعبّر له عن تململها. لكنّه تابع:

– لقد أسماني «جواد»؛ لأنّه يُشبهُ كلمة «جماد». لقد أراد منّي أن أكون جامدًا كالصخر، فلا أتغيّر مهما كانت الضغوط.

لم تُعره بالًا؛ فقد حفظت مقولاته عن ظهر قلب. ثمّ أخبرته باسْم أوّلِ مريضٍ ينتظره في العيادة، وأكّدتْ أنّه ينتظرُ منذ نصف ساعة.

لم يَمضِ على جواد إلّا سنتَين وهو يعمل في تلك العيادة. حيث بدأ عمله فيها فورَ تخرّجه في كلّيّة طبّ الأسنان. كان نشيطًا متحمّسًا في بداية العمل، أو- على الأقلّ- في أوّلِ أشهر منه. لكنْ بعد ذلك بدأ يشعر بالملل والكآبة، وتحوّلتِ العيادةُ إلى سجن وكابوس أبديّ. بمرور الوقت، صارَ التأخّر عن العمل صفةً ملازمةً له، مع أنّه دقيقٌ جدًّا في مواعيده الأخرى، ممّا تسبّب في استياء مدير المركز د. أشرف منه. أمّا جواد فكان يعرف تمامًا أنّ المركَز لن يستغني عنه؛ فعمله كان متقنًا وجعله يكسبُ الكثير من المراجِعين.

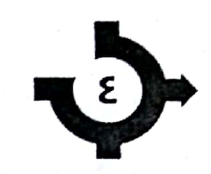
دخل عيادتَه بسرعة، ونظر إلى «كرسيّ الاعتراف» الذي يستلقي عليه أحد المرضى. ونظر إلى الأدوات الكثيرة المنتشرة في الغرفة، ثمّ قال في نفسه: "يا إلهي! تبدو هذه الغرفة أشبه بغرفةِ تعذيبٍ للمرضى، لكنّها في الحقيقة غرفة تعذيب لي أيضًا".

جلس على كرسيّه بجانب المريض، واعتذر عن عدمِ حضوره في الموعد المحدَّد لأسباب خارجة عن إرادته. نظر نظرة خاطفة إلى ملفّ المريض على شاشة الكمبيوتر، وهو يلبس قفّازات المعالجة البيضاء، وأمسك حفّارة الأسنان بيده اليُمنى، ومرآة الأسنان باليد

اليسرى. نظر إلى المريض وسحبَ نفسًا عميقًا من أنفه، ثمّ أخرجه بسرعة كما لو كان ينفخُ بالونًا بالهواء. بعدها قال في نفسه: "على ما يبدو أنّ كتاب «كيف تحبُّ عملك في ثلاثة عشر يومًا» لن ينجح بتاتًا!".

ثمّ قال للمريض الجملةَ التي يكرّرها ألفَ مرّة في اليوم: "افتح فمك".

وعندها قال في نفسه: "بدأ العمل التعيس، سيكون يومًا طويلًا كالعادة".



نصف ساعة قبل حفل الخِطبة...

في الساعة الثامنة والنصف مساء خرجَ جواد من العيادة مُسرعًا قبل نهاية الدوام بنصف ساعة، ليتمكّن من حضور حفل خِطبة حبيبةِ قلبِه زينة. ومع أنّ جواد تزوّج بسحر قبل سنتَين، فإنّ زينة ستبقى هي الساكنة الأولى في قلبه مهما حدث، وحضور هذا الحفل مهمٌّ جدًّا لهما. ركب سيّارته الرياضيّة الحمراء، وانطلق مسرعًا إلى المنزل.

كان سعيدًا جدًّا- كعادته- عندما يخرج من العيادة. إحساسه مشابهٌ تمامًا لسجين حكم عليه بالسجن مدّة عام، ثمّ أُطلقَ سراحه بعد انقضاء المدّة، لكنْ مع فارق بسيط: أنّ جواد يُسجَن في كلّ يوم مرّتين: من الساعة التاسعة صباحًا حتّى الثانية عشرةَ ظهرًا، ومن الرابعة عصرًا حتّى التاسعة مساءً.

بدأ يردّد: "كان يومًا جميلًا...كان يومًا سعيدًا...أحبُّ مهنتي"، وهي عبارةٌ أخرى تعلّمَها من ذاك الكتاب، يتداولها ثلاثَ مرّاتٍ بعد الانتهاء من العمل.

سكت، ثمّ راحَ يفكّر: "متى سأحبُّ مهنتي؟".

دخل المنزل مسرعًا ليرتديَ ملابسَ الحفل، ولم تكن زوجته في المنزل وقتها، وكان يعلمُ ذلك. أخرج بدلته الكحليّة وقميصه الأزرق السماويّ، ثمّ بدأ يجرّب ربطات عنق مختلفة، واختار في النهاية الربطة الزرقاء. لبس البدلة، وألقى نظرة سريعة على نفسه في المرآة، ثمّ

اتّجه نحو باب المنزل. وفي طريقه للخروج، لح كتاب "كيف تحبُّ عملك في ثلاثة عشر يومًا" مرميًّا على الطاولة بجانب الباب. توقّفَ قليلًا، ثمّ أمسك الكتابَ وعاد إلى مكتبه.

كان قد أنهى قراءة الكتاب قبل شهر تقريبًا، وقرأ قبله كتبًا أخرى مشابهة، وما زالت مشاعر الكره تُجاه مهنته هي ذاتها دون تغيير؛ فهذه المهنة لا تتناسب البتّة مع قدراته وميوله. فهو شديد الذكاء ويحبُّ الرياضيّات وحلّ المشكلات، ويحبُّ الانعزال والتفكير، كما أنّه لا يحبُّ ممارسةَ الأعمال الجسديّة. أمّا مهنة طبّ الأسنان فهي مهنة لا تحتاج إلى الكثير من التفكير؛ فليس أمام الطبيب بعد معاينةِ المريض سوى أن يفكّر لدقائق في المشكلة، ويقرّرَ كيفيّةَ حلّها- كان هذا الجزءَ الوحيدَ الذي يعجب جواد- ثمّ يعمل نحو ساعةٍ أخرى عملًا يدويًّا حَرفيًّا يحفرُ فيه الأسنان ويحشوها، مع مَهامَّ أخرى مشابهة تحتاج إلى القليل من التفكير.

قلّبَ الكتاب بسرعة، وقال بصوت مسموع: "لقد نفّذتُ كلَّ ما فيه، وبحذافيره! لكنّ كراهيتي لمهنتي كانت تزداد يومًا بعد يوم".

وضع يدَيه على وجهِه متسائلًا: "هل سأمضي بقيّةَ حياتي هكذا؟".

ثمّ تابع الحديث لكن بصوت أعلى: "هل سأبقى في حلقة الكآبة هذه إلى الأبد؟ لماذا يحبُّ زملائي في العمل عملهم، أمّا أنا فأكرهه، بل أكرهه جدًّا؟". أمسك جواد الكتاب، ثمّ رماه بقوّة نحو الحائط المقابل من الغرفة، وهو يخاطب الكتاب: "لن أحبَّها بتاتًا أيّها الكاذب".

ارتطم كتاب "كيف تحبُّ عملك في ثلاثة عشر يومًا" بالحائط، وسقط على كومة من كتبٍ أخرى كانت ملقاةً هناك. كان على سطح تلك الكومة كتاب "أطلقْ طبيب الأسنان الذي في داخلك".

وصلت رسالةٌ إلى هاتفه النقّال. أمسكَ الهاتفَ ليقرأ الرسالة:

"أين أنت؟ لقد تأخّرت"

نظرَ إلى ساعة هاتفه النقّال، وكانت تشير إلى التاسعة والنصف. "تبًّا، لقد تأخرتُ عن الحفل".

ركب سيّارته، وانطلق إلى منزل زينة الذي لا يبعد كثيرًا عن منزله؛ إذ يستغرق الطريق عشر دقائق بالسيّارة، كما يمكنُ اختصار الوقت بالسّير في الطرق الفرعيّة الداخليّة الضيّقة، وهذا ما قرّر جواد أن يفعله.

كان ذهنه مشغولًا بالتفكير في الحياة المزرية التي بات يعيشها، حيث لم يعدْ يشعر بأيّ طعم للحياة، وبات ينتظر الأسبوع لينقضي بأسرع طريقة ممكنة.

بينما هو يفكّر في مستقبله، انعطفَ في شارع خاطئ، استغرق بعض الوقت ليكتشفَ أنّه ضلَّ طريقه. "تبًّا! أين كانت تلك «اللفّة» التي عليَّ أن أدخلها؟ لقد تأخّرتُ كثيرًا عن الحفل، والآن أضعت الطريق، ويعني هذا مزيدًا من التأخير".

بدأ يلتفتُ يمينًا وشمالًا بحثًا عن الطريق الصحيح، ثمّ بدأ يجرّبُ طرقًا ولفّات أخرى. "الطرق هنا متشعّبة ومتشابهة، ولا أدري أيُّها هو الطريق الصحيح".

ثمّ بدأ يشعرُ بإحساسٍ غريبٍ جدًّا. "يا إلهي! كم تشبه هذه الطرق المتشعّبة حياتي البائسة. إنّها كالمتاهة لا تعرف طريقك فيها، وتسعى بكلِّ جَهدك أن تجد الطريق الصحيح من...".

وقبل أن يُنهي جملتَه، طارت سيّارته في الهواء، ثمّ ارتطمتْ هابطةٍ بقوّة، فارتطم رأسه بدَوره في سقف السيّارة. "تبًّا لهذه المطبّات التي تظهر فجأةً دون سابق إنذار".

وبعد أن هدأ قليلًا، عاود التفكير قائلًا: "كذلك المطبّات كثيرة جدًّا في حياتي؛ فلا يكفي أنّي تائهٌ في حياتي، بل ما يزيدُ الطينَ بلّةً هو أنّها حافلةٌ بالعراقيل والمصاعب التي تجعل البحثَ عن الطريق الصحيح أمرًا أصعب".

بعد أن فقد الأمل في إيجاد الطريق، توقّف بسيّارته عند طرف الشارع، ثمّ فتح برنامج خرائط غوغل (Google Maps)، وبدأ يبحث عن منزل زينة: "ما هذا الحظُّ التعيس! إنَّ منزلها على بعد شارعَين فقط! أضعتُ لفّة واحدة، وعلقتُ في المتاهة".

ثمّ بدأ يفكّر: "كم سيكون جميلًا لو أنّ لدى «غوغل» برنامجًا يريك مكانَك في الحياة، ويرشدُك إلى الطريق المناسب لك، كأن يكون اسمه «غوغل الحياة» أو «Google Life»".

ثمّ ضحكَ لثوانٍ، والتفَّ بسيّارته ليجدَ منزل زينة.



كانت زينة تنظر بترقُّبٍ من نافذة غرفتها؛ فصديقاتها سبقنَها إلى غرفة الضيوف.

تساءلت في نفسها : "لماذا لم يأتِ بعد؟ هل وقعَ له مكروه؟".

دخلت ضُحى- والدة زينة- غرفةَ ابنتها لتسألها عن سبب تأخُّرها في النزول إلى الضيوف.

حاولت زينة أن تخفيَ ارتباكَها، وقالت: "سأنزل حالًا". لكنَّ ارتباكَها كان واضحًا.

- زينة! الضيوف بانتظارك، لا بدَّ أن تنزلي الآن.

حاولت الأمُّ أن تستعجلها، وحاولت زينة أن تماطلَ قليلًا، فجلست أمام المرآة وكأنَّها تعدِّل مكياجَها.

لمحت من النافذة سيَّارة رياضيَّة حمراء تقتربُ من المنزل. فقالت في نفسها: "أهو جواد يا ترى؟". ثمَّ اقتربت من النافذة. ولمحت جواد يخرجُ منها، فتغيَّرت ملامح وجهها، وقالت في نفسها: "كنتُ موقنة أنَّه سيأتي".

وضعَت اللمساتِ الأخيرةَ، وأمسكت بيد أمِّها التي كانت مشغولة بهاتفها، ونزلتا من الغرفة إلى الطابق الأرضيِّ حيث صالة الضيوف التي كانت ممتلئة بالنساء اللاتي أتَينَ لتهنئة زينة. كانت تلك الصالة خاصَّة بالنساء، أمَّا الرجال فقد جُهِّزتْ حديقة المنزل بالكراسيّ والطاولات لاستضافتهم. توقَّفتا أمام باب صالة الضيوفِ، وهناك قالت الأمّ:

- زينة انتظري هنا، ولا تدخلي الغرفةَ حتَّى آذنَ لكِ.

انتظرت في الممرِّ المجاور لصالة الضيوف بانتظار اللحظة المناسبة لتدخلَ إليهم. فجأة، فُتحَ أحد الأبواب الجانبيَّة للممرِّ وخرجت منه يد سحبت زينة نحو الخارج.

صرخت زينة: جواد!

ردَّ عليها:

- كم أنت جميلة اليوم يا زينة!

ردَّت بخجل:

- شكرًا لك، كنتُ قلقةً ألَّا تأتيَ اليوم.

ردَّ عليها:

- يستحيلُ أن أضيِّعَ مناسبةً كهذه لحبيبتي زينة، مع أنّي لم أكن أتوقَّعُ أنَّك في النهاية ستوافقين على الزواج بتامر!

قالت له:

- لقد أخبرتك بأنَّ تامر تقدَّم لخِطبتي، وأنت لم تحرِّكْ ساكنًا. كما أنّي أحبُّ الشخصَ الهادئَ الرزينَ الذي يفكِّر كثيرًا، ويتكلَّم قليلًا.

فقال جواد:

- هل تقصدين أنّي أتكلم كثيرًا؟ على كلِّ حال، هذا ليس مستغربًا؛ لأنَّ الصفات التي ذكرتِها هي صفات فارس أحلام جميع الفتيات؛ فهنَّ يفضِّلنَ الشابَّ الهادئَ الذي لا يتكلَّم بتاتًا، لتسنحَ لهنَّ فرصةُ الكلام طوال الأربع والعشرين ساعة دون أيَّة مقاطعة. وأمَّا عن سكوتي عن خِطبتك، فهو خوفًا من أن أتسبَّبَ في إصابةِ والدكِ بالجلطة.

ردَّت بغضب:

– جواد، لا داعي لهذا المزاح اليوم.

فجأة فتحت أمُّ زينة الباب الجانبيَّ للممرّ، ونظرت فإذا بزينة مع جواد.

صاحت:

– جواد؟

ردَّ بأعصاب باردة:

– يا أهلًا بشقيقتي ضحى.

ثمَّ قال بلهجةٍ هَزليَّة:

– إنّي أحاول إقناع ابنتِك أن تتراجعَ عن تامر؛ لأنَّه ليس مناسبًا لها.

وهنا لكمَتْ ضحى جواد على كتفه وقالت له:

– أنت أسوأ خالٍ في الكون. تقول هذا بدلَ أن تباركَ خِطبتَها وتحمّسها للمستقبل الآتي!

قال لها:

– أتقصدين المستقبل المظلم؟ كما أنَّ زينة ما زالت في الجامعة، لم تنهِ إلَّا سنتَين من دراستها، وبقيت أمامَها سنتان لتتخرَّج، فكان يمكنُها أن تنتظرَ قليلًا.

رغم أنَّ ضحى وجواد أخوان شقيقان، فإنَّهما شخصيَّتان متعاكستان تمامًا؛ فضحى جِدّيَّة وتقليديَّة، همومها منحصرة في المشكلات اليوميّة أو الصراعات مع الأقارب والجيران. أمَّا جواد فهو هزليٌّ يحبُّ القراءة، ويفكّر دومًا بطرق مختلفة وخارج الصندوق، كما يفكّر في المستقبل ويخطّط له. لهذا فهو لا يشغلُ نفسه كثيرًا بالأمور البسيطة التي تشغل بعض الآخرين. كان يحلم دومًا بأن يكون مؤثّرًا في هذا العالم،

لكنَّ هذه الفكرة اندثرت تقريبًا بمجرّد تخرُّجه في كلّيّةِ طبِّ الأسنان، عندما وجد أنَّ حلمه وواقعه يستحيل أن يلتقيا.

اتَّجه جواد إلى الحديقة حيث يجلس الضيوف، وجلس بجانب تامر وسلَّم عليه، وبارك بالخِطبة.

ردَّ تامر بحماسة:

– أهلًا بعزيزي د. جواد. زينة تتحدَّث بشأنك دومًا، وأنا أحببتُك رغم أنّنا لم نلتقِ من قبل.

ابتسم جواد، ثم أخرج هاتفه النقّال وقلَّب بعض الصور، ثمَّ رفعَ الهاتفَ أمام وجه تامر، وسأله:

– برأيك، ما هذه الصورة؟

تأمَّل تامر في الصورة، والتي كانت صورة قديمة بالأبيض والأسود، ويظهر فيها رجل يجلس على كرسيٍّ، يثبّته أربعة رجال من يدَيه ورجلَيه. ويقف أمامه شخص خامس بيده كماشة ويضعها داخل فمه. كانت هذه الطريقة هي التي يستخدمها أطبَّاء الأسنان في الماضي عند قلع الأسنان قبل اكتشاف المخدّر.

بعد لحظاتٍ من التأمُّل في الصورة، ردَّ تامر قائلًا:

– أظنُّ أنَّ هذه الصورة هي صورة أطبَّاء الأسنان في الماضي، وكيف كانوا يقتَلِعون الأسنان دون مخدِّر. أليس كذلك؟

ردَّ جواد:

– إجابتك خاطئة! هذه الصورة توضح ما سأفعله بك، إنْ أزعجتَ زينة في يوم من الأيَّام.

تغيَّرت ملامح وجه تامر، واختفت الابتسامة من وجهه تمامًا. وقال في نفسه: "لقد تورَّطت".



في صالة النساء، كانت الفتيات يرقصنَ على وَقْعِ أغنيات صاخبة، بينما كانت زينة ترقص معهنّ تارةً، وتحيّي النساء الموجودات تارةً، وتجلس مع صديقاتها تارةً أخرى.

كانت سعيدةً جدًّا؛ فارتداؤها لفستان أحلامها الأبيض بات قريبًا لتُكمل باقي حياتها مع حبيبها تامر.

اقتربَتْ منها إحدى السيّدات وسلّمتْ عليها قائلةً:

- مباركٌ يا زينة! تبدين رائعة الجمال.

ردّت زينة دون أن تعرفَ حتّى مَن هي تلك المرأة:

- شكرًا لك يا خالة.

فسألتها السيّدة:

- كم بقي على تخرُّجِكِ في الجامعة؟

ردّت زينة:

- بقيتْ سنتان بإذن الله.

فقالت لها السيّدة:

- إنّ سنوات الجامعة هي أجمل سنوات الحياة. أنا أحسدك أنّك تعيشينها الآن. كما أنّ تامر سيضيف المزيد من الجمال والمتعة. استمتعي بلحظاتك في الجامعة الآن ما استطعتِ؛ فهذه الأيّام لن تتكرّر. كم أتمنّى أن أعود إلى مقاعد الدراسة! ثمّ ابتعدت عن زينة.

توقّف كلُّ شيء حول زينة، وعمّ الهدوء في أرجاء الصالة. ثمّ بدأ صدى الجملة "أجمل سنوات الحياة" يتردّد داخل رأس زينة.

"أجمل سنوات الحياة؟"

تساءلت: "عن أيّ جمال تتكلّمُ هذه السيّدة؟". ثمّ تابعت: "إنّ هذه السيّدة لا تعرف حتمًا ما تقوله. الجامعة هي أتعس مكان في الكون؛ فقد أمضيتُ فيها سنتين من النكد والملل والعذاب، وأنا أعدُّ الأيّام المتبقّية من الجامعة قبل الإجازات الصيفيّة تمامًا كما يعدُّ السجين أيّامه المتبقّية على إطلاق سراحه. فكيف تعتقد هذه المرأة أنّ الجامعة هي المكان الأجمل! أشكُّ في أنّها التحقت بالجامعة في يوم ما".

"زينة... زينة!" نادتها ربا وهي تهزُّها، "لماذا صمتِّ فجأةً؟ الليلة ليلتكِ. قومي ارقصي معنا".

ردّت زينة: "لا شيء!" ثمّ نهضت لتتابع الرقص مع الفتيات، ولكنْ بحماسةٍ أقلّ؛ فبالها مشغولٌ بموضوع آخر بعيد عن الخطبة. مشغولٌ بالعدّاد الذي اعتادتْ تشغيله، وهو يقول في رأسها: "٣٢ يومًا وتبدأ الجامعة".

حاولت أن تفكّر في شيء آخر غير الجامعة، لكنْ يبدو أنّ الأفكار التعيسة لا تختفي بسهولة. شرارة واحدة كانت كفيلة بإثارة القلق والكآبة لديها.

فقالت في نفسها: "تبًّا لتلك السيّدة! ما الذي جعلها تتحدّث بشأن جامعتي؟".

ذهبت إلى كرسيّها في غرفة الضيوف، وأخذت الهاتف من على المنضدة، وبعثتْ برسالةٍ إلى جواد:

"يجب أن نلتقي غدًا"

٧

في اليوم التالي عند الساعة ٧:٠٠ مساء، وصلت رسالة إلى هاتف زينة:

"أنا أمام المنزل"

خرجت لتجدَ خالها في سيّارته الرياضيَّة، وكانت فتحة السقف مفتوحة وتخرج منها أصوات الغناء المرتفعة، وكان الملل باديًا على وجه جواد. ركبتْ معه في السيّارة، وسلّمت عليه؛ فخفَضَ صوت الأغنية، وردَّ عليها بابتسامة مصطنعة: "أهلًا زينة. سمعتُ أنَّك تريدين أن تشربي القهوة". ثمَّ أعاد الصوت كما كان!

كان صوت الأغاني مرتفعًا على نحوٍ يمنع أيَّ حوار جادّ، لذا صمتت زينة وحاولت أن تعيد ترتيبَ أفكارها.

عندما وصلا إلى المقهى، كانت الأفكار مرتَّبة تمامًا في ذهنها. جلس جواد إلى طاولة قريبة من النافذة المطلّة على الشارع، وطلب فنجانَين كبيرَين من القهوة، ثمَّ قال للنادل:

- أريد أحد الفنجانَين زجاجيًا والآخر ورقيًا.

كانت هذه عادته: يشرب القهوة دومًا في فنجانٍ ورقيٍّ عليه غطاء بلاستيكيّ؛ فهو يحبُّ أن يشرب القهوة ساخنة، وهذه الطريقة تبقي القهوة دافئةً مدّةً أطوَل.

التفتَ إلى زينة التي بدتْ مرتبكةً، وقال لها:

- ماذا تريدين منّي يا حبيبتي؟

قالت دون تردُّد، وكأنَّها حفظت ما تريده عن ظهر قلب:

- أريد أن أترك الجامعة!

ثمَّ انتظرت جوابَه.

رغم غرابةِ ما قالته، فإنَّ ردَّ فعله كانت أغرب؛ فهو لم يُبدِ أيَّ تعجُّب، ولم يُغيِّر من تعابير وجهه ولا من جلسته، وكأنّه لم يسمع شيئًا.

كرَّرتِ الفكرة مرَّةً أخرى في محاولةٍ لاستثارته، فتابعت قائلةً:

- حياتي مُزريةٌ جدًّا في الجامعة، وكرهتُ علم الإدارة وكلَّ ما فيه، ولم يَعُدْ في وُسعي التحمُّل أكثر من ذلك.

استمرَّ في صمته إلى أنْ جاء النادلُ ووضع القهوة على الطاولة.

أخذ الفنجانَ الورقيَّ، ورشف منه رشفةً، ثمَّ بدأت ملامحه تتغيَّر، وارتسمت على وجهه ملامح الغضب، وقال لها:

- ليتني تركتُ طبَّ الأسنان عندما كنتُ في مثل سنِّك. اتركي التخصُّص الذي تكرهينه، ولتذهب الجامعة إلى الجحيم.

كانت مستعدَّةً تمامًا للدفاع عن موقفها في ترك الجامعة، لكنَّ ردَّه لم يكن تمامًا ضمن مخطَّطها؛ إذ لم تتوقَّع أن يوافقَها في خُطَّتِها. لقد كانت تخطِّط لإقناع جواد أوَّلًا لأنَّه قريبٌ منها، ولأنَّ تفكيره منفتح. ثمَّ ستحاولُ بعد ذلك إقناع أهلها التقليديّين.

لكنَّ ردَّ فعله كان غير متوقَّع؛ لذا لم تعرف كيف تجيبه، بل وجدتْ نفسها تهاجم قرارَها قائلة:

– لكنَّ الجامعة مهمَّة لي لأعمل بعد التخرُّج. كما أنّي لا أريد هدرَ السنتَين الماضيتَين من عمري بلا فائدة.

وهنا تحوَّل موقفها من المطالبة بترك الجامعة إلى المطالبة بالبقاء فيها!

ردَّ عليها:

– أعيش أتعسَ أيّام حياتي الآن. وكلُّ ذلك بسبب قرار خاطئ اتَّخذتُه بعد إنهاء المرحلة الثانويَّة. تخيَّلي أنَّ قرارًا واحدًا فقط كفيلٌ بتَدميرِ حياةٍ كاملة، والأسوأ هو أنَّ القرار لا رجعة عنه.

تحوَّل الدور من تذمُّرها بشأن جامعتها، إلى تذمُّره هو بشأن حياته كلّها!

غيَّر من جلسته، وارتشف رشفةً أخرى من القهوة، ثمَّ تابع حديثَه بصوت حادٍّ مفعَم بالحسرة:

– ليتني تركتُ كلّيَّةَ طبِّ الأسنان عندما كنتُ في السنة الثانية، أي في عمرك تمامًا. لقد كرهتُ عندها دراسةَ الأسنان، لكنّي تابعت على مضض. إضاعة سنتَين من العمر فقط في تخصُّص نكرهه لا تقارن البتَّة بإضاعة العمر كلِّه فيه. كم كنتُ أحمقَ حين اخترتُ ألّا أضيِّعَ سنتَين من عمري، ونسيت أنَّ المهنة ستلازمني حتّى آخر يوم في حياتي.

لم تعتَدْ زينة رؤيةَ خالها في مثل هذه الحال؛ فهو دائم المزاح والضحك، لكنَّه اليوم كان يرتدي قناعًا مختلفًا! بدأت تنظر إليه وهي تفكِّر: "يبدو أنَّ جواد هو النسخة المستقبليَّة منّي؛ فإنْ تابعتُ مسيرتي في طريق خاطئ دون اتّخاذ قرار حياله، سأصيرُ بعد عدَّة سنوات مثله تمامًا. ومتابعتي في هذا التخصُّص لن تُعطيَني الحرّيَّة، بل ستُقيِّدني وتكبِّلني لأعملَ في إطارِه طَوال حياتي".

تابعتْ تصوُّرَ مصيرها بعد خمس سنوات، وهي في سنِّ خالها جواد. تجلس في مكانه، وتتذمَّر بالطريقة ذاتها متحسِّرةً على قرار كان في يدها، لكنَّها لم تتَّخذه.

ثاني لفة يمين

إضاعة سنتَين من العمر فقط في تخصُّص نكرهه لا تقارن البتَّة بإضاعة العمر كلِّه فيه.
كم كنتُ أحمقَ حين اخترتُ ألّا أضيِّعَ سنتَين من عمري، ونسيت أنَّ المهنة ستلازمني حتّى آخر يوم في حياتي.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR

جبل عمّان Jabal Amman

قرارُ تركِ الجامعة ليس قرارًا صعبًا على ما يبدو، لكنّ معرفة ما ستفعله إنْ تركت الجامعة هو الأصعب. فهل ستترك الجامعة لتجلسَ في المنزل دون أيّ تعليم أو مهنة؟ هذا ليس مقبولًا بتاتًا لها؛ فهي فتاة ذكيّة تحبُّ العملَ والإبداع، وتركُها للجامعة هو مجرّدُ وسيلةٍ للهروبِ من التخصُّص الذي كرهتْه، وليس هروبًا من العمل.

كان المنظرُ المزري لخالها كفيلًا بإيقافها عن التفكير في حلّ مشكلتها هي؛ فمشكلتها ما تزال في بدايتها، على العكس من خالها الذي وصل إلى ذروة المشكلة. لذا بدأت تتعاطف معه، وسألته:

- فما الحلُّ برأيك؟

التزمَ الهدوءَ؛ لأنّه يعلم أنّه لو أراد التصرُّف على طبيعته، فسوفَ يرمي بفنجانِ القهوة نحو الجدار ليشعرَ ببعض الراحة. لكنّه آثرَ الهدوءَ في المقهى، واكتفى بالردِّ بعصبيّة:

- إنّه مأزق لا مفرَّ منه! فهل ستنتظرين منّي أن أبدأ مجدّدًا دراسةَ تخصُّص جديد في الجامعة؟ الحياة ليست عادلة قطعًا؛ فقد رأيت الكثير من زملائي الفاشلين في المرحلة الثانويّة، ممّن اختاروا تخصُّصات لا تتطلّب معدّلًا عاليًا في شهادة الثانويّة العامّة. وعندما دخلوا تلك التخصُّصات، كانت متناسبة مع قدراتهم وميولهم فأبدعوا فيها، وهم الآن ناجحون وسعداء في تلك المهن. أمّا أنا فكان معدّلي عاليًا، فدخلت تخصُّصًا يحلم الجميع بدخوله، والنتيجة أنّ هذا المعدّل المرتفعَ قد هبط بي إلى القاع.

تمنّت لو أنّ في وُسعِها مساعدته وإخراجه من مأزقه. وهنا أعادت طرحَ السؤال مرّة أخرى، وكأنّ إعادة طرحه سيجلب إجابة معه:

- ما الحلّ؟ ما الذي سنفعله لنخرُجَ من مأزق الاختيار الخاطئ لتخصُّصنا؟

ظلّ صامتًا هذه المرّة؛ فهو يعرف أنّه ليس هناك حلٌّ لتلك المشكلة.

أنهى فنجانَ قهوته، ثمّ وضعَه على الطاولة بقوّة، وأشار إلى النادل أن يجلبَ الفاتورة.

ندمت زينة كثيرًا على هذه الدعوة، فهي لم تخفّف من حالتها، بل زادتها سوءًا بعد رؤيتها لخالها، وبدأت تشعر بالقلق تُجاهَه أيضًا.

جاء النادل بالفاتورة، فتناولَها جواد ونظر إلى المبلغ فيها، ثمّ أخرج محفظته من جيبه وسحب النقود بعصبيّة، فسحبت النقود معها مجموعةً من البطاقات وأسقطتها على الأرض. "تبًّا، هذا ليس الوقتَ المناسبَ لوقوع البطاقات".

قام من كرسيّه، وانحنى ليلتقطَ البطاقاتِ ويعيدها إلى المحفظة. وعندما رفعها وجدَ بينها بطاقة غريبة وكأنّه يراها للمرّة الأولى، فنظر إليها وقرأها: "أ. جمال رئيس شركة سمارتكم لأمن المعلومات". تساءل جواد، ما هذه البطاقة؟ وما الذي جاء بها إلى هنا؟

تأمّل البطاقة برهةً، ثمّ اندفعَ في داخله وميضٌ من الطاقة، وتغيّرت ملامح وجهه، وانفرجَتْ عيناه وارتسمت ابتسامة الثقة على شفتَيه. وهناك زالت كآبته وكأنّه حصل على الدواء الذي سيشفيه من مرضه! ثمّ قال:

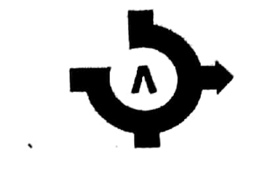
- أها تذكّرته.

نظرت زينة مستغربة إلى جواد وسألتْه:

- ما الذي تذكّرتَه؟

وهنا ردَّ جواد بثقة:

- زينة! وجدت الحلّ.



قبل تسعة شهور...

مدَّ جواد يدَيه نحو الأعلى وسحبَ نفسًا عميقًا وهو يمدِّد جسده؛ فالساعة الآن تشير إلى الثامنة مساء، وقد عالج حتَّى الآن أربعة مرضى في الدوام المسائيّ. بدأ الدعاء في نفسه: "يا ربّ، ليكنْ ذاك آخرَ مريضٍ يأتي اليوم".

خرج جواد من العيادة إلى مكتب الاستقبال وسأل سعاد:

– هل بقي مرضى آخرون اليوم؟

ردَّت عليه:

– أجل! الأخ جمال لديه ألم في إحدى أسنانه، وهو في غرفة الانتظار.

كان هذا الردُّ كفيلًا بهدم أحلام جواد في العودة إلى المنزل قبل نهاية الدوام.

عاد جواد إلى عيادته، وطلب إلى الممرِّضة أن تجهِّزَ العيادة بأدوات الفحص المناسبة. ثمَّ أخبرها بأن تنادي المريض جمال.

دخل جمال العيادة، ثمَّ تأمَّلها ونظر في محتوياتها، وكأنَّه يريد أن يتحقَّقَ أنَّ المكان آمن للدُّخول. كان جمال في بداية الأربعينيَّات من عمره، متوسِّطَ الطول ذا وجهٍ أبيضَ مستديرٍ وشعرٍ فضّيٍّ في منتصفه صلعة دائريَّة، ويرتدي نظَّارات طبِّيَّة بإطار

أسود. سلَّم جمال على جواد وجلس على الكرسيّ.

فحص جواد أسنان جمال، على أمل أن تكونَ مشكلتُه بسيطةً وسريعةَ الحلّ، حتَّى يغادر العيادة بسرعة. لكنَّ ألمه كان شديدًا، وتبيَّن أنَّه بحاجة إلى إزالة العصب. تستغرق هذه العمليَّة ساعة ونصف عادة، ويعني هذا تأخُّرَ جواد في دوامه اليوم مدَّة نصف ساعةٍ إضافيَّة على الأقلّ. كانت هذه الفكرة كفيلةً بأن تجلبَ المزيد من الكآبة إلى جواد.

نظر إلى ساعته، ثمَّ سحبَ نفسًا عميقًا وأخرجه من فمه بسرعة، وأمسك إبرة التخدير وقال لجمال:

– افتح فمك.

أدخل إصبعه داخل فم جمال وكأنَّه يتحسَّس شيئًا ما، ثمَّ أدخل الإبرة بيده الأخرى، وبدأ يحقنُ محتوياتها. قطَّب جمال جبينه وهو يتلقَّى تلك الحقنة، وتابع التقطيبَ إلى أن أفرغَ جواد كامل محتواها.

قال جواد:

– تستطيعُ أن تتمضمض الآن.

نهض جمال، ثمَّ تمضمض ومسح فمه بمنديل أخذه من علبة المناديل المثبَّتة على عمود إنارة كرسيِّ المعالجة، ثمَّ عاد واستلقى على الكرسيّ.

ثمَّ سأل جواد:

– بالمناسبة ماذا يعني اسم جواد يا دكتور؟

استغرب جواد من سؤاله، ثمَّ أجابه:

– جواد هي صفة تعني سريع الجري. فلو قلنا «هذا حصان جواد»، فهذا يعني أنَّ هذا الحصان سريع الجري. كما أنَّ العرب يطلقون هذا الاسم على الحصان النجيب.

على ما يبدو أنَّ والدي أراد منّي أن أكون سريعًا لجيبًا، فسمّاني كذلك على أمل أن يكون لي من اسمي نصيب.

ابتسم جمال وقال:

– ذلك جميل جدًّا! وهل حقّقت أمنية والدك؟

ارتبك جواد من هذا السؤال، ولم يعرف ماذا يردّ. ثمَّ اكتفى بقَول:

– لا أظنُّ ذلك.

انتظر جواد عدّة دقائق ليبدأ مفعول المخدِّر، ثمَّ بدأ يحفر السِّنّ.

بعد نصف ساعة من العمل، وصل جواد إلى مرحلة توسيع قنوات جذر السِّنّ، وهي مرحلة تهدف إلى إزالة كلّ بقايا العصب، والخطأ في هذه المرحلة سيتسبَّب إمّا في عودة الألم، وإمّا في إنشاء خُرّاجٍ في السِّنّ.

بعد نصف ساعة أخرى، أنهى عمليّة التنظيفَ، ووضعَ حشوةً للجُذور، ثمَّ راحَ يضعُ الحشوةَ النهائيّة.

بعد ثلث ساعة، أتمَّ الحشوةَ وأنهى المعالجة. طلب إلى جمال أن يتمضمض.

تمضمض جمال، ومسح فمه بمنديل، ثمَّ سأل:

– أهي سيّئة؟

أجاب جواد:

– لا بتاتًا؛ فالحالة التي تعانيها اعتياديّةٌ جدًّا. لديك التهابٌ في العصب، وقد أزلتُ العصبَ ووضعتُ حشوةً مكانه. بعد أن يزول التخدير قد تتألّم قليلًا، لكنَّ هذا الألم سيتلاشى بالتّدريج، إلى أن يزول تمامًا في غضون أسبوع.

ردَّ جمال:

– شكرًا جزيلًا دكتور، لكنّني لم أسألك عن حالة سِنّي!

ردَّ جواد متعجّبًا:

– إذًا عمَّ سألتني؟

فقال جمال:

– عن مهنتِك– مهنةِ طبِّ الأسنان. أهي سيّئة؟

أجاب جواد:

– لا، ليست سيّئة. لماذا تسأل؟

ردَّ جمال:

– لا تحاول أن تخفِيَ مشاعرَك. من الواضح أنّك تكره هذا العمل!

بدأ جواد يشعرُ بالرِّيبة، وقال في نفسه:

"مَن أخبرَ هذا الرجلَ بذلك؟" ثمَّ سأله:

– مَن قال لك إنّي أكرهُ طبَّ الأسنان؟

قال جمال:

– لم يقل لي أحد، ولكنَّ تصرُّفاتك مفضوحةٌ تمامًا.

وتابع قائلًا:

– عندما انتظرتُك في غرفة الانتظار، سألتَ موظَّفة الاستقبال ما إذا كان هناك مرضى

أم لا. وبمجرّد أن عرفتَ أنّي موجود، بدتْ عليك علامات الانزعاج والتململ. كانت هذه علامة على أنّك لا تريد أن تعمل؛ فمن يحبُّ مهنته يرغب أن يظلَّ أكثر لأنّه يستمتع بوجوده فيها.

ردَّ عليه جواد:

– قد يكون لديَّ موعد مهمٌ، وأريد أن أغادر بسببه.

أجابه جمال:

– لو كان لديك موعد مهمٌّ لتصرّفتَ بصورةٍ مختلفة، كأنْ تُجري اتّصالًا ما، أو أن تعمل بصورةٍ أسرع لتُنهي عملك بسرعةٍ وتغادر إلى موعدك مثلًا. لكنَّ سلوكك كان يشير إلى أنّك لم تكن على عجلة من أمرك، بل كنت تريد أن تنهي المعالجة فحسب.

ردَّ جواد:

– قد يكون تململي هذا خاصًا باليوم فقط لحالة ما أصابتني، وليس لأنّي لا أحبُّ مهنتي!

أجاب جمال:

– قلتُ لك إنَّ هذه كانت العلامة الأولى فقط. عندما دخلتُ إلى هنا، لمحتُ على مكتبك الكثير من الكتب في تطوير الذات والفلسفة ومواضيع أخرى، لكنّني لم أجد بينها أيَّ كتاب عن طبِّ الأسنان، وهذا يدلُّ على أنّك تحبُّ القراءة، لكنّك تكره القراءةَ في طبِّ الأسنان. وبذلك فأنت لا تشعر بالارتباط بهذه المهنة، بل تعاملها على أنّها وظيفةٌ تتكسّبُ منها، لا على أنّها مهنةٌ تحقّق بها ذاتك. وفي أثناء العمل، كنتَ تنظر إلى ساعتك باستمرار؛ ليس لأنَّ لديك موعدًا، بل لأنّك اعتدتَ النظر فيها. فأنت تحاولُ أن تحرّكَ عقربَي الساعة ببصرك لتصلَ إلى نهاية الدوام بسرعةٍ كي تغادر المكان.

نظر جواد باستغراب إلى جمال وهو يصفُ الحالة!

تابع جمال:

– أخيرًا، أنت شخصيّةٌ حيويّةٌ وتحبُّ الحركة، لكنْ ما إنْ جلستَ على هذا الكرسيّ وأمسكت الحفّارة، حتّى خمدَتْ طاقتُك فجأة، وتدلّتْ كَتِفاك نحو الأسفل. هذا العمل يستنزفك ويستنزف طاقتك يا دكتور. لقد عملتُ مع الكثيرين من قبل، وحركاتُك لا تدلُّ إلّا على أنّك تكره هذا العمل.

دُهِشَ جواد من وصف جمال لحالته، ولم يتمكّن من الردّ، وآثَرَ الصمت.

فقال جمال:

– إنَّ الحياةَ التي نريدها أن تسير بسرعةٍ لنتخلّص من مللها، ليست بحياة.

وإذ شعرَ جواد بأنّه في ورطة، اعترف أنّه يكرهها وبدأ يعلّلُ لذلك قائلًا:

– للأسف، هذا هو التخصُّصُ الذي اخترته عند دخولي الجامعة. فدخولي كلّيّة طبِّ الأسنان كان خِيارًا سيّئًا بكلِّ المقاييس. لكنْ ليس لديَّ خِيارٌ آخرُ إلّا أن أحبَّ هذه المهنة.

ردَّ جمال:

– هذا مستحيل يا عزيزي! لو كنت ستحبُّها، لأحببْتَها من قبل. لكنّك لم تحبَّها، ولن تتمكّن من محبّتها.

ردَّ جواد:

– لست على يقين. وفي النهاية علينا جميعًا أن نعملَ لنكسِبَ عيشَنا، وليس بالإمكان تغيير ما حدث.

ثاني
لفة
يمين

إنَّ الحياةَ التي نريدها أن تسير بسرعةٍ لنتخلّص من مللها، ليست بحياة.

مدَّ جمال يده في جيب بنطاله إلى محفظته، ثمَّ أخرجَ منها بطاقة وقال:

– هناك دومًا حلٌّ، لكنْ ليست لدى الجميع الشجاعة ليغامروا بالعثور عليه.

ثمَّ ناول البطاقةَ لجواد وغادر.

ناداه جواد:

– لكنْ عفوًا كيف؟

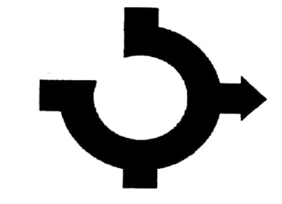
لكنْ لم يردَّ جمال!

نظر جواد إلى البطاقة، وقرأ عليها:

"أ. جمال رئيس شركة سمارتكم لأمن المعلومات"

ثمَّ قال في نفسه "أمن المعلومات! كيف يؤمِّنون المعلومات أصلًا؟ وما علاقة ذلك بكرهي لتخصُّص طبِّ الأسنان؟". ثمَّ ضحك وهو يتخيَّل، وقال: "أظنُّ أنَّهم يأخذون المعلومات ويسكبونها في علبة صغيرة، ثمَّ يضعونها في خزنة مغلقة بقفل له كلمة سرِّيَّة".

بعدها ابتسم ابتسامة سُخرية، ثمَّ قال مخاطِبًا نفسَه: "لا أظنُّ أنَّ هناك حلًّا". وأراد أن يرمي البطاقة في القمامة القريبة منه. لكنَّه تريَّثَ، وأعاد التفكير، ثمَّ أخرج محفظته من جيبه، ووضع البطاقة فيها، وغادر المكان التعيس.



الفصل الأوَّل

العمل الممتع



دخلت زينة قاعة الاختبار. نظرت إلى الكراسيّ الممتلئة بالطالبات اللاتي أمسكْنَ أقلامهنّ بحماسة، وكأنّهنّ بانتظار وجبة دسمة للانقضاض عليها بسَكاكينهِنّ.

جلسَتْ إلى طاولتها تنتظر ورقتها، وكان انتظارًا يفتقد إلى الحماسة الذي كان يعجُّ بالقاعة من حولها. كان قلبها ينبض بالخطر، فهي تعرف تمامًا أنّ اختبارها سيكونُ سيّئًا، حالُه حالُ الاختبارات السابقة.

بدأ الوقت، وبدأ توزيع الأوراق، وهنا نزلت ورقة الاختبار على طاولة زينة. لم تكن الورقة تحوي أيّة أسئلة، بل حوتْ رموزًا فقط.

إنّها رموز شيطانيّة لا يمكن فَكُّها. فجأة تحوّلت تلك الرموز المرسومة باللون الأسود على الورقة إلى خطوط متحرّكة- إنّها أفاعٍ تتحرّك. وإذا بأفعى تخرجُ من الورقة وتسير على الطاولة، بينما تنظرُ إلى زينة. ثمّ أخرجت الأفعى لسانها وبدأت تقترب من وجهِ زينة لتنقضّ عليه.

"زينة...زينة...زينة"

سمعت زينة الصوت من بعيد، كأنّه صوت أمّها!

بدأ صوت أمّها يقترب أكثر: "زينة...زينة...لماذا أنتِ نائمةٌ حتّى الآن؟".

فتحت زينة عينيها وبدأت تفركهما، وراحت تقول في نفسها: "يا إلهي! إنّه كابوسٌ آخر. تأبى هذه الكوابيس أن تدعَني وشأني".

قالت والدتها:

– خطيبُك تامر جاء لزيارتك، وهو ينتظرك في الأسفل.

سُرّت زينة بسماع الخبر، حاولت إخفاء سرورها واصطنعتْ شعورًا بالاستياء وهي تسأل:

– لماذا جاء في هذا الوقت الباكر؟

ردّتْ والدتُها:

– إنّها الظهيرة، وقد جاء لأنّك لم تردّي على هاتفك لمّا اتّصلَ بكِ عدّة مرّاتٍ يوم أمس.

قامت زينة، وغسلت وجهها وارتدت ملابسها، ثمّ نزلت إلى غرفة الضيوف لتقابلَ تامر.

عندما دخلت الغرفة، قفزَ تامر فَرِحًا، وقال:

– زينة حبيبتي، أردتُ أن أطمئنّ عليك.

سألته باستغراب:

– تطمئنُّ عليّ! لماذا؟

قال تامر:

– في حفل الخِطبة قبل أمس، كنتِ فاتنةً وغايةً في النشاط والحيويّة. لكنّني لاحظتُ أنّكِ انطفأتِ تمامًا في آخر الحفل. وكأنّ مصيبة ألمّتْ بكِ. شعرتُ وكأنّ «بطاريّتك» فرغت من الشحن! عدتُ إلى منزلي بعد الخِطبةِ وأنا قلقٌ عليك. حاولتُ الاتّصالَ بك يوم أمس عدّة مرّات، وأرسلت لك عدّة رسائل، لكنّك لم تردّي؛ فقلقت أكثر،

وجئتك اليوم لأعرفَ السبب. هل ارتكبتُ شيئًا ما أزعجك يوم الحفل؟

نظرَتْ إليه باستغرابٍ وسألَته:

– أنا؟ أنا خبا نشاطي في حفلة الخِطبة؟ هل كان ذلك واضحًا؟

ردّ تامر:

– بكلّ تأكيد! وأظنّ أنّ الجميع شعروا بأنّك تغيّرتِ فجأة، ولستُ أنا فقط. كان واضحًا أنّ هناك مشكلةً كبرى يا حبيبتي. أريدك أن تخبريني بها.

فقالت له بألم:

– لا. إنّها مشكلةٌ قديمة. وقد بدأتْ تكبُرُ بمرور الوقت لتصيرَ كابوسًا مزعجًا يطاردُني طَوالَ الوقت.

سألها تامر:

– وما هذه المشكلة؟

صمتَتْ قليلًا، ثمّ نظرت إليه، ولم تتمكّن من قول شيء. ثمّ نظرت إلى السقف وكأنّها تشعر بالذّنب تُجاه ما تريد قوله. ثمّ قالت أخيرًا:

– أنا أكره الجامعة، ولا أعرف كيف سأتابع الدراسة فيها؛ فالإدارة تخصّص مزعج، لم أتمكّن يومًا أن أحبّه!

كانت هذه هي المرّة الأولى التي يسمع فيها تامر تأفُّفَها من تخصُّصها. حاول التخفيفَ من ألمها، فقال لها:

– لكنْ ما المشكلة يا حبيبتي؟ ادرسي، تخرّجي. احرقي الشهادة واعملي في شيء آخر، أو حتّى ابقَي في المنزل بلا عمل.

ردَّتْ بعصبية:

– هل الأمر بهذه البساطة؟ أن أتابعَ في الطريق الخطأ وأضيِّع سنواتِ عمري وأنا أسير فيه؟

قال لها:

– هذه هي حالُ الدنيا. لقد اخترتِ قبل سنتَين هذا التخصُّص، وعليك تحمُّل مسؤوليَّة قرارِكِ هذا.

ردَّت بسرعة:

– حتَّى لو كان قرارًا خاطئًا؟

أجابَ بثقة:

– بعض القرارات ليس فيها رجعة للأسف. هذه هي الحياة.

لم تقتنع زينة بهذا الردّ؛ فهو ردٌّ تقليديٌّ تمامًا، ويجعلُك مسؤولًا عن قراراتٍ خاطئةٍ اتَّخذتَها في الماضي، ربَّما تحت ضغطٍ معيَّن، وربَّما لقصورٍ في التفكير.

وتابع تامر:

– أجل! نحن مسؤولون عن قراراتنا الخاطئة في الماضي، لكنَّ هذا لا يعني أن نبقى ندفع ثمنَها حتَّى آخر يوم من عمرنا؛ لأنَّنا مسؤولون أيضًا عن إيجاد حلٍّ لهذا الخطأ، حتَّى لو كلَّفنا ذلك سنوات من الجَهد والتعب.

فقالت له:

– أعرف تمامًا أنَّه لا يوجدُ خِيارٌ في الحياة للتراجع عن القرارات. لكنْ ماذا لو اتَّخذتُ قرارًا جديدًا وكان من شأنه حلُّ المشكلة؟

ثاني لفة يمين

نحن مسؤولون عن قراراتنا الخاطئة في الماضي، لكنَّ هذا لا يعني أن نبقى ندفع ثمنَها حتَّى آخر يوم من عمرنا؛ لأنَّنا مسؤولون أيضًا عن إيجاد حلٍّ لهذا الخطأ.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR
جبل عمان Jabal Amman

ردَّ تامر:

– وما هذا القرار؟

أجابته:

– سأترك الجامعة.

توسَّعت عينا تامر مدهوشًا، ثمَّ قالَ بصوتٍ عالٍ، وكأنَّه لا يصدِّقُ ما سمعه:

– ماذا؟ وستكمِلين حياتك دون دراسة؟

ردَّت زينة:

– لا أعرف تمامًا، لكنِّي واثقةٌ بأنِّي لن أتابعَ في طريق الكآبة هذا.

وهنا راحَ تامر يردُّ بطريقةٍ هجوميَّة، في محاولة منه لإعادتها إلى الطريق الصائب:

– هل تعرفين أنَّكِ لو فعلتِ ذلك سيلقِّبك الناس بالفاشلة؟ وسيكرهك كلُّ من حولك، ابتداء من والدَيكِ؟ ثمَّ مَن قال لك إنَّك ستنجحين لو ذهبتِ إلى مكانٍ آخرَ أو إذا غيَّرتِ تخصُّصكِ؟ مَن يفشل في مكان ما، سيبقى فاشلًا أينما ذهب.

عليك إثباتُ جدارتِك هنا أوَّلًا لتتوالى نجاحاتك بعد ذلك. أمَّا إعلان الخسارة والهروب من تحمُّل المسؤوليَّة فهذا سيدمِّر ليس فقط تخصُّصك، بل حياتَك كلَّها أيضًا. ليست المشكلة مسألة حبٍّ أو كراهية، بل هي مشكلة سلوك. مَن يفشلْ مرَّة، يفشلْ دومًا.

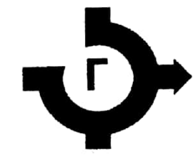
ردَّتْ زينة بغضب:

– مَن قال لك ذلك؟ أنا لم أحبَّ الإدارة، لذلك لن أستطيعَ الاستمرارَ فيها. ولا يعني هذا بتاتًا أنِّي فاشلة؛ فأنا لا أريد أن أضيِّعَ سنواتٍ أخرى من عمري لأُثبتَ

لأحَدٍ بأنِّي ناجحة. مَن كان مقتنعًا بأنِّي فاشلة، فهذه مشكلته. هذا ما يحدث دومًا مع القرارات غير التقليديَّة التي لا يفهمها الآخرون بسهولة.

استغربَ تامر ردَّها، ولم يتمكَّن إلَّا أن يقول:

– أنت مجنونة.



أنهى جواد معالجة المرضى في الدوام الصباحيّ. كان معتادًا أن يغادرَ العيادة فور انتهاء دوامه، لكنّه في هذه المرّة أغلق الباب وجلسَ إلى مكتبه.

بدأ يقلّب بطاقة «أ. جمال» بينما كان مستغرقًا في التفكير. كان متردّدًا جدًّا في الاتّصال به. ماذا لو لم يكن لديه الحلُّ كما قال؟ ماذا لو كان حلُّه غير قابل للتّطبيق؟ ماذا لو لم يردَّ أصلًا؟

سحبَ نفسًا عميقًا، ثمَّ أمسك هاتفه وأدخل رقم أ. جمال ...ثمَّ ضغطَ زرَّ الاتّصال.

رنَّ الهاتف، وكان قلب جواد يخفق بسرعة، وهو ينتظر أن يردَّ الطرفُ الآخر. رنَّ الهاتفُ طويلًا، وفي النهاية انتهى الاتّصال.

قال في نفسه: "تبًّا! هل الرّقْم خطأٌ يا ترى؟".

تحقّقَ من الرّقْم، فكان صحيحًا. واسى نفسه، ثمَّ غادر العيادة. وفي الطريق كان يفكّر: "ماذا سأفعل الآن؟ تبًّا! لقد تحمّستُ، لكنْ دون جدوى". ثمَّ راحَ يواسي نفسه بالقَول: "لكنَّ أ. جمال هو ليس الوحيد في العالم الذي يمتلك هذا السرَّ الخطير. لا بدَّ أنَّ هناك طريقةً أخرى لأعرفَ حلَّ مشكلتي".

قبل أن يصلَ جواد إلى منزله، رنَّ هاتفه. نظر بطرف عينه إلى هاتفه الموضوع على حامل الهاتف في السيّارة، وإذا هو اتّصال واردٌ من رقم، وليس من اسم. ضغط زرَّ

الردِّ على سمّاعة البلوتوث الموضوعة على أذنه:

– ألو، السلام عليكم.

ردَّ الشخص على الطرف الآخر:

– وعليكم السلام، لقد اتّصلتَ بي قبل نصف ساعة.

بدأت الروح تدبُّ في جواد مجدّدًا:

– نعم، أنا د. جواد، هل حضرتك أ. جمال؟

ردَّ الشخص الآخر:

– أجل، أنا جمال.

فتابع جواد بسعادة:

– أنا جواد، طبيب الأسنان الذي عالجتُ إحدى أسنانك قبل نحو تسعة أشهر.

صمتَ أ. جمال قليلًا ثمَّ قال:

– آه تذكّرتُك. لقد مرَّ وقتٌ طويل. السنُّ التي عالجتها لا تزال بحالة جيّدة. لقد خلّصتَني من معاناتي.

قال جواد:

– الحمد لله! حالتك كانت بسيطة، وليست بتلك الصعوبة.

وتابع قائلًا:

– في الحقيقة أردتُ الاتّصالَ بك لأسألك عن شيء آخر.

ردّ أ. جمال:

- تفضّل؟

قال جواد:

- هل تذكرُ الحوارَ الذي دار بيننا في العيادة في تلك الزيارة؟

ردّ أ. جمال:

- امم، لا أذكرُ تحديدًا؛ فأنا أقابل الكثيرين في كلّ يوم.

كان جواد خجِلًا أن يقول إنّه يكره مهنته ويريد تغييرَها، وتمنّى أن تخرجَ من فم أ. جمال. فقال بتردُّد:

- أقصد، عندما قلتُ لك. أو بالأصحّ عندما ذكرتَ لي أنّي أكره العمل.

فقال أ. جمال:

- آه، تذكّرت الآن. في الحقيقة كنتُ بانتظار اتّصالك في الأيّام التالية للموعد. كنتُ على ثقةٍ بأنّك ستتّصلُ سريعًا؛ فأنا أعرف تمامًا شعور مَن يكره مهنته، وعدم اتّصالك يعني أنّك مثل معظم الناس، تخاف من التغيير، وتفضّل الواقع المؤلم على المستقبل المجهول، حتّى وإنْ كان أفضل.

ردّ جواد:

- في الحقيقة، كنتُ أعتقد أنّ الوضع سيتحسّن، لكنْ يبدو أنّه يزداد سوءًا.

نال أ. جمال:

- والآن، أنت تبحث عن الحلّ؟

ردّ جواد:

- بالتأكيد.

قال له جمال:

- الحلُّ سهل، لكنّه صعب في الوقت نفسه؛ فالكثير من الحلول سهلة في التخطيط واتّخاذ القرار، لكنّ تنفيذها صعبٌ ويحتاج إلى عزيمة وإرادة.

قال جواد:

- أظنُّ أنّي مستعدّ. فما الحلّ؟

أجابَ جمال:

- ليس بهذه السرعة يا عزيزي. عليك أن تكتشفَ الحلّ بنفسك؛ لأنّ الحلّ الذي ستأخذه بسهولة لن تنفّذه عادةً. أمّا عندما تبحث بنفسك وتفتّش على الحلّ، فستتشرّبُ الحلّ بالتّدريج، ثمّ ستتبنّاه وتسعى جاهدًا إلى تطبيقه. ووصولك إليه بصعوبة سيُشعرُك بقيمته أكثر؛ لا يمكنني إخبارك بشيء ما لم يكن موجودًا في داخلك.

توقّفَ جواد قليلًا، وهو يفكّر: "ما هذا الغباء؟ لو كان في وُسعي إيجاد الحلّ بنفسي لما احتجتُ إلى مساعدته!"

عندها طرح جواد سؤالًا على جمال، وقال:

- لكن كيف سأجد الحلّ بنفسي؟

قال جمال:

- هذا هو السؤال المهمّ. أنا سأرشدك إلى الطريق، وسأتركك تسلكُه بنفسك؛ لأنّ رحلة استكشاف الذات هي الرحلة الأصعب في الوجود، وعلى الشخص أن يخوضَها بنفسه، ولا يمكن أن يخوضها أحدٌ بالنيابة عنه.

ردَّ جواد:

- جميل، أين هو الطريق؟

قال جمال:

- بعد أن ساعدتُ الكثيرين في اكتشاف طريقهم، وجدتُ أنَّ الطريقة الأفضل والأسهل هو بقراءة الكتب.

ردَّ جواد:

- القراءة؟

قال أ. جمال:

- أجل! لا تستَهِنْ بالمعرفة الموجودة في بطون الكتب؛ فالكتب وسيلةٌ رائعةٌ لتعيشَ خلوةً مع نفسك، فتخرجَ الأنوار من الكتاب لتستقرَّ في عقلك، وتضيء ساحاتِه وتلافيفَه.

وتابعَ:

- بالمناسبة، هناك كتابٌ واحدٌ يتضمَّن حلَّ مشكلتك.

قال جواد:

- كتاب واحد فقط؟

ردَّ جمال:

- أجل! كتابٌ واحد.

سأل جواد:

- وما اسمه؟

ثاني لفة يمين

لا تستَهِنْ بالمعرفة الموجودة في بطون الكتب؛ فالكتب وسيلةٌ رائعةٌ لتعيشَ خلوةً مع نفسك، فتخرجَ الأنوار من الكتاب لتستقرَّ في عقلك، وتضيء ساحاتِه وتلافيفه.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR

جبل عمان Jabal Amman

ردَّ جمال:

- سأرسله إليك. الكتاب طويل، وليس مطلوبًا أن تقرأه كاملًا، لكنَّه يحتوي على الحلّ. وفي الحقيقة، الحلُّ في كلمةٍ واحدةٍ فقط.

تساءلَ جواد مستغربًا:

- كلمة واحدة فقط وستُحَلُّ مشكلتي؟

أجاب جمالِ:

- أجل! عليَّ الآن أن أغادر. لا تعاوِدِ الاتّصالَ بي إلّا إنْ وجدتَ الحَلّ؛ فأنا ثابت عند قناعتي بخصوص آليّة إيجاد الحلّ. يجب أن يخرجَ الحلُّ منك أنت. إلى اللقاء دكتور.

بقي صدى عبارة "كلمة واحدة" يتردَّدُ في رأس جواد، ثمَّ بدأ يسأل نفسه: "هل حلُّ هذه المشكلة بتلك البساطة؟".

بعد دقائق رنَّ هاتف جواد حيث وصلته رسالة. ولمَّا فتح الهاتف ليقرأ الرسالة. لم يفهم ما هو مكتوب فيها. "هل أرسل إليَّ لغزًا؟ كان يفترض أن يرسلَ اسم الكتاب!".

حاولَ نُطقَ الكلمةِ أو تهجئتها، لكنَّ ذلك كان صعبًا، فالرسالة كانت تقول:

"Flow- Mihaly Csikszentmihalyi"

٣

ذهبَ جواد إلى المكتبة. لم يكن متيقّنًا أنَّ الرسالة كانت اسمَ كتابٍ حقًّا. "أهذه مزحة يريد أن يمزحها معي أ. جمال؟".

دخل المكتبة، واتَّجه إلى البائع. فتح تلك الرسالة وأعطى هاتفه للبائع وقال له:

- هل لديك هذا؟

أمسك البائع الهاتف، ونظر في شاشة الهاتف لثوانٍ، ثمَّ هزَّ رأسَه وأعاد الهاتف إلى جواد واستدار ومشى. ثمَّ اختفى بين أرفف الكتب، وعاد بعد ثوانٍ حاملًا في يده كتابًا!

نظر جواد إلى الكتاب، وإذا به يحمل اسم "Flow" فعلًا.

سأل جواد:

- هل تعرف هذا الكتاب؟

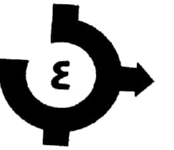
أجاب البائع:

- بالتأكيد! إنَّه كتاب لِعالِم هنغاريٍّ شهير، اسمه ميهاي تشيكسانتميهايي. الكثير من الكتب تستشهد به وبالنظريَّة التي خرج بها عن السعادة والمتعة. ولن تستغرب إنْ أخبرتك بأنَّ جميع تلك الكتب تكتب اسمه بالإنكليزيَّة، متبوعة بكيفيَّة نطقه؛ لأنَّ قراءتَه صعبة.

بدأ جواد يفكّر: "ألم يجد هذا المؤلّف طريقة مبسّطة لكتابة اسمه بالإنكليزيّة؟ أم أنّه يريد أن يصعّب على الناس قراءة اسمه عمدًا؟".

ثمّ قال جواد:

– أريد نسختَين من فضلك.



كانت زينة تشاهد التلفاز مساء عندما وصلتها رسالة. فتحت الهاتف لتقرأها، إنها من جواد:

"أنا في الأسفل. افتحي الباب"

سألتْ نفسَها: "ما الذي جاء بجواد في هذا الوقت المتأخّر".

خرجت مسرعةً لتفتحَ الباب.

نظرت إليه وقد كان الحماسة باديةً على وجهه، عكس الليلة الماضية، وقالت له:

– أهلًا بك يا جواد. ما الذي جاء بك الآن؟

أجابها:

– لقد وجدتُ الحلَّ الذي سيُخرجنا من المشكلة، ومن التخصُّص الذي نكرهُه.

قالت له:

– حقًّا؟ وما الحلّ؟

أجابها:

– اممم، لا أعرف حقيقة!

ردَّت عليه:

– ماذا؟!

فقال لها:

– إنَّها قصَّةٌ طويلة، لكنَّ الحلَّ يُفترَض أن يكونَ في هذا الكتاب.

ثمَّ أخرج نسختَيِ الكتاب من الكيس.

قالت له:

– جميل جدًّا. لكن لماذا تحمل نسختَين؟ ألا تعرف أنّي لا أحبُّ القراءة؟

أجابها:

– أجل! لكنَّ عليكِ هذه المرَّة أن تبذلي القليل من الجَهد كي تصلي إلى النتيجة التي ترغبين فيها.

فردَّت عليه بلغة واثقة:

– لقد سمعتُ سابقًا عن أنماطِ التعلُّم المختلفة. أنا لستُ من النوع الذي يحبُّ أن يبحث عن المعلومة، ويقارن ما بين النظريَّات المختلفة لأصلَ في النهايةِ إلى الحلّ؛ فأنا من النمط العمليّ الذي يحبُّ أن يصلَ إلى الزُّبدةِ ويطبِّقَها مباشرة.

قال لها ساخرًا:

– لكنَّ الاعتماد على الزُّبدة فقط، سيتسبَّب لك في ارتفاع الكوليسترول وضغط الدم.

لم تُجِبْه زينة، واكتفت بالنظر إليه بتَململ.

فقال لها:

– لكنَّ أ. جمال لم يعطني الحلّ، وأخبرني بأنَّ عليَّ أن أبحثَ عنه بنفسي لأتمكَّن من تطبيقه والتزامه. وأظنُّ أنَّ عليكِ القيام بالشيء ذاته.

قالت له:

– إنَّ ألمي الحاليَّ بسبب تخصُّصي كفيلٌ بإجباري على التزام الحلّ. لذلك ابحث أنت عن الحلّ، ثمَّ أخبرني به، وسأكتفي بأخذ الزبدة منك، حتَّى إنِ احتوَتْ على بعض الكوليسترول.

ردَّ جواد:

– لكنّي سأقرأ الكتاب وأتعلَّم منه، ولن يكونَ لديَّ الوقت لتلخيصه أو شرحه لك.

ردَّت زينة:

– أنت تحبُّني، وسيكون لديك الوقت لتقومَ بذلك من أجلي. لقد حان وقت النوم، سأذهب لأنامَ وأنت جهِّزِ الزُّبدةَ لي. تصبح على خير!

ثمَّ أغلقت الباب في وجهه.

سأل نفسه وهو ينظر إلى الباب الموصَد: "لماذا فقد الناس الذوق والاحترام اليوم؟".

ركب سيَّارته، وانطلقَ إلى المنزل، بعد أن قرَّر أن ينالَ قسطًا من الراحة. لقد أرادَ أن يستريحَ ليبدأ في قراءة الكتاب في اليوم التالي، والبحثِ عن الحلّ.



استيقظ جواد من نومه بعد منتصف الليل، ثمَّ نظر إلى ساعته: "يا إلهي، إنَّها الثالثة صباحًا".

حاولَ أن ينامَ مجدَّدًا، لكنَّه لم يتمكَّن من ذلك. شيءٌ ما في داخله كان يُجبره على الاستيقاظ، وكأنَّه يريد أن يجبره على البحث عن حلٍّ لمشكلته.

خرج من غرفة النوم، ثمَّ غسلَ وجهه وأعدَّ القهوة. بعد ذلك دخلَ مكتبَه ليبدأ في القراءة. بدأ يقلِّبُ الكتابَ بينما يرتشف رشفات من فنجانه. وهنا راحَ يحدِّث نفسه:

– سأرى ما إذا كان لدى هذا المؤلِّف – الذي لا أعرفُ حتَّى كيف يُنطَقُ اسمه – حلٌّ لمشكلتي. فهرس الكتاب يتحدَّث بأمورٍ مختلفة، لكنَّ السعادة والمتعة هما أكثر ما يتكرَّر ضمن عناوينه.

يشتملُ الكتاب على بعض البحوث التي أجراها المؤلف لاكتشاف "Flow". فما هذه الكلمة؟

بحسب ما أعرفه، تعني هذه الكلمة "الانسياب" أو "التدفُّق" أو "الاندفاع". لكن ما الذي اكتشفَه بالضبط؟

ارتشفَ رشفتَين متتاليتَين من فنجانِ القهوة، ثمَّ تابع تصفُّح الكتاب وقراءة بعض الصفحات، ثمَّ راحَ يقول في نفسه:

– يا إلهي! الكتاب صعبٌ جدًّا في أسلوبه؛ فبالكاد أفهم ما يريد أن يقولُه المؤلِّف.

هناك ما يُعرَف باسْم "الطاقة النفسيَّة" (Psychic Energy)، ويشعر الشخص بالمتعة ويمضي أفضل اللحظات عندما يستخدم جسده أو عقله إلى أقصى إمكاناته، ويستخدم كامل طاقته ليحقِّق شيئًا صعبًا أو مهمًّا. فالمتعة (Enjoyment) تختلف عن السرور (Pleasure)، وكلاهما يجعلاننا نشعر بالسعادة (Happiness). فالسرورُ يحدث عندما يقوم الشخص بعمل ما دون بذلِ أيِّ جَهد أو طاقة، مثل مشاهدة الفيديوهات أو المباريات أو تناول الطعام أو مشاهدة الطبيعة. لكنَّ السرورَ يحدث عند ممارسة الفعل مدَّة معيَّنة فقط. أمَّا إنْ مورِسَ لأكثر من ذلك، كأنْ يشاهد الفيديوهات لوقت طويل، فإنَّ الشعور بالسرور سيتوقَّف. أمَّا المتعة فهي مختلفة، حيث إنَّه لا حدود لها، وفي وُسعِ الشخصِ أن يشعر بها حتَّى لو مارس الفعلَ لوقت أطول.

تحدُثُ المتعة عند بذل جَهد في العمل. مثل لعب كرة القدم، أو التفكير، أو القيام بالمجازفات أو غيرها من الأفعال التي تتطلَّب الجَهد، نظرًا إلى أنَّ هذه الأفعال تستهلك الطاقة النفسيَّة، واستهلاك هذه الطاقة هو ما يجعلنا نشعر بالمتعة.

للوهلة الأولى، ذلك أمرٌ غريبٌ حقًّا؛ فمن المفترض أن نشعر بالمتعة أكثر عندما نبذل أقلَّ جَهد ممكن. لكنَّ ذلك غير صحيح؛ فالمتعة الحقيقيَّة مرتبطة بالطاقة النفسيَّة واستهلاكها. لذا فإنَّ الموظَّفين الذين يتهرَّبون من مَهامِّهم في العمل لا يشعرون بالسعادة؛ لأنَّهم لا يبذلون الجَهد والطاقة النفسيَّة في عملهم. فالراحة من العمل تجعل الشخص يشعرُ بالسرور لمدَّة معيَّنة. لذلك فإنَّه يشعر بالسعادة مؤقَّتًا فقط، وبمرور الوقت يذهب السرور وتذهب معه السعادة.

سكتَ جواد قليلًا ليستوعبَ ما فهمه من الكتاب، ويحاول منه أن يُسقطَه على واقعه:

– أتذكَّر تمامًا تلك اللحظات التي كنتُ أحلُّ فيها مسائل الرياضيَّات المعقَّدة في المدرسة. كان عقلي يعمل بأقصى طاقاته وأنا أبحث عن الحلِّ. كان ذهني منشغلًا تمامًا، وكنتُ أنسى الناس من حولي، وأشعر فعلًا بمتعة حقيقيَّة قلَّما أشعر بها الآن.

لذلك فإنَّ استخدام كامل قدرات العقل يجلب المتعة حقًّا.

أمَّا في طبِّ الأسنان، فأنا لا أستطيع استخدام كامل طاقتي النفسيَّة في أثناء العمل. ولسببٍ ما، لا أندمجُ بتاتًا في العمل. كيف يمكنني توجيه طاقتي النفسيَّة بالشكل الذي أريده يا ترى؟

أخذ يشعر بأنَّه راح يعرف ذاتهِ أكثر من ذي قبل، ثمَّ تابع تقليب الأوراق وهو يقرأ ويفكِّر:

– بعضُ الأحداث تعيق هذه الطاقة النفسيَّة. فالأحداث المزعجة قد تعيق الوعي وتتسبَّب في استهلاك طاقة كبيرة لدى التفكير فيها، ومن ثَمَّ لا يظلُّ لديه الكثير من الطاقة النفسيَّة ليستخدمها في تحقيق أهدافه أو حلِّ مشكلاته. وبذلك يبتعد عن المتعة والسعادة.

فلنتخيَّلْ مثلًا شخصًا ليس لديه المال، وكان هناك ثقب صغير في إطار سيَّارته. سينصرف كلُّ تفكيره في البحث عن طريقة لتعبئة الإطار بالهواء، وسيفكِّر بالمقدار المتبقِّي من الهواء في الإطار، وإن كان سيتمكَّن من الوصول إلى عمله به أم لا، وكيف سيؤمِّن المال ليستبدلَه. وماذا سيفعل إنْ لم يجِدِ المال؟ وكيف سيذهب إلى عمله وسيَّارتُه لا يمكن السيرُ بها؟ بهذه الطريقة فإنَّ الشخص راحَ يفقد الكثيرَ من الطاقة النفسيَّة في التفكير في أمور جانبيَّة مزعجة، وبذلك سيكتئب وتسوء نفسيَّته، ولن يتمكَّن حتَّى من أداء عمله كما ينبغي؛ فالجزء المتبقِّي من طاقته النفسيَّة نفدَ في التفكير في تلك الأمور الهامشيَّة. وهنا لن يشعرَ بالسعادة حتَّى لو عمل في تخصُّص يحبُّه.

الطاقة النفسيَّة إذًا هي كالبطَّاريَّة. كلَّما استخدمتَها في التفكير في أمور تحبُّها، أو في تحقيق أهدافك، أو في حلِّ مشكلاتٍ صعبة، فسوف تشعر بالسعادة. أمَّا إنِ استخدمتَها في أمورٍ جانبيَّة، أو في التفكير في أمورٍ مُزعِجة، فلن يتبقَّى الكثير في مخزونها لتستخدمه في ما تحبُّ، وبذلك ستشعرُ بالكآبة. لعلَّ هذا هو سبب تعاسة

بعض أصدقائنا ممَّن يحبُّون تخصُّصهم، لكنَّهم يعملون في مكان سيِّئ أو بيئة عمل سيِّئة أو مع مدير سيِّئ. ففي هذه الأحوال، سيستهلك الشخص جزءًا من طاقته النفسيَّة في محاولة حلِّ مشكلاته، أو التعامل مع مديره السيِّئ، ولا يبقى منها الكثير ليستثمره في عمله.

تابع جواد التفكير، وإسقاط هذه الأفكار على عمله، فقال:

– أمَّا في حالتي، فبيئة العمل حيث أعمل ممتازة وليس لديَّ الكثير من المشكلات، ما عدا الأيَّام التي تستقبلني فيها «البومة» سعاد وتبدأ تحقِّق معي عن سبب تأخُّري، وكأنَّها من وكالة الاستخبارات. عندها تستهلك بعضًا من طاقتي النفسيَّة. لماذا لا أشعر بالمتعة في مهنتي إذًا؟

تابع البحث عن إجابة عن سؤاله، وقلَّب الصفحات، وشعر بأنَّه وصل إلى المكان الذي يتضمَّن الإجابة التي يبحث عنها.

٦

استيقظت سحر من نومها. نظرت إلى الجزء الآخر من السرير الذي ينام عليه جواد، لكنَّها لم تجده. بدأت تتساءل: "أين ذهب جواد في هذا الوقت المتأخِّر من الليل؟".

أمسكت هاتفها، ثمَّ نهضت من السرير وسارت خارج الغرفة لترى إن كان جواد ما يزال في البيت. ثمَّ لاحظت نورًا منبعثًا من أسفل باب مكتب جواد. اتَّجهت نحو الباب وفتحته، وإذا جواد يجلسُ إلى مكتبه ويقرأ، فسألته مستغربة:

- جواد، ماذا تقرأ في هذا الوقت المتأخِّر؟

ردَّ قائلًا:

- لم أتمكَّن من النوم، لذا قرَّرت أن أستغلَّ هذا الوقت بالقراءة.

سألته:

- وماذا تقرأ الآن؟

أجابها:

- إنّي أبحثُ عن الحلّ.

فواصلتْ سحر سؤالَه بعد أن بدأت تتململُ منه، وهو يعطيها الإجابة بالتقسيط:

- حلٌّ لماذا؟ لمشكلة مع أحد مرضاك؟

وضع القلم في الكتاب إلى حيث وصل، بينما عدَّل جلستَه. ثمَّ أغلقَ الكتابَ وقال لها:

- سبق أن تحدَّثنا بشأن الحياة المزرية التي أعيشُها. صارت حياتي مملَّة كئيبة، وبدأ ذلك ينعكس على حياتي معك مؤخَّرًا. فعملي كئيب جدًّا، ولا أشعر بالسعادة فيه. حتَّى أيَّام العطل لم أعُدْ أستمتع بها؛ لأنّي أفكِّر طَوال وقت الإجازة بالعمل الكئيب الذي ينتظرني بعد انقضائها.

أجابته:

- لقد تحدَّثنا بشأن ذلك؛ فكآبتك انعكست على المنزل فعلًا. هل هناك طريقة لتَخرُجَ من وضعك هذا؟

ردَّ عليها:

- في الحقيقة، تحدَّثت إلى أحد الأشخاص قبل ساعات، وذكر لي أنَّ هناك حلًّا للمشكلة.

سألته بسرعة:

- وما الحلّ؟ هل ستذهب إلى طبيب نفسيٍّ؟

ردَّ عليها:

- لا؛ فالموضوع مختلفٌ قليلًا. أظنُّ أنَّه يريد أن يدلَّني على طريقة أحبُّ فيها مهنتي. وهو لم يذكر لي الحلّ، لكنَّه أعطاني اسم هذا الكتاب، وأخبرني بأنّي سأجد الحلَّ فيه.

ثمَّ رفع لها الكتاب لتراه.

قالتْ بنبرةِ أمل:

– كم سيكون جميلًا لو تغيَّرت حياتك! أنت لستَ سعيدًا في حياتك، ولا تستطيع حتَّى تمثيل دور السعادة، وهذا ما سيدمر حياتَنا إذا ظلَّ الوضع على ما هو عليه.

ثمَّ قبَّلته على جبينِه، وقالت له:

– هل تحبُّ أن أُعِدَّ لك فنجانًا من القهوة؟

فأجابها:

– شكرًا لكِ حبيبتي. لقد شربتُ فنجانًا منذ قليل، لكنّي لا أمانع بالتأكيد أن أشربَ فنجانًا آخرَ من صنع يدَيك.



وضعت سحر فنجان القهوة على الطاولة بجانب كتابه، وعادت لتنام. أمسك جواد الفنجانَ، وارتشف رشفةً منه، ثمَّ عاد ليكمل قراءتَه، بينما يفكِّر في ما يقرأه.

– حان الوقت لأعرف أسرار العمل الممتع. فهناك نقاط لا بدَّ من توافرها في العمل الذي يقوم به الشخص ليجعله يدخل في حالة التجربة المثاليَّة (Optimal Experience). وهذه هي الحالة التي يدخل فيها جميع الذين يستمتعون بما يقومون به. هذه النقاط هي:

أوَّلًا، يتضمَّنُ العمل تحدِّيًا، ويحتاج إلى مهارة تمتلكها

للوهلة الأولى، كنتُ أظنُّ أنَّ المهامَّ الممتعة هي التي تكون سهلة. لكنْ يبدو أنَّ المهامَّ الممتعة يجب أن تكون صعبةً وفيها نوعٌ من التحدِّي. لكنْ يقابلُ هذا التحدِّي وجود مهارة لدى الشخص للتغلُّب على التحدِّي. وبذلك إنْ كان التحدِّي أصعب من قدرة الشخص ومهاراته، فسيكون محبِطًا، وإنْ كان أسهلَ من قدرة الشخص ومهارته، فسيكون مملًّا، وسيتوقَّف عن كونه ممتعًا.

أظنُّ أنّي أكره مهنتي؛ لأنّي أشعر بأنَّها صعبة، وتتطلَّبُ مهارةً لا أمتلكها بما يكفي؛ فطبُّ الأسنان يحتاج إلى شخص لديه مهارة يدويَّة عالية، أمَّا أنا فلديَّ مهارة يدويَّة كافية لإجراء المعالجات بنجاح، لكنَّها ليست كافيةً لتخطِّي التحدِّيات الصعبة، وإجراء معالجاتٍ بصورة متميِّزةٍ ولافتة.

فحتَّى نحصل على المتعة من العمل إذًا، يجب أن يكون العمل صعبًا من جهة،

ويحتاج إلى مهارة تمتلكها أو يمكنك تطويرها لحلّ التحدّي الذي يبرز. هذا التوازن هو تمامًا ما أفتقده في مهنتي.

فجأة شعر جواد بقُشَعريرةِ سرورٍ تسري في جسمه، وهي التي يشعر بها المرءُ عند الإثارة. ثمّ شعر فجأةً بالسعادة والنشوة بعد إفراز كمّيّة من هرمون الدوبامين في دماغه، ثمّ تابع:

– أها! لهذا السبب بالتحديد كنتُ أحبُّ مسائل الرياضيّات المعقّدة، التي تحتاج إلى عمق في التفكير، وكنتُ أشعر بسعادة أكبر كلّما كانت تلك المسألة أصعب. كما كانت سعادتي تتضاعف عند حلّ المشكلة في النهاية. الآن فهمت سبب شعور الطلّاب الآخرين بالكآبة عندما يرَون تلك المسائل الصعبة ولا يعرفون حلّها.

ثانيًا: اندماج الوعي مع العمل بصورةٍ تامّة

فعندما يعمل الشخصُ في مهمّة غير ممتعة، فإنّه يستخدم جزءًا من وعيه فقط. أمّا المتعة فلا تحدث إلّا عندما يُشغل كامل الوعي في أثناء تنفيذ المهمّة، بحيث لا يتبقّى أيّ فائض منه. عندها سيندمج كامل الوعي مع المهمّة ويبدأ الشعور بالمتعة.

هذا هو بالضبط ما كنتُ أشعر به عند حلّ مسائل الرياضيّات، حيث كنت أنغمس في المسألة التي أحاول حلّها وأذوب فيها. ويحدث ذلك أيضًا عندما أقوم بأعمال أخرى كثيرة، حتّى عندما أشاهد بعض الأفلام، فأتقمّص دور البطل، أو أندمج مع قصّةٍ أو كتابٍ ما، عندها أستخدم كامل مساحة الوعي المتاحة. أمّا عندما أشاهد الأفلام المملّة، فلا أتمكّن من الاندماج معها، بل أنشغل بالنظر إلى هاتفي أو أقلّب الرسائل، وذلك حتمًا أحد أسباب عدم الشعور بالمتعة.

ومن ميزات الاندماج مع المهمّة هو أنّ الشخص ينسى آلامه ومشكلاته، كما ينسى هموم ماضيه وقلقه بشأن مستقبله، لذا فهو يعيش فقط في الوضع الراهن بكلّ لحظاته، ممّا يعزّز الإحساس بالسعادة.

ثالثًا: زيادة نضج الشخص

يصيرُ الشخص أكثر نضجًا ونموًّا بعد الانتهاء من فعل المهمّة الممتعة. فيتحوّل من شخص عاديٍّ إلى شخص أكثرَ تفرّدًا. فالتحدّيات التي مرّ بها الشخص تجعلُه يشعر بأنّه أكثر تمكّنًا وقدرةً عمّا كان عليه. لذا فعندما ينظرُ الشخص إلى نفسه كيف كان قبل أداء المهمّة، فسيلحظ الفرق بين ما كان عليه وما صار. كما أنّ الشخص يصيرُ أكثر تماسُكًا وقوّةً بعد انتهاء المهمّة. وبذلك فإنّه يزيد من ثقتِنا بأنفسنا. ومهما كان مقدارُ العناء والجهد الذي يبذل في أثناء العمل، فإنّه سيتلاشى بمجرّد انتهاء العمل، ويُستبدَل به النضج والمتعة، حتّى لو استمرَّ التعب الجسديّ.

إنْ فكرتُ في عملي في طبّ الأسنان سيتّضح كم هو مقدار العذاب والعناء الذي يحصل لي بعد الانتهاء من العمل. فما يحدث هو ليس نموًّا أو نضجًا، بل إحساسٌ بالتعب والاشمئزاز.

رابعًا: سرعة انقضاء الوقت

اختلاف الإحساس بالزمن هو أحد أكثر الأوصاف شيوعًا للتجربة المثاليّة والمتعة؛ حيث إنّ الزمن يمضي بسرعة أكبر من الوضع الطبيعيّ عندما نكون مستمتعين به. وكثيرًا ما يعبّرُ الناسُ عن السعادة بأن يقولوا: "طار الوقت بسرعة".

خامسًا: الحاجة إلى القيام بالعمل مرارًا

مَن يمارسُ الأعمال الممتعة يؤدّيها لذاتها، وليس لأنّ عليه القيام بها، أو أنّه مجبَرٌ عليها. لذلك تُعرَفُ هذه الأعمال بِاسْم الأعمال ذاتيّة الهدف (Autotelic Experience). فعندما يلعب شخصٌ كرة القدم بهدف الحصول على المال فقط، فهو لا يجعل اللعب عملًا ذاتيَّ الهدف، وذلك بعكس مَن يحبُّ تنظيف المنازل ويستمتع بهذا العمل لذاتِه، ومستعدٌّ للقيام به حتّى لو مجّانًا.

وبذلك فإنّ الشخص سيَشعرُ دومًا بحاجةٍ ملحّة للقيام بتلك الأعمال التي تجلب

إليه المتعة. أمّا مَن يَسعَدُ بانتهائها ويتمنّى أن لا يتكرّر مثل هذا العمل ثانيةً؛ بل يشعرُ بالاكتئاب كلّما تذكّرَ اقتراب وقتِ القيام به، فإنّه لا يُعدُّ عملًا ممتعًا أبدًا، تمامًا كشعور الكآبة الذي ينتابني كلّما تذكّرتُ اقتراب دوامي في العيادة.

رفع جواد يدَيه نحو الأعلى، ومدّد يدَيه وجسده قليلًا ثمّ قال:

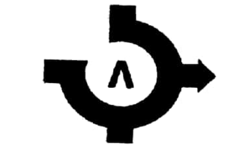
– إذًا هذه هي صفاتُ العمل الممتع والذي يدخلني في مرحلة التدفّق (Flow). ومن الواضح أنّ ذلك لا ينطبق على مهنتي الحاليّة. لكنّي لم أعرف بعد الإجابة عن سؤال أ. جمال. فقد أخبرني بأنّ الحلّ لأستمتع بمهنتي هو كلمة واحدة فقط! لكنْ ما هذه الكلمة؟ لقد مررتُ في الكتاب بنقاط مختلفة تصفُ الأعمال التي تشعِرُنا بالسعادة، وهي لم تكن موجودةً عندي، لكنْ لم تكن هناك كلمة واحدة دون غيرها.

أغلق الكتاب، ثمّ نظر إلى ساعته قائلًا: "يا إلهي! إنّها السادسة صباحًا، الوقت يطير فعلًا عندما نمارس ما هو ممتع".

نهض من مكتبه واتّجه إلى السرير. أمسك هاتفه وكتب فيه:

"لن أتمكّنَ من الحضور إلى العيادة صباحًا"

ثمّ أرسلَها إلى سعاد. بعدها قال في نفسه: "أعانني الله على تحمُّل ردّ فعلها عندما أراها مساءً".



الساعة الحادية عشرة صباحًا...

كان الصراخُ يملأ المكان، وبدأَتِ اهتزازاتٌ عنيفةٌ تضربُ يمنةً ويسرةً السريرَ حيث ينام جواد. كان مرتخيًا ولا يقدر على الحراك، وكان ذهنه مشوّشًا ولا يعرف ما يحدُثُ من حوله: "أهو زلزال يا ترى؟". حاول التركيز وإذا بشخص يمسكه بعنف، وكأنّه يريد إنقاذه من ذلك الزلزال.

فتح جواد عينَيه، وبدأ يفركُهما بقوّة ليتمكّن من الإبصارِ جيّدًا. بدأت الاهتزازات تخفّ بالتدريج إلى أن توقّفت، لكنّ الصوت المزعج استمرّ دون توقّف.

فرك جواد عينَيه ثمّ فتحها مرّةً أخرى، وإذا بسحر تتكلّم بلغة لم يفهمها. حاول أن يركّز أكثر، وحاولت هي أن تتكلّم بصوت منخفض أكثر ليفهمَها، ثمّ سمعها تقول: "لقد تأخّرت كثيرًا عن الدوام يا جواد".

نظر إليها باستغراب، ثمّ قال بصوتٍ أجشّ وهو يلتقط أنفاسه:

– ظننت أنّ البناية ستنهارُ! أليست لديك طريقةٌ أقلّ عنفًا لإيقاظي؟

ردّت سحر:

– لكنّك تأخّرت كثيرًا عن دوامك!

ردَّ عليها:

– إنّها ليست نهاية العالم إنْ تأخّرت! كما أنّي أخبرتُهم بأنّي لن أحضر في الدوام الصباحيّ.

نظر في ساعته ثمَّ قال لها:

– ما دمتِ قد أفسدتِ نومي، فلنخرجْ للإفطار معًا.

ارتدى جواد ملابسه وهو يخبر زوجته عن السياسات الجديدة «للإيقاظ من النوم»، والتي سيطبّقها في المنزل ابتداء من يوم الغد، وذلك لضمان السلامة العقليّة والنفسيّة لَمن يجري إيقاظهم. ثمَّ بعثَ برسالةٍ من هاتفه إلى زينة يقول فيها:

"سأكون عندك بعد قليل لنذهب ونفطر معًا"

اتّجه وزوجتُه إلى منزل زينة، حيث أقلّاها وذهبا إلى المطعم. في أثناء ركوبهم في السيّارة وجّهت سحر الكثير من الأسئلة إلى زينة، عن خطيبها وأهلها. ثمَّ قالت لها:

– كيف هي جامعتك؟

عندها قاطعها جواد فورًا:

– لنناقش هذه الأمور لاحقًا.

عند وصولهم إلى المطعم، كانت المكان مكتظًّا؛ فيبدو أنَّ جواد ليس الوحيد الذي يتناول الفطور قُبَيل الظهيرة بقليل. سأل جواد النادل:

– هل هناك طاولات شاغرة اليوم؟

أجاب النادل:

– أجل! هناك في الزاوية.

اتّجهوا إلى الطاولة، وجلست زينة في أحد أطرافها، وجلس جواد وزوجته على الطرف المقابل. طلب جواد البيض مع القهوة، أمّا هما فطلبتا ساندويتشين مع العصير.

وبينما هم بانتظار الطعام، أخرج جواد من جيبه دفتر الملاحظات وقال لزينة:

– لقد وجدت ٥ أسرار تجعل الشخص يشعر بالمتعة في عمله، سأخبرك بها لنرى ما إنْ كانت موجودة لديك أم لا، وقد لخّصتها لكِ من الكتاب.

ردّت زينة:

– حسنًا تفضّل.

قاطعَتْهما سحر:

– ما الأمر؟ هل تكرهين دراستَكِ أيضًا؟ أم أنَّ زوجي نقلَ عدوى الكآبة إليكِ؟

قاطعَهما جواد قائلًا:

– سحر حبيبتي، اتركيني أنشر مرض الكآبة بين الناس، لأعطيَهم بعد ذلك العلاج.

ردّت زينة:

– في الحقيقة أريد أن أترك الجامعة، وليست لجواد علاقةٌ بذلك! أظنُّ أنّي أنا مَن قلَّبَ عليه المواجع.

فقال جواد:

– توجَدُ خمس صفاتٍ في العمل الممتع، ووجودُها جميعًا، أو حتّى وجود بعضها، يعني أنَّ العملَ سيكون غايةً في المتعة. في وُسع الشخص تعديل عمله بعض الشيء ليُعيدَ إظهار تلك الصفات، ممّا يعودُ عليه بالمتعة.

ثمَّ بدأ جواد يذكر تلك الصفات الخمسة، مع إعطاء شرح عنها، وضربِ أمثلة عن حياته،

وكيف أنَّ هذه الصفات موجودة في مهاراتٍ ومَهامٍّ أخرى يقوم بها، على العكس من طبِّ الأسنان.

بعد أن انتهى من الشرح، سأل زينة:

– ما رأيك الآن؟

نظرت إليه، ثمَّ هزَّتْ رأسها، وقالت بلهجةٍ حزينة:

– يا إلهي، إنَّ الصفاتِ الخمسَ جميعَها موجودةٌ في مهامَّ كثيرةٍ أقوم بها، لكن ليس في جامعتي ولا دراستي؛ فمهاراتي لا تتناسب معها، لذلك أشعر بالإحباط دومًا. والدراسة تستنفدُ جزءًا من وعيي، لكنّي لا أستطيع أن أندمجَ معها تمامًا لأنسى ما حولي.

أمَّا عن إحساسي بالنموِّ والنضج عند دراسة الإدارة، فهذا لم يحدث قطُّ، والوقت يسير ببطء شديد وأنا في الجامعة وكذلك في أثناء الدراسة. ومن الواضح أنَّ مجرَّدَ ذِكرِ كلمة «جامعة» كفيل بتدمير حتَّى أيّام عطلتي.

نظر إليها وقال:

– إذًا لم نستفد شيئًا من أ. جمال؛ لأنَّه ادَّعى أنَّ هذا الكتاب يتضمَّن حلَّ مشكلتنا مع التخصُّص الذي نكرهُه! ويبدو أنَّ هذا الكتاب زاد من تفاقُم المشكلة، وجعلنا نشعر أكثر بوجودها.

والغريب أنَّ أ. جمال أخبرني بأنَّ الحلَّ هو في كلمة واحدة في هذا الكتاب، لكنّي لم أتوصَّل لهذه الكلمة، بل وجدتُ مجموعةً من النقاط التي تقيسُ السعادة في العمل.

ردَّت زينة:

– قال لك إنَّ الحل في كلمةٍ واحدةٍ فقط؟ هل أنت أكيدٌ من ذلك؟

أجاب:

– دون شكّ. هل يُعقَل أنَّها السعادة، أو التعاسة، أو شيء آخر لا أعرفه؟ في الحقيقة، يتضمَّنُ الكتابُ العديد من صفاتِ العمل الممتع، لكنّي لخَّصتها في خمسٍ. هل يمكن أن تُلخِّص النقاطُ الخمسُ في كلمةٍ واحدة؟

قالت زينة:

– ما دمتَ لم تتوصَّل للنتيجة، فلم لا تسألْه عن الحلّ؟

ردَّ جواد:

– للأسف، قال لي إنَّه لن يعطيَني أيَّةَ معلومات، ولن يجيبَ عن أيِّ سؤالٍ إلَّا إذا أعطيتُه الجوابَ الصحيح.

قاطعتهما سحر:

– جواد، أظنُّ أنَّ علينا المغادرة لترتيب بعض الأمور قبل ذهابك إلى الدوام المسائيّ.

ردَّ جواد:

– يبدو أنَّ الموضوع لم يكن ممتعًا لك. هل تريدين أن أشرح لكِ أسبابَ عدم استمتاعكِ به، والعلامات الخاصَّة بالمتعة؟

ضحك الجميع، وجهَّزوا أغراضهم، ثمَّ غادروا المطعم.

٩

السَّاعة الرابعة إلَّا ربع...

خرج جواد من منزله متَّجهًا إلى عيادته، مرتديًا المعطف الطبِّيَّ الأبيض الذي باتَ يُبغضُه كثيرًا. كانَ يفكِّر طَوالَ الوقت بالإجابة عن السؤال. الكلمة الوحيدة التي تتضمَّن الحلَّ لخروجه من مهنته الكئيبة.

كان يكرِّرُ الصفاتِ الخمسَ في ذهنه ويبحث عن الرابط ما بينها.

عندما دخل العيادة، استقبلَتْه سعاد بنظرتها المعتادة. هنا تصنَّع جواد ابتسامةً زائفةً وهو يقول في نفسه: "مرحبًا بالبومة". عندما اقترب منها قالت له:

- أهلًا وسهلًا بالوزير الذي يعتذر عن عدم الحضور قبل ساعات فقط.

ردَّ عليها وهو يحاول أن يُخفِيَ غضبَه:

- كنتُ متعبًا ولم أتمكَّن من النوم. هل من جديد؟

قالت له:

- لا جديد باستثناء وجود أربعةِ مرضى مستائين منك؛ لأنَّك غيَّرتَ موعدَهم فجأة. أحدهم أخذ إجازة من عمله ليأتيَ صباحًا.

ردَّ عليها:

- هناك ما يُسمَّى بالأحوال الطارئة، التي قد تحدثُ لأيِّ شخص، وقد تحدث لكِ أنتِ أيضًا. مَن يدري؟ فقد تتعرَّضين لحادث سير وأنت في طريقك إلى هنا، دون أن يكون لديك وقتٌ كافٍ لإبلاغنا بعدم قدومك.

قاطعته مسرعة:

- انتَقِ ألفاظك يا دكتور! ما هذا الشُّؤم؟ في المرَّة المقبلة سأفكِّر مليًّا في ما سأقوله لك لئلَّا تردَّ بهذه الطريقة.

استغلَّ الفرصة ليتابعَ إخافتها:

- هل تعلمين لماذا أسماني والدي «جواد»؟

كتَّفتْ يديها وابتعدت بنظرها عنه، وكأنَّها لا تريد أن تسمعَ تلفيقاته المستمرَّة حول اسمه.

تابع قائلًا:

- لأنَّه أراد منِّي أن أكون مخيفًا مثل الجراد أجتاحُ كلَّ ما هو أمامي، فيحسِبُ الناس ألفَ حسابٍ لي قبل أن آتي، تمامًا كما يَحسِبون ألف حسابٍ للجراد قبل وصوله.

ثمَّ ابتسمَ ابتسامةَ المنتصر، وغادر وهو يقول في نفسه: "يبدو أنَّ سعاد ستفكِّر مليًّا قبل أن تنتقدني في المرَّة المقبلة".

في طريق جواد إلى عيادته، مرَّ بعيادة د. بسَّام. لفتَ انتباهَه صوتُ الضحك الذي يظهر بوضوح من خارج العيادة، رغم أنَّ الباب موصَدٌ.

توقَّفَ جواد أمام باب العيادة، وبدأ ينظرُ إلى د. بسَّام من النافذة الزجاجيَّة وسط الباب. توقَّف طويلًا يتأمَّل، ويسألُ نفسَه بحسرة: "لماذا بسَّام سعيد أمَّا أنا فلا؟ ما الذي يفعله بصورةٍ مختلفة؟ هل يُعقَلُ أنَّ لديه هذه الصفات الخمس؟ هو حتمًا كذلك، وإلَّا لما تمكَّن من البقاء في العيادة سعيدًا لهذه الدرجة".

لم يتمالك نفسَه، فطرق الباب ثمّ فتحَه قائلًا:

– د. بسّام، هل يمكن أن أتحدَّث دقيقةً إليك؟

ردَّ بسّام:

– بكلِّ سرور، انتظرني دقيقتَين لو تكرَّمت.

خرج بسّام من العيادة وذهب مع جواد إلى غرفة الأطبّاء. كان بسّام طويلًا أسمرَ البشرة، ذا شعرٍ أسوَدَ وعينَينِ سوداوَين. أوّل ما يشدُّك إليه هو ابتسامته المرتسمة دومًا على وجهه، لا سيّما عندما يكون في العيادة. تعرّف إليه عندما عمل في هذه العيادة قبل سنتَين. وكانت علاقتهما قويّةً جدًّا في العمل وخارجه.

بادرَ جواد بسؤاله:

– أريد أن أطرحَ عليك سؤالًا عن عملك. هل يمكنني ذلك؟

ردَّ بسّام:

– بالتأكيد، تفضَّلْ!

طرحَ سؤالَه الأوّل:

– بماذا تشعر وأنت تعالج المرضى في عيادتك؟

ردَّ بسّام:

– سؤالك غريبٌ حقًّا! لماذا؟

قال جواد:

– مجرَّدُ سؤال، وأرجو أن تجيبَني بصراحة.

قال بسّام:

– امم... لا أعرف ما تريده بالضبط، لكنَّ عملي مع المرضى هو رسالة، فأنا أعالجهم، كما أنّي أزيلُ آلامَهم وأحسِّن حياتَهم وأجعلُها أفضل؛ فالحفّارة التي أمسكُها ليست مجرَّد حفّارة، بل هي ريشةٌ أرسمُ بها على أسنان المرضى، وأزيل بها آلامهم. وبمجرَّد أن أمسكَها أحسُّ بأنّي دخلتُ في فقّاعة تعزلني عن كلِّ ما يحيط بي. أحسُّ أنَّ عليَّ القيام بهذا العمل حتّى لو كان دون مقابل. وفي كلِّ مرّةٍ، أبحثُ عن تحدٍّ جديدٍ مع المرضى لأجتازه، وأضيفُ المزيد إلى خبرتي ومعرفتي في طبِّ الأسنان.

في أثناء إجابة بسّام، كان جواد يتساءل: "عن أيِّ مهنة يتكلَّم؟ أهذا طبُّ الأسنان الذي أعرفه؟".

عندما انتهى بسّام من الإجابة، تابع جواد قائلًا:

– وهل يمضي الوقت بكَ بطيئًا بينما تعمل؟

أجاب بسّام:

– على العكس، بل يمضي سريعًا، لا سيّما عندما أعالج الحالات الصعبة؛ فالتحدّي يجعلني أشعر بالإثارة. ولا يعني ذلك أنّه يسير دومًا بالسرعة نفسها، لكنّه أسرع من الوقت الاعتياديِّ عمومًا.

لم يعرف جواد ماذا سيردُّ عليه. كان الردُّ الوحيد الذي خطر بباله هو "تبًّا لك! لقد أفسدْتَ عليَّ يومي"؛ فجواد لم يعتقد يومًا أنَّ هذه المهنة يمكن أن تُشعِرَ أيَّ مخلوقٍ بهذا القدر من السعادة! كما أنَّ شَرْحَ بسّام لعمله، هو تمامًا الوصف الذي وجده في الكتاب.

شكرَ جواد د. بسّام، وقال له إنَّه طرحَ عليه هذا السؤال لأنّه أراد أن يتحقَّقَ من إخلاصه للمهنة.

من السيِّئ أن يخبره بأنّه يكره مهنته.

رجع جواد إلى عيادته، حيث كان أحد المرضى بانتظاره. نظر في ملفّ المريض، ثمّ أمسك الحفارة، وقال له: "افتح فمك"، وبدأ يحفر أسنانه.

ترك جواد "الطيّار التلقائيّ" (Auto pilot) يُكمِلُ الحفرَ الروتينيّ، بينما كان يفكّرُ في حلّ اللغز: "كيف سأكون سعيدًا في المهنة؟ الصفات الخمس التي يجب أن تتوافر في المهنة الممتعة، ليست موجودةً لديّ. ولم يذكر الكتاب أيّ شيء عن كيفيّة خَلقِ هذه الصفات في المهنة!".

سأل نفسه: "كيف تمكّن بسّام من محبّة هذه المهنة؟ وكيف تمكّن من إحداث هذه الصفات الخمس؟".

تابع جواد علاج المريض، وهو يفكّر أكثر. سأل نفسه:

– يستحيل أن أتمكّن من تحقيق هذه الصفات الخمس في ممارستي لطبّ الأسنان! لكنّ د. بسّام فعلَها، وبالنتيجة وصل إلى التدفّق الذي تناوَلَه المؤلّف، وهكذا شعر بالمتعة...لحظة! التدفّق؟

وفجأةً، انطلقت كمّيّة كبيرة من هرمون الدوبامين في دماغه، وأحسّ قُشعريرةً وسعادة تغمر جسده. "هل يعقل أنّ هذا هو الجواب؟"

أتمّ جواد علاج المريض بسرعة، ثمّ خلع قفّازاته المطاطيّة ورماها على صينيّة الأدوات، وخرج مسرعًا إلى سيّارته.

فتحَ السيّارة وأمسك الكتاب الذي كان ملقًى على الكرسيّ الخلفيّ. ثمّ قال:

– إنّ اسم الكتاب هو «Flow» ويعني التدفّق. والكتاب كلّه يتحدّث بكيفيّة الوصول إلى هذه الحالة المثاليّة التي تجعلنا نشعر بالمتعة والسعادة. ثمّ وضع بعض

الصفات التي تجعلك تدخل في هذه المرحلة. وبذلك فالكتاب بأكمله مخصّص لشرح هذه الحالة.

صفاتُ المتعة المذكورة في الكتب غير موجودة في عملي في طبّ الأسنان، لكنّها موجودة في مَهامّ أخرى مثل حلّ مسائل الرياضيّات والقراءة، ومن ثَمّ، فإنّ الحلّ هو أن أعملَ في مهنةٍ تجلب إليّ المتعة- مهنةٍ تضعُني في حالةِ «التدفّق». وبذلك إنْ كان هناك حلٌّ لمشكلتي، سيكون في ترَكِ العمل في هذه المهنة التي لا تَضَعُني في حالةِ التدفّق، والبحث عن مهنةٍ بديلةٍ تضعُني فيها.

لذلك الحلُّ حتمًا هو في عنوان الكتاب: كلمة «التدفّق».

لم يتمالك جواد نفسه، فأخذ هاتفه واتّصل بالأستاذ جمال. رنّ الهاتف عدّة مرّات دون أيّ ردّ. تأفّف جواد وعاد إلى عملَه مع مرضاه.

الآن بدأ جواد يفكّر بطريقةٍ مختلفة بعد أن عرف الحلّ:

– ماذا لو تركتُ طبّ الأسنان، ماذا سأفعل؟ هل سأتمكّن فعلًا من إيجاد حالة التدفّق في مكانٍ آخر؟ كيف يمكنني أن أجدَ تلك المهنة التي تضعُني فيها؟ وهل إجابتي صحيحة أصلًا؟ وهل هذا هو الحلُّ فعلًا؟

١٠

أنهى جواد الدوام وغادر العيادة. كان يفكّر في التدفُّق، وفي أ. جمال.

بينما هو كذلك رنّ هاتفه، ولمّا نظر ابتسمَ وردَّ بحماسةٍ:

– السلام عليكم أ. جمال.

ردَّ أ. جمال:

– وعليكم السلام د. جواد. هل توصّلتَ إلى الحلّ؟

قال جواد متردّدًا:

– أظنُّ أنّ الإجابةَ هي عنوان الكتاب «Flow» أو التدفُّق، وأظنُّ أنّ حلَّ مشكلتي هو أن أعمل في مهنة تضعُني في هذه الحالةِ– حالةِ التدفُّق.

ردَّ أ. جمال:

– الإجابة صحيحة، هذا ما قصدتُه فعلًا. لم أتوقَّعْ أنّك ستصلُ إلى الإجابة في يومٍ واحدٍ فقط! يبدو أنّك لم تَنَمِ الليلَ، وسهرت على قراءة الكتاب.

قال له جواد:

– لكنّي أظنُّ أنّ الحلَّ الذي وصلتُ إليه ليس مكتملًا، أليس كذلك؟

ردَّ عليه أ. جمال:

– لماذا ليس مكتملًا؟ إنّ الحلَّ للخروج من مشكلتك هو أن تعمل في مهنة تضعك في حالة التدفُّق.

قال جواد:

– نعم هذا ما توصّلتُ إليه، لكن أين هي هذه المهنة؟ وكيف سأصل إليها؟

ردَّ أ. جمال:

– سؤالك مهمّ. أخبرني، هل أنت مستعدٌّ للتحدّي التالي لتصل إلى الجواب؟

قال جواد باستغراب:

– التحدّي التالي؟ أتعني أنّ التحدّي لم ينتهِ بهذا الجواب؟ لقد أخبرتني بأنّ حلّ مشكلتي موجود في هذا الكتاب.

قال أ. جمال:

– إنّه هناك تمامًا؛ فهذا الكتاب يجعلُك تفهَمُ ما إذا كان عليك تغيير مهنتك أم لا. وما دمتَ قد قرّرتَ تغييرها، فالتحدّي لم ينتهِ، بل هو بدأ للتوّ.

أراد جواد أن يردّ، لكنّه انتبه بأنّ الاتّصال انقطع.

"تبًّا!" قالها جواد بصوت مرتفع.

ثمّ بدأ يسأل نفسه: "ما الذي قصده بأنّ التحدّي بدأ للتو!".

عندها وصلتْه رسالةٌ على هاتفه. رفع الهاتف لينظر إلى الرسالة، فكانت من أ. جمال.

قرأ الرسالة التي كانت من سطر واحد:

"Finding Your Element, Ken Robinson"

تحمّس جواد عندما شاهد الرسالة؛ إذ كان هذا هو الكتابَ التاليَ الذي عليه قراءته.

بعد دقائق وصلتْه رسالةٌ أخرى على هاتفه. فتح الهاتف وإذا برسالة أخرى من أ. جمال، مكتوب فيها:

"لتقيس القدرة في مهمّة ما استخدم التالي:

Success: سبقَ لكَ أن نجحتَ في أداء هذه المهمّة

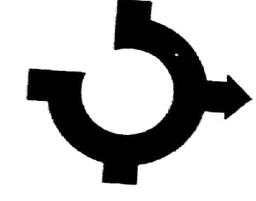
Instinct: تؤدِّي هذه المهمّة بصورةٍ تلقائيّة وفطريّة

Growth: تنمو ويتطوّر مستواك بسرعة بينما تؤدِّي هذه المهمّة

GPYSTW"

ثمّ قال جواد:

– يا إلهي، ماذا يقصد بذلك؟ وماذا تعني كلمة «GPYSTW»؟



الفصل الثاني

اكتشاف الذات

١

بعد عدَّة أيَّام...

اجتمعَتْ عائلة زينة على الغداء، جلست زينة إلى الطاولة الخشبيَّة الكبيرة بجانب أخيها خالد. كان خالد يشبه زينة كثيرًا، لكنَّه بنسخة ذكوريَّة؛ فهو قصيرٌ وممتلئ الجسم وأبيض البشرة، مع شعر بُنِّيٍّ وعيون بُنِّيَّة. يحبُّ خالد كرة القدم، ويلعبها في معظم الأيَّام بعد انتهاء دوامه المدرسيّ، وهو طالب في الصفّ الثالث من المرحلة الثانويَّة. تعدُّ هذه المرحلة من المراحل المهمَّة في حياة أيِّ فرد؛ لأنَّه ينتقلُ بعدها إلى مرحلة الجامعة عادة، والقرار الذي سيتَّخذه عندها سيكون أحد أهمِّ قرارات حياته. غلطة واحدة، ويتغيَّر كاملُ مسار حياته.

جاءت الأمُّ ووضعت طبق الطعام على الطاولة، وبدأ البخار يتصاعدُ من الطبق ناشرًا معه الرائحة الزكيَّة التي زادت من إحساس الحاضرين بالجوع. إنَّه طبق ورق العنب، الوجبة المفضَّلة لزينة. يتكوَّن الطبق من أرزٍّ مع لحم مفروم يكوِّنان "الحشوة"، التي توضع في ورق العنب وتُلفُّ، والأهمُّ من ذلك هو قطع اللحم التي توزَّع بين طبقات الورق الملفوف.

نزل والد زينة، أنور، من غرفته وجلس إلى الطاولة مقابلَها، بجانب زوجته ضحى. كان أنورُ سمينَ الجسم وأصلع الرأس، ويضعُ نظَّارات بإطار أسود. وجهه عابس في معظم الأوقات، وكأنَّ شريطًا مريرًا من الذكريات يسير في مخيِّلته طَوال الوقت. يحمل أنور

شهادة الدكتوراه في الهندسة الكهربائيّة، ويعمل مدرّسًا في كلّيّة الهندسة الكهربائيّة في الجامعة. كان يحلم دومًا أن تكون ابنته وابنه مهندسَين مثله، لكنّ معدّل زينة المنخفض في شهادتها الثانويّة لم يترك لها الخيار إلّا لدراسة الإدارة. كانت هذه هي خيبةَ الأب الأولى في أبنائه، وهو يتمنّى ألّا تتكرّرَ مع خالد. ويريد الآن من زينة أن تكون متفوّقةً لتصيرَ أكاديميّة مثلَه، لعلّها تُصلحَ بعضَ ما أفسدَتْه.

بدأ الجميع يتناولون الطعام بحماسةٍ، ما عدا أنور، الذي كان يجلس منزعجًا دون أن يأكل. توجّهتْ أنظارُ العائلة نحوه؛ فانزعاجه بدأ يثير قلقهم، فتوقّفوا عن الأكل.

كسرَتْ ضحى جدارَ الصمت، وقالت:

– ما بالُك هادئًا اليوم على غير عادتك، يا عزيزي؟

ردَّ بصوت هادئ:

– وكأنّك لا تعرفين السبب!

ردّت ضحى:

– أعرف ذلك، لكنّ طاولة الطعام ليسَتِ المكان المناسب لمناقشة أمور كهذه.

فسألت زينة بقلق:

– خيرًا إنْ شاء الله! ما الذي حدث؟

ردّت ضحى:

– سنتكلّم في الأمر لاحقًا.

أحسّتْ زينة أنّ المشكلة أكبر ممّا كانت تظنّ، فألحّت بالسؤال:

– لقد أقلقتمانا. نريد أن نعرف ما الذي يحدث. هل هناك مشكلة في عمل والدي؟

ردّ أنور بغضب:

– عملي جيّد، والمشكلة ليست عندي، بل عندكِ أنتِ.

ردّت مستغربة:

– عندي أنا؟ ما الذي حدث؟

قال لها:

– لقد اتّصل بي يوم أمس والدُ تامر، وأخبرني بأنّك تريدين تَرْكَ الجامعة، وأنّك جادّةٌ في ذلك. هل هذا صحيح يا زينة؟

ارتبكت من سؤال والدها. لم تكن قد استعدّتْ للإجابة عن هذا السؤال؛ فقد كانت تنوي تأجيل إقحام أهلها في قرارها الذي تعرف مسبّقًا كيف سيردُّون عليه. صمتَتْ قليلًا، ثمّ قالت بتردُّد:

– إنّي مكتئبة من الجامعة، وبدأت أفكّر في حلول لـ...

قاطعها وقال:

– في حلول لتَرْكِها؟ هل هذا ما تعلمتيه منّي طَوال الأعوام الماضية؟ ألا تعلمين أنّي أكره الجَهَلةَ والفاشلين الذين يُطرَدون من جامعاتهم؟ ألا تكفيك درجاتك المخزية في الثانويّة التي لم تمكّنْكِ من دخول كلّيّة الهندسة؟

ردّت بغضب:

– لكنّي لستُ جاهلة، كما أنّي لم أتمكّنْ من محبّة تخصّص الإدارة.

قال لها:

– في وُسعكِ أن تحبّي أيَّ تخصّص لو أردتِ ذلك؛ فالناجح سينجح في أيّ

تخصُّص يريده، والفاشل الذي يترك جامعته مثلكِ سيفشل في أيّ تخصُّصٍ آخرَ مهما كان.

لم تعرف كيف تردّ، فآثرَتِ الصمتَ.

ثمَّ تابع:

– وبعد أنِ اتَّصل بي أهلُ تامر، قلتُ لهم إنّي لن أسمحَ لك بمغادرة الجامعة، ولن أسمح لك أيضًا بتنفيذ أفكارك الحمقاء هذه. وستتابعين الدراسة إلى أن تتخرَّجي وتحصلي على الدكتوراه فيها. أهل تامر مثقَّفون، ووالده زميلي في الجامعة. وجميعنا نكره الجهلة.

لم تتمكَّن زينة من تحمُّل نبرةِ والدها. فقامت من كرسيِّها، وغادرت غرفة الطعام إلى غرفتها. أغلقَتِ البابَ على نفسها وانفجرت بالبكاء.

الساعة التاسعة مساء من يوم الخميس.

فتح جواد كتاب "Finding Your Element" وهو متحمِّسٌ جدًّا. لقد زار المكتبة فور استقباله الرسالةَ من أ. جمال، لكنَّهم أخبروه بأنَّ هذا الكتاب غير متوافر لديهم. وكان عليه أن ينتظر أسبوعًا كاملًا حتَّى يصل إليهم. أسبوع مرَّ بصعوبة وهو في انتظار نسخته. والآن حان الوقت ليبدأ قراءتَه.

رغم إحباطه من الكتاب الأوَّل الذي لم يعطه الحلَّ كاملًا، بل أثارَ عليه المواجع أيضًا، فإنَّه بدأ على الأقلّ يشعر بأنَّه يسير على الطريق الصحيح الذي لا يعرفُ طولَه بعد. كما أنَّه بدأ يستمتع بالرحلة، أو على الأقلّ، بدأ يمارس أمورًا تُشعِره بالسعادة؛ فهو يحبُّ القراءة والبحث عن المعرفة والتحليل. وقد بدأ يفهم أكثر ما يحدث له.

راح يقلِّب صفحاتِ الكتاب، وقال في نفسه:

– الكتابُ للمؤلِّف كين روبنسون، ومعنى عنوانِه هو «ابحث عن عنصرك». لكن ماذا يقصد بكلمة «عنصر»؟

يبدو أنَّه ألَّف كتابًا قبل هذا بعدَّة سنوات، وسمَّاه «The Element» أي العنصر. وتحدَّث في ذاك الكتاب بأنَّ لدى كلٍّ منَّا عنصرًا متميِّزًا في داخله يمكِّنه من العمل بصورةٍ رائعة وممتعة في مهن معيَّنة. وقد ذكرَ فيه أنَّ العملَ وَفقًا للعنصر يزيد من

سعادة الشخص وإبداعه وتميُّزه. وبعد أن أصدر الكتابَ، طالبَه قرّاءٌ كثيرون أن يذكرَ طريقةً تمكِّنهم من إيجاد هذا العنصر، لمعرفة المهامّ التي يتقنونها، وتُشعِرهم بالسعادة، وكانت إجابته عن تساؤلهم هي بتأليف كتاب «ابحث عن عنصرك»، الذي يتضمَّن عشرةَ فصولٍ لتُجيبَ عن السؤال.

توقَّفَ جواد قليلًا عند عبارةٍ أقلقتْه، ثمَّ تابع التصفُّح قائلًا في نفسه:

– يا إلهي! ذكر المؤلِّف حقيقةً مؤلمةً تقول: «لا أضمن لك أن تجدَ عنصرك في نهاية الفصل العاشر»؛ فهو سيرشدنا إلى الطريق، لكنَّه لن يضمنَ لنا أنَّ الطريقَ سيوصلنا إلى الحلّ! أيعقل هذا يا عزيزي كين؟

لكنْ لحظة، أليس هذا هو ما يحدث مع جميع الرحلات الاستكشافيَّة، حيث لا ضمانة لأنْ نجد ما نبحث عنه؟ فلو قرَّرتُ مثلًا أن أنقِّب عن الذهب في نهرٍ ما، فلا ضمانة أنْ أجده. ومع أنَّ اختيار المكان والطريقة المناسبَين للتَّنقيب عنه سيزيد من فرص الوصول إليه، فإنَّ ذلك لن يضمَنَ العثور عليه. وقد ذكر أ. جمال ذلك لي أيضًا، عندما وصفَ رحلةَ اكتشافِ الذات بأنَّها أصعَبُ الرحلات التي قد يخوضها الشخص.

لكن ما الذي يجعل رحلة اكتشاف الذات بهذه الصعوبة؟

تابع تقليب الصفحاتِ علَّه يجدُ إجابةً شافيةً عن سؤاله.

– إنَّ للعنصر الموجود لدى كلٍّ منَّا ثلاثَ صفاتٍ تتسبَّب جميعُها في زيادة صعوبة العثور عليه. وهذه الصفات الثلاثُ هي:

أوَّلًا: حياةُ كلٍّ منَّا فريدة

فلكلٍّ منَّا حياة مختلفة تمامًا عن حياة غيره؛ لذا يستحيل تطبيق وصفةٍ واحدةٍ على الجميع. من الممكن فقط وضعُ خطوطٍ عريضةٍ عامَّةٍ تساعدنا في رحلة بحثنا عن العنصر.

ثانيًا: نحن مسؤولون عن رسم مسار حياتنا

فالماضي هو مجرَّد ماضٍ لا يمكننا تغييره. لكنَّ المستقبل يقع تحت سيطرتنا، وفي وُسعِنا أن نرسمه ونشكِّله كما نريد. وبذلك فقرارات الماضي الخاطئة، ولَّتْ وانتهت، وعلينا بدلَ التركيز عليها التركيز على المستقبل؛ فالمستقبل هو ما سيتغيَّر بناءً على ما نفعله اليوم. لذا فإنَّ عدم استخدامنا للعنصر الخاصِّ بنا في الماضي لا يعني أن نتوقَّفَ عن البحث عنه.

وبذلك علينا ألَّا نبقى أسرى مهنٍ نكرهها ولم نتمكَّن من الاستمتاع بها، بل علينا البحث ورسمُ حياتنا بأنفسنا؛ فمستقبلنا لنا، وليس لأحد أن يملي علينا ما سنفعله فيه.

أنا مَن سأجلس حتَّى آخر عمري على كرسيِّ الأسنان التعيس لأعالج المرضى! لا أهلي ولا أصدقائي سيجلسون عليه بدلًا منّي، لذا لا يحقُّ لهم التدخُّل في رسم مستقبلي.

ثالثًا: الحياة متجدِّدة

لا تسير الحياة بنمطٍ خطِّيٍّ متوقَّع، بل تتجدَّدُ وتتغيَّرُ باستمرار، لذلك يكونُ التنبُّؤ بالمستقبل وتوقُّعه أمرًا مستحيلًا. لذا لو نظرنا إلى حياة شخص ما ورأينا مسارَها وكيفيَّةَ تطوُّره فيها، فلا يعني هذا بتاتًا أنَّ في وُسعِنا تقليد ما فعله لنحصلَ على النتائج نفسها؛ فالحياة متجدِّدة والأحوال تتغيَّر وتتبدَّل باستمرار، وبذلك لو سِرْنا على خطاه ذاتِها، فسنصلُ إلى نتائج مختلفة تمامًا.

انطلقَتْ دفعةٌ من هرمون الدوبامين في دماغ جواد، وأحسَّ بسعادة تسري في جسده. تابع تصفُّحَ الكتاب ليرى نوعَ الخُطَّة والنصائح التي سيعطيها المؤلِّف.

– ما تبقَّى من الكتاب هو عبارة عن قصص لأشخاص عملوا في نقاط تميُّزهم، أو عنصرهم، مع ذكر الآليَّة التي جعلتهم يكتشفونَها، ووصف للسعادة التي حصلوا عليها نتيجةَ ذلك.

كما أنَّ الكتاب حافلٌ بالتمارين التي تساعد على الوصول إلى العنصر. ويعتمدُ النجاح في تطبيق الكتاب على حلّ التمارين، مع بذلِ الجَهد في ذلك، وليس مجرّد قراءتها.

أمسك جواد الكتاب، وراحَ يقلّب الصفحات بسرعة ليصلَ إلى نهاية الكتاب. ثمَّ توقّف قبل النهاية بقليل، وقال:

- يا إلهي، الكتاب يتضمّن ثلاثة عشر تمرينًا، ويتضمَّنُ كلٌّ منها الكثير من الأسئلة! إنَّه طويلٌ جدًّا. كيف سأعطي هذا الاختبار الطويل لزينة لتجيبَ عن أسئلتِه؟

أنا أومنُ بأنَّ الموضوع يحتاج إلى بذْلِ الجهد، لكنَّ الأسئلة كثيرةٌ، وقد تكون مُحبِطة!

بدأ يفكّر في طريقة مبسَّطةٍ لحلّ التمارين. وبينما هو يفكّر، لمعت في رأسه فكرة: "ماذا لو تمكّنتُ من تلخيص الأسئلة بصورةٍ مبسَّطةٍ لنتمكّن من حلّها بسهولة أكبر؟".

وبعد قليلٍ من التفكير، فتحَ دُرجَ مكتبه، وأخرج منه قلمًا ودفترًا، ثمَّ سحبَ نفسًا عميقًا، وأخذَ يقرأ الكتابَ، ويرسمُ ويخطّطُ في الدفتر.

بعد عدَّة ساعات، نظر إلى ساعته، ثمَّ تذكّر: "ماذا حدث لزينة بعد تلك المشكلة مع أهلها يا ترى؟".

٣

بعد ٣ أيّام...

تلقّتْ زينة رسالةً على هاتف النقّال، فتحت الهاتف لتقرأها:

"أنا في الأسفل افتحي الباب".

قالت في نفسها: "ما الذي جاء بجواد في هذا الوقت من الليل؟".

نزلت وفتحت الباب له. وبمجرّد أن رآها قال لها:

– مرحبًا بزينة، لقد أنهيتُ تلخيصَ الكتاب الثاني الذي أخبرني بشأنه أ. جمال.

ردّت بحماسة:

– الخاصّ بمعرفة أين سنجد «التدفّق»؟

قال لها وهما يسيران نحو غرفتها في الأعلى:

– تمامًا، لكنّ مؤلّف هذا الكتاب يفضّل تسمية التخصّص الذي يتميّزُ به الشخص، ويُشعِره بالسعادة باسم العنصر «Element». يبدو أنّ كلّ مؤلّفٍ يُسمّي هذا الشيء كما يحلو له. لو أنّ الأمر بِيَدي لسمّيتُه «سمير»، على اسم جَدّي رحمه الله.

توقّفتْ على الدرج، ورمقته بابتسامة باردةٍ صفراء لتوصلَ إليه مدى غباء هذه النكتة.

لم يلتفت وتابع السير قائلًا:

– لكنّ «العنصر» هو اسم التخصّص المناسب لكِ والذي تتميَّزينَ به. أمّا «التدفّق» فهو الإحساس الذي تشعرين به عندما تعملين في هذا العنصر، ويشعرك بالسعادة. في النهاية، هما يشيران إلى الأمر نفسه، لكنْ من منظورٍ مختلف.

بعد أن دخل غرفتها واطمأنّ أنّ أحَدًا لن يسمعَهما، سألها:

– هل من جديدٍ بخصوص ما حدث بينك وبين والدك؟

قالت له:

– لا شيء. ما زالَ منزعِجًا جدًّا من تفكيري، ومُصِرًّا على رفضِه فكرةَ تركي للجامعة، بل إنّه يريد منّي حتّى أن أنسى الفكرة تمامًا.

انزعجَ جواد ممّا قالَتْه، وردّ عليها:

– للأسف! هذا ما لا يريد أن يفهمَه الآباء.

من الخطأ على الأهل الدخول في معركة ضدّ أبنائهم عند اختيار تخصّصهم؛ لأنّها معركة يخسر فيها الجميع. فإنْ خضعتِ لاختيارهم لإرضائهم، فسوف تعيشين في كآبة وحسرة باقي عمرك بسبب اختيارك مهنة تكرهينها، وبذلك ستصيرُ حياتُكِ جَحيمًا ينقلب في النهاية عليهم. أمّا إنْ عارضْتِ خِيارَهم واخترتِ مهنة تحبّينها، فلن يرضَوا عنكِ، وستكملين حياتك سعيدة بمهنتك ومنقطعة عنهم بسببها.

لذا من الخطأ على الأهل خوض معركة كهذه. لكنّهم للأسف يفعلونها دومًا، والنتيجة تكون إمّا دمارَ مستقبل أبنائهم، وإمّا نزاعًا طويلَ الأمد مع الأهل. إنّها جريمة يكون الأهل هم المسؤولَ الأوّلَ والأخيرَ عنها.

سألته زينة:

- وبرأيك ما الذي عليّ فعله الآن؟

فكّر جواد قليلًا، ثمّ أجابها:

- إنّ قُرَيشًا لم تتركْ لنا خِيارًا سوى الحربِ يا زُبَيدة.

نظرَتْ إليه زينة باستغراب، فتدارَكَ ما قالَه تابعَ:

- امم، في الحقيقة لا أعرف تمامًا.

لكنَّ الأهل ليسوا مسؤولين عن اختيار تخصُّصك. إنْ كان والدُكِ مستعدًّا لأنْ يدرسَ موادَّك ويقدّم اختباراتك بالنيابة عنك؛ ثمّ يداوم مكانك في عملك المستقبليّ، فاتركيه يتّخذ القرارَ كما يشاء! أمّا إنْ رفضَ ذلك، فهذا مستقبلك، وأنت ستعيشين تخصُّصك ببؤسه وكآبته حتّى آخر يوم في حياتك.

تردَّدتْ زينة في الرّدّ، ثمّ صمتَتْ.

فقال لها جواد:

- والآن حان الوقت لتتعرّفي ما يعنيه «فلتر التخصُّصات».

٤

أخذ جواد دفترًا من زينة. كان دفترًا زهريًا تزيّنه القلوبُ والأزهار. قال جواد في نفسه: "كم أكره دفاتر البنات! أتمنّى أن أجبرَها على استخدام دفتر عليه صورُ تماسيحَ تفترس طيورَ الاوزّ، لأرى كيف سيكون شعورها كلّما استخدمته".

بدأ يقلّب صفحات الدفتر حتّى وصل إلى صفحة فارغة.

رسم على الورقة مستطيلًا عموديًا، ثمّ رسمَ في هذا المستطيل خطّين أُفقيّين لتكونَ النتيجة ثلاثةَ مستطيلات بعضها فوق بعض، وكتب بجانب المستطيل الأوّل كلمة «مخزن الأعمال»، وكتب بجانب المستطيل الأوسط «مصفاة القدرة»، وبجانب المستطيل الأخير «مصفاة المتعة». ترك المستطيل الأوّل بلا تقسيم، ثمّ رسمَ ثلاثة خطوط عموديّة في المستطيل الأوسط ليقسمَه إلى ٤ خانات، وخطّين عموديّين في المستطيل الأخير ليقسمه إلى ٣ خانات.

مخزن الأعمال

مصفاة القدرة

مصفاة المتعة

ثمّ بدأ يشرح:

– الآن يا زينة، عليك أن تكتبي كلَّ المهن والتخصُّصات والمهامّ والأعمال والمهارات التي تقومين بها أو تعرفينها، وذلك لتختبريها وتعرفي لاحقًا المهنة المناسبة لك. عليك أن تضعي جميع ما يمكن أن تتذكَّريه منها في مخزن الأعمال. ليس مهمًّا أن تكوني

جيِّدةً فيها أو أن تحبّيها أو تعرفيها، فقط ضعي كلَّ ما تتذكَّرينه منها. عليك تعبئة هذا المخزن بأكبر كمِّيَّةٍ ممكنةٍ من المدخلات. وكي تنجحي في هذا التمرين، عليك أن تُدخِلي ما بين ٢٥ و٥٠ مُدخلًا في المخزن، والأفضل أن تصلي إلى ١٠٠ مدخل.

قاطعته وقالت مدهوشة:

– ماذا؟ ١٠٠ عمل سأدخلها في المخزن؟ من أين سأتي بها؟

ردَّ جواد:

– لا داعي لأن تصابي بالجلطة يا عزيزتي، من الأفضل أن تصلي إلى عدد كبير من المُدخَلات لتتعمَّقي أكثر في بحثك وتنقيبك. أمَّا إنْ عبَّأتِها بعدد قليلٍ فقط، فيعني هذا أنَّكِ فكَّرتِ بصورةٍ سطحيَّة دون أيِّ تعمُّق.

بعدَها واصلَ حديثَه قائلًا:

– لتسهيل البحث، سوف أَقسِمُ لك المدخلات ضمن ثلاثة أنواع:

النوع الأوَّل: التخصُّصات

وهي أسماء لمهن أو تخصُّصات أو فروع أو حتَّى مَهامّ. جميع المدخلات من هذا النوع ستكون أسماءً، مثل الهندسة المدنيَّة، وعلم البيانات، والرياضيات، والتجارة، والحساب، والطبّ، وطبّ العيون، وعلم اللغويَّات، والزراعة والريّ، والتعليم. فكِّري في المهن والمهامّ التي عملتِ بها أو احتككْتِ بمَن يعمل بها. فكِّري في المهن التي يعمل بها أصدقاؤك وأقرباؤك. فكِّري في المهن التي تُعجِبُك وتَظنِّين أنَّها ممتعة.

النوع الثاني: المهارات

المهارات هي الأفعال التي تؤدِّيها لإنجاز المهامّ المختلفة. عندما تطبُخين وجبةً ما، فما تؤدِّينَه هو «الطبخ»، وعندما تتحدَّثين إلى الناس، فهذا هو «التواصل» و«الإصغاء»،

وعندما ترسمين تصاميم المباني، فهذا هو «التصميم الهندسيّ». لذا فالطبخ والتواصل والإصغاء والتصميم الهندسيُّ جميعها مهارات تؤدِّينَها. قد تكونين متميِّزة فيها أو لا تكونين كذلك.

وللمهارات ثلاثة أنواع: أوَّلها، المهارات المرتبطة بالأشياء، كالرسم ولعب كرة القدم وقيادة السيَّارة وتشغيل الأجهزة وتركيب الأشياء وغيرها. وثانيها المهارات المرتبطة بالناس، كالتواصل والإقناع والعرض والتحدُّث أمام الجمهور والتدريب والإدارة وغيرها. أمَّا ثالثها فهو المهارات المرتبطة بالأفكار والبيانات، كالتحليل والحساب والتفكير النقديّ والتفكير الإبداعيّ وحلّ المشكلات والتخيُّل وغيرها.

النوع الثالث: السمات الشخصيَّة (الأنماط)

وهي سماتٌ شخصيَّة موجودة في البشر، هي ليست مهارات، لكنْ يمكنُ استخدامها معها. فمن الأنماط مثلًا الهدوء والإصرار والعمل تحت الضغوط ومساعدة الآخرين والتفرُّد والصبر والثبات والإبداع والإقدام والمنطق والتكيُّف والفكاهة وغيرها. تأتي هذه السمات عادةً لتصفَ المهارات. حيث إنَّنا نقول مثلًا إنَّ التدريب وحلَّ المشكلات ولعبَ كرة القدم هي مهارات، أمَّا الإبداع والتأنِّي والفكاهة فهي سماتٌ شخصيَّة. وتعمل السمات على تخصيص المهارات كأن نقولَ إنَّ فلانًا يلعبُ كرة القدم بإبداع، أو يحلُّ المشكلات بصبرٍ وتأنٍّ، أو يدرِّب الآخرين بأساليبَ فكاهيَّة.

لا تهتمِّي كثيرًا ببذل جَهدٍ كبيرٍ للتمييز ما بين المهارات والسمات؛ ففي النهاية جميعها ستخدم الهدف ذاتَه: أن تحدِّدي القدرات التي لديك لتصلي إلى التخصُّص المناسب.

طعته بالقول:

– وما أهمِّيَّة كلِّ هذا؟ لِمَ لا أُدخِلُ المهنَ فقط؟ لِمَ عليَّ أن أُدخِلَ المهامَّ والمهاراتِ والسمات أيضًا؟

أجابها:

– الوصول إلى المهنة المناسبة ليس سهلًا، لذا عليك أن تحدِّدي المهاراتِ والسمات الشخصيَّة لتعرفي بصورةٍ أفضل نفسك وما يناسبها، ثمَّ يمكنكِ أن ترسمي خيوطًا بينها لتصلي إلى المهنة التي تتطلَّبُ تلك المهارات والسمات. وسنتحدَّث لاحقًا بهذا الشأن.

ويجب أن أذكِّرك بأنْ لا تختاري فقط المدخلات التي تُتقِنينها لتَضعيها في المخزن، بل عليك أن تضعي كلَّ ما يمكن أن تتذكَّريه.

وحتَّى تجدي مدخلات أكثر، في وُسعكِ أن تبحثي في مهنِ أصدقائكِ من حولك، أو أن تتصفَّحي حسابكِ في فيسبوك (facebook) أو لنكدإن (LinkedIn) وتلقي نظرةً على ما يفعله أصحابك. اختاري تلك الوظائفَ والمهامَّ التي شدَّتِ انتباهك أو التي تظنِّين أنَّها ممتعة وأضيفيها إلى المخزن. تستطيعين أيضًا البحث في المجلَّات ومشاهدة صورها، كما يمكن أن تبحَثي في الصور التي لفتتِ انتباهك أيضًا، مثل صورة الطائرة، عندها تكتبين في المخزن «السفر»، أو صورة شخص يلبس زيَّ الطبَّاخ، عندها تكتبين «الطبخ»، أو ربَّما تشاهدين صورة الأطفال، أو صورة الجامعة أو صورة شخص يشرح لآخرين. يمكنكِ قصُّ الصور وإلصاقها في المخزن أو تخزينها إلكترونيًّا.

ومن الطرق الأخرى للحصول على مدخلات أكثر، التفكير في أشخاص يؤثِّرون في حياتكِ وتقتدينَ بهم، فضلًا عن مشاهير تحبِّينهم، سواءً كانوا أحياء أم أموات، حيث تقدرين أن تضعي أسماءهم، أو سبب تأثيرهم، كأنْ تكتبي «قدرته على الإقناع» أو «أسلوبه في الحوار» أو يمكنكِ إضافةُ مهنهم، مثل «مقدِّم متميِّز للبرامج الحواريَّة».

ومن الوسائل الأخرى أيضًا البحث في أحداث غيَّرتْ حياتك، مثل محاضرةٍ أصغيتِ إليها أو شخص أثَّر فيك وغيَّر حياتك. وانظري إنْ أمكنكِ أن تضعيها في المخزن، مثل «خدمة الضعفاء» أو «محاضرة عن فنِّ الحوار».

في وُسعكِ أيضًا أن تمارسي القراءة الاستكشافيّة لكتب متنوّعة في مجالات لم تطّلعي عليها من قبل، بذلك ستتعرّفي تخصُّصات جديدة.

مثلًا نعرفُ عن الفيلسوف الفارابي أنّه لم يكن يعرف أيّ شيء عن الفلسفة. وتقول الروايات إنّ أحدَ أصدقائه تركَ عنده كتبًا ليحتفظَ له بها. وبدافع الفضول، بدأ الفارابي يقلّبُ في تلك الكتب ويقرأها، وأخذ يستمتع فعلًا بمحتواها، الذي كان يتناولُ الفلسفة. وبعد أن أنهى جميع تلك الكتب، تيقّنَ بأنّ هذا المجال هو ما كان يبحث عنه، وهكذا توسّعَ فيه أكثر. وبسبب محدوديّة الكتب العربيّة التي تتكلّم عن الفلسفة، تعلّم اليونانيّة وقرأ كتبَ الفلسفة اليونانيّة، ثمّ راح يكتب في الفلسفة ليصيرَ أحَدَ رموز الفلسفة العربيّة. لذلك عليكِ أن تنوّعي قراءاتك بين الحين والآخر؛ فقد يفتح أحدُ الكتب قلبك وعقلك، ويرشدك إلى طريق جديد لم تكوني تعرفينه من قبل.

المشكلة هي أنّ بعضَ الأشخاص يمتلكون مواهب لا يعرفون أنّها عندهم. فكيف لشخصٍ أن يعرفَ أنّ لديه موهبةً في الرسم ما لم يجرّبه؟ وكيف سيعرف آخرُ أنّه يحبُّ السباحة ولديه موهبة فيها بينما يعيش في قلبِ الصحراء؟

هزّت برأسها في إشارةٍ إلى أنّها تصغي جيّدًا إليه.

تابع جواد:

– عليكِ تعبئةُ المخزن على مدى عدّة أيّام، لا في جلسةٍ واحدة. وبعد أن تصلي إلى العدد المطلوب من المدخلات، يجب البدء بالمستطيل الثاني المسمّى «مصفاة القدرة».

ثمّ حرّكَ جواد قلمه باتّجاه الخانات الأربع التي كان قد رسمها في المستطيل، وكتب عليها من اليمين إلى اليسار بالترتيب: «متميّز»، «عاديّ»، «سيّئ»، «لا أعرف». ثمّ قال:

– عليكِ أن تأخذي جميع المدخلات التي كتبتِها في المخزن، ثمّ تنقليها إلى إحدى الخانات الأربع. فضعي المدخلاتِ من المهن والمهامّ التي تستطيعينَ أن تؤدّيها بتمكّن

وقدرةٍ عالية في خانة «متميّز»، والمهامّ التي تؤدّينَها بجودة متوسّطة في خانة «عاديّ»، والمهامّ التي لا تتقنينَها وتؤدّينها بصورةٍ سيّئة في خانة «سيّئ». أمّا المهامّ التي لم تجرّبيها من قبل، ولا تعرفين مدى تمكّنك منها، فعليك وضعُها في خانة «لا أعرف»...

قاطعته زينة:

– وكيف لي أن أعرف ما إذا كنتُ متمكّنة من المهمّة أم لا؟

ارتبك جواد من سؤالها. وفكّر قليلًا ثمّ قال:

– لا أعرف صراحةً؛ فالمؤلّف لم يذكُرْ آليّةً معيّنةً لقياس التمكّن، واعتمد على مراقبة الشخص لنفسه.

فقالت زينة متسائلةً:

– سيكون من الصعب عليّ تحديد مقدار تمكّني بمجرّد المراقبة، أهذا صحيح؟

ارتبك جواد أكثر؛ فهي محقّة فعلًا. لن يساعدَ كثيرًا مجرّد المراقَبة، لذلك سكتَ وراح يفكّر. نهض من الكرسيّ وبدأ يمشي في غرفتها لعلّه يفكّر بصورةٍ أفضل. اتّجه نحو النافذة، وراح ينظر خارجًا ليرى مساحةً أكبر، في محاولة منه ليوسّعَ مساحة تفكيره. وراح يقول في نفسه: "الكتاب لم يذكر شيئًا عن ذلك فعلًا، لكنْ لا بدّ من وجود إجابةٍ عن هذا السؤال".

ثمّ حكّ رأسَه، وقال بصوت مسموع:

– لا أعرف الإجابة، لكنّ شيئًا ما يخبرني بأنّ الجواب موجود في مكانٍ ما من دماغي.

عاود السيرَ، وزاد من سرعته، كما راح يحكُّ رأسَه أكثر فأكثر.

فجأة، أحسَّ بقشعريرةِ سرور تنتابُه، ثمّ توقّفَ عن المشي وقال بصوت عالٍ:

– تذكّرت!

***

أخرج هاتفه من جيبه وقلَّبَ الرسائل، باحثًا عن رسائل أ. جمال، ونظر إلى الرسالة الأخيرة وابتسم، ثمَّ قرأها بصوت مسموع:

"لتقيس القدرة في مهمَّة ما استخدم التالي:

Success: سبقَ لكَ أن نجحتَ في أداء هذه المهمَّة.

Instinct: تؤدِّي هذه المهمَّة بصورةٍ تلقائيَّة وفطريَّة.

Growth: تنمو ويتطوَّر مستواك بسرعة بينما تؤدِّي هذه المهمَّة.

GPYSTW".

ثمَّ قال:

– هذا هو الجواب يا زينة. يجب أن تكونَ عندكِ قصَّةُ نجاح في أداء المهمَّة، ويجب أن تؤدِّيها بصورةٍ فطريَّة، وتنجزيها تلقائيًّا دون الكثير من التفكير. كما يجب أن يتحسَّن مستواك بسرعة عندما تتدرَّبين على أدائها، أو عند تطبيقها وممارستها. فإنْ توافرت لديك تلك الصفات، فسوف تحكمين بأنَّكِ متمكِّنةٌ من أداء تلك المهمَّة.

ردَّت عليه:

– ذلك رائع، لكنْ مَنِ الذي أخبرك بذلك؟

أجابها:

– إنَّها رسالةٌ بعثَها إليَّ أ. جمال مع اسم الكتاب الحاليّ؛ فيبدو أنَّه عرفَ أنَّ هذه المعلومة ستنقصنا، لكنِّي لا أعرف من أين جاء بالإجابة. وأيضًا ما معنى الأحرف الأخيرة GPYSTW في الرسالة؟ ولماذا أعطاني الجوابَ هذه المرَّة بدلَ أن يتركني أبحث عنه؟

أمسك القلم وكتب تلك الشروط الثلاثة بجانب كلمة «مصفاة القدرة» وقال:

– إذًا يجب أن تتوافر في المهنة أو المهمَّة أو المهارة هذه الصفات الثلاثة كن تتمكَّني من وضعِها في خانة متميِّز.

وبعد أن تنتهي من تصفية المدخلات بمصفاة القدرة، سنأخذ جميع المهامِّ الموجودة في خانة «متميِّز» ونتابع معها ما تبقَّى من التمرين.

أمَّا المهامُّ ذات التمكُّن المتوسِّط أو السيِّئ، فعليكِ أن تبحثي عن سبب تدنِّي قدراتك فيها، فقد يكون السبب هو عدم تلقِّيكِ مقدارًا كافيًا من التدريب أو عدم فهمك لها بصورةٍ كاملة. فأنا أعرف بعض الأطبَّاء الذين تخرَّجوا في الكلِّيَّة وهم يكرهون طبَّ الأسنان بسبب سوء أدائهم. غير أنَّ ذلك تغيَّر بعد أن تلقَّوا تدريبًا أفضل في العيادة بعد التخرُّج، وعندها زاد تمكُّنهم زيادةً ملحوظةً.

لذا يجب أوَّلًا التحقُّق من أنَّ سبب عدم تمكُّنكِ منها هو قلَّة التدريب أو الفهم. فمتى تيقَّنتِ بأنَّ قدراتِك فيها متدنِّية مع أنَّك تدرَّبتِ عليها وفهمتِها جيِّدًا، فاتركيها في مكانها. أمَّا إذ لم تكوني قد تدرَّبتِ عليها جيِّدًا، أو لم تمارسيها بما يكفي، فضعيها في خانة «لا أعرف».

لننتقلِ الآنَ إلى خانة «لا أعرف»، ولننظُرْ إلى المدخلات فيها. فكِّري في كيفيَّة اختبار مهارتك فيها. هل عليك مثلًا الذهاب إلى شخص يعمل في تلك المهنة للتدرُّب عنده، أو لمراقبته ورؤية ما يفعله ومحاولة تجربة مهامِّه إنْ أمكن. وبعد أن تستكشفي مهنةً جديدةً أو تجرِّبيها، فعليك بوضعها في خانة «متميِّز» إنْ كانت متوافقةً مع مهاراتك، أو في خانة «متوسِّط» أو «سيِّئ» بحسب تقديركِ لأدائكِ فيها.

فقالت زينة متسائلةً:

– يعني هذا أنَّ عليَّ في مصفاة القدرة أن أنقلَ كلَّ ما هو موجود في المخزن إلى

إحدى الخانات الأربع المناسبة. بعد ذلك أتحقّقُ ما إذا كنتُ قد وضعتُها في المكان الصحيح فعلًا. مع وضعِ خُطّةٍ لتجربة المهن أو المهارات الموجودة في خانة «لا أعرف». أليس الأمر كذلك؟

هزّ جواد رأسَه موافقًا.

٥

بعد أن أنهى جواد شرح مصفاة القدرة لزينة، حرّك قلمه إلى المستطيل الأخير الذي كتب بجانبه «مصفاة المتعة». ثمّ كتبَ في الخانات الثلاثة التي فيها العبارات التالية من اليمين إلى اليسار: «ممتعة»، «حياديّة» و«كريهة».

ثمّ واصلَ شرحَه:

- الآن في المصفاة الأخيرة، عليك أن تأخذي فقط المهامّ في خانة «متميّز»، ثمّ تختبري ما إنْ كانت تُشعِرُك بالمتعة أم لا، بعد ذلك عليكِ نقلَها إلى إحدى الخانات الثلاث الخاصّة بالمتعة، بحيث تضعينَ المهامَّ التي تحبّينها في خانة «ممتعة»، والتي تكرهينها في خانة «كريهة»، أمّا تلك التي لا تمانعين في أدائها، ولم تصلي معها إلى درجةِ الحبِّ ولا الكراهية، فضعيها في خانة «حياديّة».

وقبل أن تسأليني عن كيفيّة معرفة وجود المتعة في مهمّةٍ ما من عدمه، فأجيبك عن الطريقة. سنستخدم هنا خصائص العمل الممتع التي قرأناها في كتاب «Flow».

وهنا قاطعَتْه زينة قائلةً:

- سأخبرُكَ بمواصفات العمل الممتع:

١. عملٌ يتضمّنُ التحدّي، ويتطلّبُ مهارة موجودة لديك.
٢. اندماج الوعي بصورةٍ كاملة مع العمل.

٣. زيادة نضج الشخص بعد أداء العمل.
٤. سرعة انقضاء الوقت.
٥. الحاجة إلى القيام بالعمل مرارًا.

ردَّ عليها:

– رائع يا زينة، لقد ذكرْتِها جميعًا. والآن ستكون لديك آليَّةٌ لاختبار المهامّ، ومعرفة ما إذا كانت ممتعة أم لا بمجرَّد احتوائها على المواصَفات المذكورة. وسأُسمِّي هنا خانة «ممتعة» باِسْمٍ آخر هو «خانة التركيز».

سألته زينة:

– خانة التركيز؟ ولِمَ هذا الاسم؟

ردَّ جواد عليها:

– لأنَّ جميع المهن والمهامّ والقدرات في هذه الخانة تضمُّ كلًّا من القدرة والمتعة، وهاتان هما الصفتان الأساسيَّتان اللتان يجب أن يتَّصف بها عملك المستقبليّ. وعليك أن تركِّزي عليهما عند اختيارك لعملك المستقبلي، كما يجب ألَّا تعملي في أيَّةِ مهنة تقع خارجهما.

أمَّا المهامُّ الموجودة في أيِّ مكان آخر من الجدول، سواءً في مصفاة القدرة أم مصفاة المتعة، فعليك القيام بها فقط بصورةٍ مؤقَّتة لتأمين العيش في وظيفتك، إلى أن تنتقلي إلى المهامّ في خانة التركيز.

وبذلك ستكون الرسمة كما يلي.

ثمَّ أضاف شروط المتعة تحت مصفاة المتعة، وكتب عبارة «خانة التركيز» إلى الجدول أسفل [كل]مة «ممتعة».

مخزن الأعمال				
مصفاة القدرة (نجاح – فطرة – نموّ)	متميِّز	عادي	سيِّئ	لا أعرف
مصفاة المتعة (تحدٍّ مناسب – اندماج الوعي – زيادة النضج – سرعة انقضاء الوقت – الحاجة إلى القيام بالعمل)	ممتعة (خانة التركيز)	حياديَّة	كريهة	

***

بعد أن أكمل الرسم قال لها:

– إذًا، عندما ستدخلين مهنة أو مهمَّة أو مهارة جديدة، عليك إدخالها في مخزن الأعمال. هناك طريقة تمكِّنك من معرفة الكثير عن نفسك، ومعرفة المهن أو

المهارات التي يغلب عليها أنّها ستناسبك، وذلك بإجراء اختبارات القدرات والمواهب والميول المهنيّة؛ إذ تسهّل هذه الاختبارات من عمليّة البحث، وتضعُ لك المهنَ والمهارات الأقرب إلى شخصيّتك لتُجري التصفية عليها. فبعد إجراء تلك الاختبارات، ضعي النتيجة في مخزن الأعمال، وراجعي النتيجة، ثمّ طبّقي عليها مصفاة القدرة والمتعة.

من المواقع التي تمكّنك من القيام بهذه الاختبارات باللغة العربيّة، أذكرُ مثلًا:

http://www.smartable.me
http://iktshaf.com/
https://www.16personalities.com/ar

وأذكرُ أيضًا باللغة الإنكليزيّة مثلًا:

http://www.mynextmove.org/explore/ip
http://www.self-directed-search.com

– بالمناسبة، هناك طريقةٌ تمكّنك من إدراج المدخلات مباشرةً في خانة «متميّز».

ردّت زينة عليه قائلةً:

– أتقصدُ أنّ في وُسعي أن أعرف أنّي متميّزةٌ في تخصّصٍ ما دون تجربته؟

قال لها جواد:

– بالضبط. وذلك بأن تجمعي القدراتِ والمهاراتِ والمهامَّ الموجودةَ في «خانة التركيز»، ثمّ تبحثي عن المهن التي تتطلّبُ هذه القدرات وتتوافق معها. وهناك مواقع كثيرة تُدرجُ المهنَ، والقدرات التي تتطلّبُها، كما تُدرجُ أيضًا المهامَّ الأساسيّة التي ستؤدّينَها في تلك المهن، مثل موقع:

http://www.onetonline.org/skills/

وهناك العديد من المواقع العربيّة، التي توفّر معلومات عن المهن روابط ومعلومات عنها، فضلًا عن اقتراحها دورات تدريبيّة فيها عبر الإنترنت، مثل الموقعَين:

http://www.smartable.me
http://subol.sa

وهناك أيضًا موقع باللغة العربيّة يوفّر معلوماتٍ إضافيّة عن المهن والجامعات وبرامج الدراسات العليا مع خدمات إضافيّة:

http://iktshaf.com/

فإنْ وجدتِ أنَّ مهنةً ما تتناسب مع القدرات الموجودة لديك، فعندها ضعي تلك المهن في خانة «متميّز» مباشرة. وعليك أن تختبريها لاحقًا وتجرّبيها في مصفاة المتعة لتعرفي درجة المتعة فيها.

قالت زينة:

– إذًا التمرين بسيط جدًّا. كلُّ ما عليَّ أن أفعلَه هو ملأ المخزن أوّلًا، ثمّ نقل ما في المخزن إلى أحد الخانات الأربع في مصفاة القدرة. ثمّ عليَّ أن أنقلَ المهامَّ الموجودةَ في خانة «متميّز» إلى إحدى الخانات الثلاث في مصفاة المتعة، أليس كذلك؟

هزَّ رأسَه موافقًا وقال:

– نعم تحريك المهامّ وتصفيتها سهلةٌ كما ذكرتِ، لكنَّ المشكلة هي في الحصول على العدد الكافي من المدخلات، وتصفيتها ومعرفة ما إن كنتِ تحبّينَها وتتميّزين فيها، علاوة على العثور على طريقة مناسبة لاختبارها وتجربتها، وهذا يتطلّبُ بحثًا وجَهدًا.

وأريد أن أذكّرك بأمرٍ ذكره المؤلّف، أنّك قد لا تكونين متمكّنةً من بعض المهامّ، لكنّها مهمّةٌ جدًّا في عملك. عليك إعطاؤها فرصةً أكبر في الاختبار قبل إدراجها في خانة

«سيِّئ» وتركها هناك إلى الأبد، لذا عليكِ تمضية وقتٍ أطوَلَ مع المهامّ الأكثر تأثيرًا في حياتك.

استفسرت زينة:

– وماذا لو كانت جميع المهامّ والوظائف التي أعرفها مملَّة، ولم أكن أعرف أسماء مهامَّ ووظائف جديدة لأختبرها؟

أجاب جواد:

– سؤالك جميل!

ثمَّ أشار إلى المربَّع الرابع في مصفاة القدرة وقال:

– هذا المربَّع المسمَّى «لا أعرف» هو مربَّع الاستكشاف.

عليك أن تستمرّي في البحث عن وظائفَ ومهامَّ جديدة وتضعينها هنا، بعد ذلك يمكنُكِ أن تختبريها لتعرفي مدى تمكُّنكِ منها واستمتاعكِ بها. لذلك اهتمّي بهذه الخانة جيِّدًا، وأضيفي إليها المزيدَ كلَّما تذكَّرتِ تخصُّصًا أو مهنةً ما. كلَّما زادتْ مُدخَلاتُ هذه الخانة، زادَتْ فرصُكِ في تحديد عملٍ جديدٍ يتناسب معكِ.

وبعد أن أنهى شرحَه قال لها:

– عليك الآن البدء في حلِّ التمرين، وسأعود لأناقش معك النتائج بعد شهر من الآن. وتذكَّري أنَّه لو ظلَّ التمرين نظريًّا دون تطبيق، فسيكون بلا أيَّة جدوى. سيكون مثل قراءةِ كتابٍ عن تمارين بناء الأجسام أو اللياقة البدنيَّة دون إجراء أيِّ تمرين منها!

ردَّت مستغربة:

– شَهْر! أليس هذا زمنًا طويلًا؟

ثاني لفة يمين

لو ظلَّ التمرين نظريًّا دون تطبيق، فسيكون بلا أيَّة جدوى. سيكون مثل قراءةِ كتابٍ عن تمارين بناء الأجسام أو اللياقة البدنيَّة دون إجراء أيِّ تمرين منها!

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR

جبل عمّان Jabal Amman

أجابها جواد:

- ليس طويلًا بتاتًا؛ فاكتشاف الذات يحتاج إلى وقتٍ طويل جدًّا. عليكِ أن تحملي دفترك هذا معك دومًا. وبمجرَّدِ تذكُّر وظيفةٍ أو مهمَّة أو مهارة، فعليك أن تسجِّليها في مخزن الأعمال، لتعملي لاحقًا على تصفيَتِها. كما أنَّ هذه المهمَّة لن تنتهيَ بعد مُضيِّ الشهر، بل ستستمرُّ معك إلى أن تَجِدي التخصُّص المناسب لك؛ ففي كلِّ مرَّةٍ تؤدِّين فيها مهمَّةً جديدة، عليكِ أن تعرفي تصنيفها الأنسب في فلتر التخصُّصات.

عند هذا الحدِّ، تمنَّى لها ليلةً هانئة، ثمَّ غادر إلى منزله، ليبدأ كلٌّ منهما في تعبئة النموذج الخاصّ به.



استيقظ جواد في الصباح الباكر، ليبدأ في حلِّ تمرين فلتر التخصُّصات التي شرحها في الليلة الماضية لزينة.

أعدَّ فنجانًا من القهوة، ثمَّ أخذَ دفترًا جديدًا أعدَّه لتخطيط حياته، ثمَّ دخلَ مكتبه وبدأ يحلُّ التمارين.

نظر في البداية إلى النموذج الذي كان قد رسمه على ورقة خارجيَّة، ثمَّ فتحَ صفحةً جديدةً، وكتب في رأسها «مخزن الأعمال». وبدأ أوَّلًا يفكِّر في الوظائف والمهن التي لديه أو التي جرَّبها أو حتَّى سمع عنها ويريد تجربتَها. ثمَّ بدأ يكتب الكلمات «مهندس كهربائيّ، طبيب بشريّ، طبيب أسنان، مبرمج، مهندس كمبيوتر، رسَّام، نحَّات، مصمِّم داخليّ، مهندس مدنيّ، مغنٍّ، مدير مركَز أسنان، مدير موارد بشريَّة، محاسب».

ثمَّ بدأ يفكِّر في المهارات والأنماط المختلفة التي يعرفها، فكتب «الإبداع، البرمجة، الغناء، العمل اليدويّ، العمل الجسديّ، التفكير، التخطيط، التحليل، التعامل مع الأطفال، قيادة السيَّارة، إدارة الوقت، اتِّباع خطوات العمل، الرسم، الفهم السريع، الحفظ».

بدأ يقلِّب الإنترنت والمجلَّات ليرى الصور التي قد تلفتُ انتباهَه، وهنا كتب «معطف طبِّيّ، رجل مبتسم، مدرِّب يشرح فكرتَه لآخرين، سائق سيَّارة سباق، مهندس يعتمرُ خوذة».

عدَّ كلَّ ما كتبه على الورق، وقال في نفسه: "كلُّ هذا العناء، ولم أتمكَّن إلَّا من إدخال نحو عِشرين مُدخَلًا، ولا يزالُ المشوارُ طويلًا للوصول إلى المئة".

ثمَّ تذكَّر أنَّ الكتاب ذكرَ بعض المواقع التي تُدرجُ المهن، مثل موقع:

http://www.onetcenter.org/AP.html

ويتميَّز هذا الموقع أيضًا بأنه يذكُرُ شرحًا للمهن وطبيعتها، والمهامّ التي تتمُّ فيها. فضلًا عن القدرات التي سيحتاجُ إليها المرءُ لأداء تلك الوظائف والمهمَّات. كما قاده بحثُه إلى مواقع أخرى مثل:

http://subol.sa
https://www.prospects.ac.uk
http://www.careerplanner.com/ListOfJobs.cfm
http://www.bls.gov/soc/major_groups.htm

وتتضمَّن هذه المواقع أسماءَ معظم المهن الموجودة. حاولَ أيضًا أن يبحثَ عن قوائم بأسماء المهن باللغة العربيَّة. واستمرَّ في تصفُّح المواقع لساعات وهو يقرأ عن المهن وماذا يفعل أصحابها، ويضيف بعضها إلى المخزن.

نظر إلى ساعته وانتفض عن كرسيِّه وهو يقول: "يا إلهي! سأتأخَّر عن العمل".

خرج من المكتب وغيَّر ملابسه سريعًا، ثمَّ حمل الدفتر معه وغادر المنزل.

٧

استمرَّ جواد على مدى أسبوع كامل يضيفُ مدخلاتٍ جديدةً إلى المخزن في الدفتر الذي يحمله. استلهَمَ بعضها من مشاهداته في العيادة، واحتكاكه بالمرضى، مثل إضافته «مدرِّس، محاسب، مندوب مبيعات، تصميم منشورات».

وبعد أن وجدَ أنَّه جمع عددا كافيًا في مخزن الأعمال، قرَّر أنَّ الوقتَ قد حان ليبدأ عمليَّة التصفية باستخدام مصفاة القدرة.

بدأ يأخذ هذه المهامَّ واحدة تلو الأخرى، ويوزِّعها على إحدى الخانات الأربع، «متميِّز» أو «عاديّ» أو «سيِّئ» أو «لا أعرف». وكان يستخدم المعايير الثلاثة ليقرِّرَ إنْ كان متميِّزًا فيها أم لا.

١. النجاح: سبق وحقَّق نجاحًا في هذا التخصُّص، كأن يكون متفوِّقًا فيه، أو ربَّما أشادَ زملاؤه بنجاحه وتميُّزه فيه.
٢. الفطرة: أداءُ المهمَّة بصورة فطريَّة وتلقائيَّة، كأن يجدَ أنَّه يحبُّ ترتيبَ الأشياء وتنظيمَها حتَّى لو لم يطلب إليه أحَدٌ ذلك. أو أنَّه يحبُّ دومًا فكَّ الأشياء وإصلاحها.
٣. النموّ: ينمو الشخص ويتطوَّر مستواه بسرعة بينما يمارس تلك المهنة، كأنْ يتعلَّم برامج الرسم بسرعة بعد القليل من التمرين.

بدأ يمسكُها مدخلًا تلو الآخر وهو يفكِّر:

– أين سأضع «مهندس كهربائيّ»، فأنا لم أعمل في هذه المهنة، لكنّي كنتُ متميّزًا جدًّا في الفيزياء في المدرسة، وأحبُّ هذه المادّة كثيرًا، وهي أساسيّة في الهندسة الكهربائيّة. لذلك سأضعها في «متميّز». والآن دور «طبيب بشريّ»، هذه المهنة تشبه طبَّ الأسنان من نواحٍ كثيرة، لا سيّما أنّنا درسنا الكثير من الموادّ المشتركة مع طلبة الطبِّ البشريّ، وقد كنت جيّدًا في تلك الموادّ، لكنْ ليس التميّز الذي أطمح إليه، لذلك سأضعها في «عاديّ». أمّا التصميم الداخليّ فلم أجرّبه، لكنّه يحتاج إلى مهارات مثل التخيُّل والحسّ الفنّيّ. وبالنظر إلى غرفة الطعام التي اشتريتُها لتكون مفاجأةً لسحر – والتي وبّختني بمجرّد أن رأتها بسبب قبحها، وأعادتها إلى المحلّ في اليوم التالي – أقول إنّه ليس لديَّ حسٌّ فنّيٌّ متميّز، لذلك سأضعها في خانة «عاديّ».

وصلنا إلى طبِّ الأسنان. أنا ناجح فيها، لكنّي أومنُ تمامًا بأنَّ تمكّني فيها ليس قويًّا كفايةً؛ فمهارتي اليدويّة ليست كاملة. وهذا يجعلني دومًا أقلَّ تميّزًا فيها، لكنّي أفضل بكثيرٍ من متوسّط! امم، أنا لا أرضى أن أكون عاديًّا في هذه الحياة، لذلك لن أختار إلّا ما سأتميّز به، سأضعها في خانة «عاديّ».

كنتُ أحبُّ البرمجة عندما كنتُ صغيرًا، وقمتُ بالعديد من المشاريع فيها، لذا أعتقد أنّي متميّزٌ في هذه المهنة، فسأضعها في خانة «متميّز».

وفي ما يتعلّقُ بوظيفة «مدير المركَز»، فقد حاولت عدّة مرّات المساعدة في إدارة العيادة عندما غاب المدير شهرًا عن العمل، وقد أدرتُ العيادة بصورةٍ ممتازة. كما كنتُ أحبُّ مساعدة الموظّفين على تطوير مهاراتهم. سأضع «مدير المركز» في خانة «متميّز».

وهكذا تابعَ جواد باقي المهن والمهامّ الموجودة في المخزن. ثمَّ راح يصنّفُ المهاراتِ والصفاتِ الشخصيّة وهو يفكّر:

– أظنُّ أنّي متميّزٌ في التفكير والإبداع: فهذا على الأقلّ ما كنتُ أسمعه ممّن هم حولي في الجامعة وفي العمل، رغم أنَّ ترديدَ هذه الكلمة بات قليلًا في الآونةِ الأخيرة؛

فأنا لم أعُدْ أستخدمُ هذه المهارات كثيرًا. ونظرًا إلى قلّةِ استخدامي لها، أظنُّ أنّ عنكبوتًا شمطاءَ نسجَتْ بيتًا على الجزء المسؤول عن التفكير والإبداع في دماغي.

كما أعتقدُ أنّي أتمتّعُ بحسٍّ فكاهة عالٍ، ولا أعرف كيف سأستفيد من هذه الموهبة، لكنْ سأضعها في خانة «متميّز» على أيّةِ حال. أمّا الرسم وإدارة الوقت وفنُّ التعامل مع الأطفال وفنُّ العمل وَفقَ تسلسُلٍ ثابتٍ والتزام التعليمات فأنا سيّئٌ فيها جميعًا. لذا سأضعها جميعا في خانة «سيّئ». من جهةِ العمل اليدويّ والعمل الجسديّ واستيعاب المفاهيم المعقّدة، فأنا متوسط فيها. أمّا مهارة «التخطيط» فقد سبق وجرّبتها مع فريق العيادة، وكانت النتائج عاديّة. سأضعها في خانة «عاديّ».

في ما يخصُّ مهارة الغناء، فأظنُّ أنَّ كلمة «سيّئ» ليست كافيةً لوصف مقدار سوء هذه القدرة عندي؛ لذلك سأكتفي بوضعها في خانة «سيّئ».

بعد أن أنتهى من مصفاة القدرة، وجد أنَّ الكثير من المهامّ والمهارات انتهت إلى خانة «لا أعرف».

***

بدأ يراجع محتوى الخانات ليتحقَّقَ أنّه وضع المدخَلات في الخاناتِ الصحيحة.

في البداية راجع خانة «متميّز» ليتحقّقَ أنَّ لديه قدراتٍ متميّزةً في كلّ ما فيها. احتوت الخانة على مهندس كهربائيّ ومبرمج ومدير المركَز، فضلًا عن قدرة التفكير والإبداع والمزاح، وهنا بدأ يفكّر في نفسه قائلًا:

– في ما يتعلّق بالهندسة الكهربائيّة، فأنا وضعتُها في خانة التميُّز بسبب قدراتي في المدرسة، لكنّي لم أجرّبْها حقًّا. قد تتضمّنُ الهندسةُ أكثر من مجرّد الفيزياء التي أعرفها، وأظنُّ أنَّ من الخطأ وضعها هناك، سأضعها في خانة «لا أعرف» لأجرّبَها أو أبحثَ عنها بتعمّق أكثر، لأعرفَ القدراتِ التي تتطلّبُها فعلًا.

في ما يخصّ مهنة «مبرمج»، فقد جرّبتُها على نطاقٍ ضيّق، لكنّي أظنُّ أنَّ مدّة التجربة تلك كانت كافية للحكم على قدراتي. كما أنّها تحتاج إلى التحليل والإبداع، وهما قدرتان أتميّز بهما، لذا سأتركها في هذه الخانة.

بعد هذا بدأ يراجع خانتَي «عاديّ» و«سيّئ» ليسأل نفسه: "هل أنا متوسّط أم سيّئ فعلًا في هذه الوظائف والقدرات؟ أم أنَّ الأمر هو أنّي لم أتعلّمها جيّدًا، أو لم أُعطِ نفسي فرصة فيها؟". وبدأ يراجع المدخلات واحدة تلو الأخرى وهو يطرح هذا السؤال.

نظر إلى مهمّة «التخطيط»، وفكّر قائلًا:

– أنا لم أُخطّطْ في المركَز كما ينبغي، فسببُ أدائي المتوسّط هو ليس بالضرورة نقصَ قدرتي على التخطيط، بل لعدم تعلُّمي أصول التخطيط وخطواته. أذكر أنّي عندما حاولتُ في السابق أن آكل «النودلز» بالعيدان الصينيّة، لم أتمكّن من حملها مع كلّ محاولات التدرُّب والتكرار. لكنّي وجدت لاحقًا أنَّ الإمساك بالعيدان يجري بطريقةٍ معيّنة عندما شاهدتُها على اليوتيوب. وعندما بدأت إمساكها بتلك الطريقة، صارت المهمَّة أسهل. وبالفعل بعد عدّة أيّام من التدريب تمكّنتُ من الأكل بالعيدان بالصورة الصحيحة، والاستمتاع بالنودلز. وينطبق الأمرُ ذاته على معظم الأشياء، ومنها حتمًا التخطيط. لذلك سأنقل هذه المهمَّة إلى خانة «لا أعرف».

بعد أن أنهى الخانات الثلاث الأولى، حان دور الخانة الأخيرة– خانة "لا أعرف". كانت هذه الخانة مكتظّةً بالوظائف والمهامّ والقدرات التي تحتاج إلى الاختبار ليجريَ التحقُّق من قدرته الحقيقيّة فيها. نظر إلى تلك الخانة، وقال محبطًا:

– يا إلهي! إنَّ هذه الخانة حافلةٌ بالمدخلات التي تحتاج إلى الاختبار. يستحيل أن أتمكّن من اختبارها جميعًا. لا بدَّ أن أجدَ معاييرَ معيَّنةً لأُفاضِلَ ما بينها، فأختبر المهمَّ فالأهمّ.

أظنُّ أنَّ عليَّ بداية أن أبدأ بالمدخلات التي تحتاج إلى اختبارات بسيطة، وأعطيها الأولويّة عن غيرها من المدخلات التي تحتاج إلى اختبارات أو تجاربَ معقّدة. كذلك

ذكر المؤلّف أنَّ الشغفَ مهمٌّ جدًّا لتبدعَ في عملك. إذًا لا بدَّ أن يكونَ الشغفُ من عوامل التفضيل. وكذلك يفضل أن تتوافقَ الوظيفة مع رسالتي في الحياة؛ فأنا أريد في النهاية تقديمَ قيمةٍ إيجابيّةٍ للمجتمع بواسطة مهنتي، وبذلك سأعطي الأولويّة لأيّة وظيفة تتوافق مع هذا التوجُّه.

وعلى المهنة التي أريد اختبارها أن تكون متوافقةً مبدئيًّا مع قدراتي؛ فأنا مثلًا لا أُجيد الرسم، لذا فإنَّ أيّة مهنةٍ أخرى تحتاج إلى الرسم، مثل تصميم المنشورات مثلًا، لن تكونَ مناسبةً لي، وبذلك عليَّ ألّا أُضيّعَ وقتي في اختبارها. وأخيرًا يفضّل أن أختبر أوّلًا المهن التي تتوافر فيها فرص عمل كثيرة.

وهنا قلبَ جواد الصفحة، وكتبَ على صفحة جديدة المعايير الأربعة التي ستساعده على ترتيب أولويّة اختبار المهن والمهارات من قائمة «لا أعرف» وكتب عليها:

١. سهولة اختبارها.
٢. توافقها مع الشغف والرسالة في الحياة.
٣. توافقها مع القدرات مبدئيًّا.
٤. وجود فرصة عمل فيها.

أخذَ أوّل مهنة من هذه القائمة، وقال:

– من جهةِ الهندسة الكهربائيّة، فمن السهل اختبارها بسؤال أصدقائي عنها. كما أنّها لا تتعارض مع شغفي، ويفترض أنّها تتوافق مع قدراتي في التفكير، وفيها فرص عمل كثيرة، لذلك سأعطيها أولويّة مرتفعة في الاختبار. سأزور أحد أصدقائي الذين يعملون في هذه المهنة لأقابله وأسأله عن المهنة وما تحتاج إليه وما يقوم به.

وتابع إعادةَ ترتيب أولويّة الاختبارات المطلوب إجراؤها لباقي المدخلات في خانة «لا أعرف»، بحيث يجرِّبُها لاحقًا لمعرفة ما إنْ كان متمكّنًا منها أم لا، ليضعها في الخانة المناسبة في مصفاة القدرة.

والآن حان وقت إجراء التصفية بمصفاة المتعة على المدخلات الموجودة في خانة «متميِّز».

مخزن الأعمال				
مصفاة القدرة	**متميِّز**	**عاديّ**	**سيِّئ**	**لا أعرف**
	البرمجة مدير المركز التفكير الإبداع الفكاهة	الطبُّ البشريّ المهارات اليدويَّة التصميم الداخليّ طبُّ الأسنان ...	الرسم إدارة الوقت التعامل مع الأطفال الغناء ...	الهندسة الكهربائية التخطيط ...
مصفاة المتعة	**ممتعة** (خانة التركيز)	**حياديَّة**	**كريهة**	

٨

كانت زينة تجلس في محاضرة مملَّة من محاضرات التسويق، وعلى كرسيٍّ بعيد في الخلف، ممسكةً بقلمها تلعب به بين أصابعها. كانت تفكِّر في أمورٍ كثيرة: في كلِّيَّتها التي تكرهها، وفي خطيبها الذي تصادم معها، في أهلها الذين يجبرونها على دراسة تخصُّص تكرهه، وفي موقعها من الإعراب وسط كلِّ هذا.

كانت تحاول تعبئة فلتر التخصُّصات الذي أخذته من جواد قبل أيَّام، لكنَّها لم تتمكَّن إلَّا من كتابة مدخلات بسيطة فيه. في الحقيقة، أضافت أسماء جميع الموادِّ التي درستها في الجامعة في محاولة منها لتعبئة المخزن. وكما هو متوقَّع، جميع تلك الموادِّ كانت تنتهي في خانة "عاديّ" أو "سيِّئ" في مصفاة القدرة. لذلك بدأت تفكِّر بصورةٍ مختلفة، فقالت في نفسها: "لِمَ لا أفكِّر في الأمور التي أتميَّز بها وأضعها مباشرة في خانة «متميِّز»"؟

كتبت على ورقة من الدفتر: "ما الذي أتميَّز به؟"، ثمَّ نزعت الورقة من الدفتر، وبحركة سريعة، وضعتها على الطاولة التي بجانبها حيث تجلس ريما.

أمسكت ريما الورقة وقرأتها، ثمَّ تساءلت: "ماذا تريدُ زينة بهذا السؤال؟". كتبت ريما عبارة على الورقة، وأعادتها إلى زينة بسرعة.

قرأت زينة الورقة "تتميَّزين بكرهك للدراسة". غضبت زينة من هذه المزحة التي ليست في أوانها، وكتبت في الورقة "إنِّي أبحث عن مهنة جديدة، وعليَّ أن أعرف نقاط تميُّزي. هذا ليس وقت مزاحك!". وأعادت إليها الورقة.

قرأت ريما الورقة، ثمَّ كتبت سطرًا إضافيًّا، وأعادت الورقة إلى زينة. غضبت زينة عندما قرأت المكتوب: "اقعدي في المنزل. المنزل يليق بك". وهنا ضحكت ريما عندما وجدت الانزعاج قد ارتسم على وجه زينة.

فجأة صرخت المدرِّسة:

– ريما!

سكتت زينة وريما وبدأتا تنظران نحو المدرِّسة وهما ترتجفان.

تابعت المدرِّسة:

– قفي وأجيبي عن السؤال: ما المقصود بالمزيج التسويقيّ؟

ارتبكت ريما، وزادت رجفتها، ولم تعرف ما تقولُه، لا سيَّما أنَّها سرحَتْ عن المحاضرة في أثناء حديثها مع زينة. فأجابت وهي تتلعثم:

– هو مزج مختلف الوسائل من أجل التسويق.

ردَّتِ المدرِّسة بعصبيَّة:

– وأنتِ يا زينة، قفي وأجيبي عن السؤال ذاته.

إن كانت ريما قد سرحت في الدقائق الأخيرة من المحاضرة، فإنَّ زينة سرحَتْ منذ بداية العام الدراسيِّ الذي بدأ قبل أيَّام؛ فعقلُها كان مشغولًا في البحث عن الحلِّ البديل. تذكَّرتْ أنْ ليس لديها الكثير لتخسره، لذلك أجابت بثقة:

– أنا مع جواب ريما.

ردَّت المدرِّسة بسرعة:

– ريما وزينة، اخرجا من القاعة، وفي المرة المقبلةِ أنهيا أحاديثكما قبل المحاضرة.

جمعتا أغراضَهما، وغادرتا.

في الخارج بدأت زينة توبِّخُ ريما:

– هذا ما نتجَ عن مزاحك يا ريما.

ردَّتْ ريما بحسرة:

– يا إلهي! أتمنّى ألَّا تَحسِمَ من درجاتي؛ فأنا أريد المحافَظةَ على معدَّلي.

ردَّت زينة:

– آه، نسيت! أنت ما زلت تقدِّسين تلك الدرجات! أمَّا أنا فسأغادر هذا المكان التعيس قريبًا.

قالت ريما بسخرية:

– التذمُّر هو أمرٌ آخر تتميَّزين به يا زينة. لِمَ لا تتخصَّصين بتسويق التذمُّر الإلكترونيّ؟

غيَّرت زينة من نبرتها وقالت بِجِدِّيَّة:

– ريما، أنا سأترك الكلِّيَّة فعلًا، وأبحث عن تخصُّصٍ أو حلٍّ بديل. لا داعي لاستهزائك الدائم. إنَّه قراري الذي اتَّخذته واستهزاؤك هذا بدأ يزعجني حقًّا.

غيَّرت ريما لهجتَها، وسألتها باستغراب:

– أنت مصمِّمة وبكلِّ قواك العقليَّة؟

ردَّت زينة:

– أجل! بكلِّ تأكيد.

قالت ريما بجدِّيَّة:

– أعتذر عن عدم تقديري الموقف بمزحيَ الثقيل. كيف يمكنني مساعدتك؟

ردَّت زينة:

– أخبريني بأمور أتميَّز بها لأعمل فيها؟

فكَّرتْ ريما قليلًا، ثمَّ قالت:

– تذكَّرت. أنت ماهرة جدًّا في تصفيف الشعر، وجميعنا معجبات بتسريحاتك. هل تذكرين عندما صفَّفتِ شعري يومَ خِطبةِ نور؟

ابتسمت زينة وسألتها:

– هل أنا ماهرةٌ حقًّا في تصفيف الشعر؟

أجابتها:

– دون شكٍّ أنت ماهرة جدًّا.

قالت زينة:

– شكرًا لكِ.

بدأت زينة تفكِّر في تصفيف الشعر: "ريما أخبرتني بأنِّي ناجحة فيه، وأنا أقوم به بصورةٍ فطريَّة تلقائيَّة، وأحبُّ أن أصفِّفَ شعر زميلاتي حتَّى دون أن يطلبنَ منِّي، كما أنَّ مستواي فيهِ تحسَّنَ بسرعة. إذًا فشروط التميُّز الثلاثة متوافرة فيها".

فتحت زينة الدفتر وهي سعيدة أنَّها ستكتب أوَّل عمل تؤدِّيه بتميُّز. كتبت في المخزن «تصفيف الشعر»، ثمَّ كتبتْها ثانيةً في خانة «متميِّز».

شعرَتْ زينة بدفعةٍ معنويَّة، وراحَتِ الحماسةُ تدبُّ في أوصالِها، وطلبت إلى ريما أن تتابع.

فكَّرت ريما برهةً ثمَّ قالت:

– آه تذكَّرتُ. التخطيط الاستراتيجيّ.

ردَّت زينة:

– ماذا؟ لكنِّي أكره الإدارة بما فيها.

تعجَّبت ريما من إجابتها، وقالت لها:

– هل نسيتِ أنَّ درجاتك في هذه المادَّة دَومًا متميِّزة؟

أجابت زينة:

– درجاتي فيها متميِّزة في القسم العمليّ فقط. والسبب هو المعيد عامر الذي يشرحها بصورةٍ متميِّزة في الدرس العمليّ. فسببُ تميُّزي فيها هو أسلوبُه الجميل في الشرح، الذي يجعلني أفهمها بسهولة، وهكذا أجيب بتميُّز. أمَّا في الاختبارات النظريَّة، فأنا لا أُجيدُ حفظَ النظريَّاتِ والإجابة عنها كما تريد المدرِّسة. لذا فإنَّ درجاتي تسوء دَومًا في القسم النظريّ.

قالت لها ريما:

– لكنِّي أظنُّ أنَّ عليكِ إضافتها، أو على الأقلّ، أن تذكُري تميُّزكِ في الجزء العمليّ وحده.

فكَّرتْ زينة قليلًا، ثمَّ أضافت «التطبيق العمليّ للتخطيط الاستراتيجيّ» إلى خانة «متميِّز».



بعد مُضِيِّ أسبوع...

حتَّى يتمكَّنَ جواد من العثور على المزيد من السمات والأنماط الشخصيَّة الموجودة لديه، كان عليه إجراء عددٍ من مقاييس التحليل النفسيَّة (Psychometric assessments) ليتعرَّف نفسَه بصورة أفضل. لذا أجرى عددًا من تلك المقاييس، وجمعَ النتائج ليقرأها ويرى ما فيها:

– تُظهِرُ تحاليل القدرات جانبًا مختلفًا من الشخصيَّة قد لا يكون معروفًا لدى الشخص. وكما ذكرَ الكتاب، فعلى الشخص ألَّا يُصدِّقَ النتائج بصورةٍ كاملة؛ فليست هناك اختباراتٌ دقيقةٌ إلى درجة ١٠٠٪، وهكذا على الشخص إجراء الاختبارات ثمَّ التحقُّق من نتيجتها بصورةٍ موضوعيَّة بعيدًا عن العواطف، أو حتَّى باستشارة المختصِّين فيها.

أعدَّ جواد تلك النتائج وحضَّر فنجانًا من القهوة، وشغَّلَ التلفاز على قناة الأفلام ليشعر بحركة من حوله. ثمَّ بدأ يقرأ النتائج:

– أجريتُ أوَّلًا تحليل الشخصيَّة «مايرز–بريغز» (MBTI) على أحد المواقع الإلكترونيَّة.

https://ww16personalities.com/ar

يتضمَّنُ الاختبار ستَّ عشرةَ شخصيَّةً مختلفة. وبعد إجراء الاختبار يُبلغُكَ عن الشخصيَّة الأكثر قربًا لشخصيَّتك، ثمَّ يعطيك تقريرًا عن الصفات الشخصيَّة، والقدرات العامَّة التي تمتلكها. ويتألَّف اسم الشخصيَّة من أربعة أحرف.

بحسب الاختبار، فإنَّ شخصيَّتي هي «INTP»، وتعني أنَّ لديَّ مجموعة من الصفات منها أنِّي أحبُّ أن أمضيَ وقتًا أطول مع نفسي أو مع أصدقائي المقرَّبين جدًّا وليس مع الغرباء. وهذا صحيح فعلًا؛ فأنا أكره الاحتكاك بالغرباء لوقت طويل، وأكره الذهاب إلى الأعراس والمؤتمرات التي لا أعرف فيها أحَدًا. فعندما أدخل قاعة مكتظَّةً بالأشخاص، فإنِّي أخاف من الاقتراب من الغرباء، وأفضِّلُ أن أراقبَ من بعيد باحثًا عن أحد معارفي لأنقضَّ عليه. بناء على هذه الصفة فإنَّ التحليلَ ينصحني بأن أعمل في مهن لا تحتاج إلى الاحتكاك بالكثير من الغرباء؛ فمهن كالمبيعات والعلاقات العامَّة لا تتناسب كثيرًا مع شخصيَّتي بسبب الحاجة إلى الاحتكاك مع الغرباء لأوقات طويلة، وستكون مستنزِفة لي.

كما أنَّ شخصيَّتي تحبُّ التعلُّم والبحث عن المعرفة باستمرار، وبذلك عليَّ أن أعمل في مهنة متجدِّدة يحدث فيها التغيير باستمرار، وتتطلَّبُ التعلُّم المستمرَّ. وينصحني الاختبارُ أن أبتعدَ عن المهن التي تتغيَّر ببطء، ولا تحتاج إلى التعلُّم المستمرّ.

ومن خصائص شخصيَّتي أنِّي لا أجيد الترتيب، بل أميل إلى الفوضويَّة، سواءٌ كان ترتيب المنزل أم جدول المواعيد أم غير ذلك. وبذلك أحبُّ أن أفكِّرَ في خيارات متعدِّدة دَومًا، وأفكِّر خارج الصندوق بدلَ التقيُّد بخياراتٍ محدَّدةٍ أو أفكار معيَّنة. ومع أنِّي أحبُّ الترتيب في أمورٍ معيَّنة، فإنِّي أعترف أنَّ معظم حياتي فَوضَويَّة. ولعلَّ فوضويَّتي هي السببُ الأوَّلُ في مشكلاتي مع سحر؛ حيث إنِّي أرمي ملابسي وأغراضي هنا وهناك. وحتَّى إنْ قرَّرتُ ترتيب مكتبي، فإنِّي أبذل وقتًا طويلًا في ذلك، وفي النهاية لا أستطيع أن أرتِّبه كما تفعلُ سحر.

وهنا أضاف «التعلُّم» و«البحث» إلى خانة «متميِّز». ثمَّ تابع التفكير في ماضيه، وكيف استخدم تلك الصفات، وكان ينظر إلى التلفاز بين الحين والآخر. في هذه المرَّة، لفتَ انتباهَه بطل الفيلم المعروض الذي كان يلبس بدلة أنيقة ويجرُّ حقيبةً على عجلات وهو يتنقَّل في المطار ليسافر؛ جواد يحبُّ السفرَ أيضًا، لذلك تابعَتْ عيناه البطلَ لاشعوريًّا. كان اسم الفيلم «Up in the Air».

حاول التركيز، فهزَّ رأسَه ثمَّ عاود التفكير:

– نحن غريبون حقًّا؛ فعندما نحاول أن نركِّز على مهمَّة ما، نتشتَّتُ وتشدُّنا الأفلام حتَّى المملَّة منها.

تابع قراءة نتيجة التحليل الثاني الذي قام به، وهو «تحليل الميول المهنيَّة لهولاند»، والمعروف بِاسْم «Holland Code»:

– هذا الاختبار خاصٌّ بالميول المهنيَّة، وقسَّم فيها هولاند صاحب النظريَّة أنواعَ العمل ضمن ستَّة أنواع مختلفة. لدينا نسب مختلفة من هذه الميول، حيث يفضِّل كلٌّ منَّا بعضها على الآخر. يساعدنا الاختبار أن نعرفَ أكثر الميول تفضيلًا عندنا. وبذلك نعرف بصورة أكبر المهنَ والتخصُّصاتِ المناسبة لنا. وقد كانت نتيجتي هي «IA»، من الكلمتَين الإنكليزيَّتَين «Investigator» وتعني المتحرِّي، و«Artist» وتعني الفنَّان. وبذلك فإنَّ أوضَحَ الميولات عندي هو حبُّ البحث والتحرِّي والتحليل. ومن المهن المفضَّلة لهذه الفئة هي العلوم والتكنولوجيا، والطبُّ أيضًا؛ نظرًا إلى أنَّها جميعًا تحتاج إلى البحث والتحرِّي والتفكير والاكتشاف.

أمَّا الميل الثاني لديَّ فهو الفنِّيّ، وهو مختلف عن المعنى المعروف للفنّ؛ فهو يعني في هذا التحليل محبَّة الإبداع والإتيان بالجديد والعمل في مهن متجدِّدة باستمرار.

وهكذا؛ وبحسب هذا التحليل، عليَّ العمل في مهنة تتطلَّبُ أوَّلًا البحث والتحليل، وثانيًا الإبداع والإتيان بالجديد. وذلك ينطبق على مهن كثيرة منها الهندسة الكهربائيَّة والبرمجة أيضًا.

ويشيرُ هذا إلى أنَّ عليَّ وضع «الهندسة الكهربائيَّة» في خانة «متميِّز»؛ لأنَّها متوافقة مع ميولي. كما أنَّ ذلك يؤكِّدُ أنَّ المكان المناسب لمهارات «التعلُّم» و«التحليل» و«البحث» هي في تلك الخانة أيضًا. كما اقترح التقرير عددًا آخرَ من المهن، سأضيفها جميعًا إلى مخزن الأعمال لأعملَ على تصفيتها في الفلتر.

تفاعلَ جواد مع الفيلم مرَّة أخرى، وتبيَّن له أنَّ البطل يعمل مستشارًا إداريًّا لدى إحدى الشركات، ويسافر ليقدِّم المشورة إلى شركات الأخرى؛ فالمستشار الإداريُّ عادة يحلِّل الشركات، ويبحث عن طرق لتطويرها أو تحسين أدائها، ويقدِّمُ في النهاية تقريرًا يتضمَّنُ حلَّ المشكلة.

سرح مع الفيلم وبدأ يتابعه دون أن يلاحظَ ذلك.

وفي مشاهد تالية كان البطل يقدِّمُ محاضرات أمام الجمهور، ويلخِّص فيها خبرته في الحياة بصورةٍ جذَّابة. فكَّر جواد:

– أنا أيضًا أحبُّ أن أعطي المحاضرات للآخرين.

ثمَّ تذكَّر العروضَ التي كان يلقيها في الجامعة، ومشروع التخرُّج الذي عرضه في الصالة الكبرى للجامعة، وقد نالَ إعجاب جميع مَن حضره بسبب قوَّةِ أسلوبه وأدائه.

فجأةً شعرَ ببرودة تسري في جسمه، وأحسَّ بدفقةٍ مفاجئةٍ من السعادة:

– مستشار إداريّ! أظنُّ أنَّ هذه المهنة تتناسب مع قدراتي؛ فتطوير الشركات يحتاج إلى الدراسة والتحليل والتفكير.

عاد إلى التقرير وقلَّب في المهن المقترحة، ووجد أنَّ مهنة «مستشار ومحلل إداريّ» كانت من بينها. وبذلك فإنَّ هذه المهنة تتوافق مع ميوله. بعدها تابع التفكير:

– لكن هل سأكون متميِّزًا فيها؟ أظنُّ أنَّ هناك توافقًا مبدئيًّا ما بين قدراتي وتلك المهنة.

عند ذلك، وضعَ «الاستشارات الإداريَّة» في خانة «لا أعرف»، وأعطاها أولويَّة عالية ليختبرَها بأسرع ما يمكن حتَّى يبحثها ويرى مكانَها المناسب في مصفاة القدرة.

وواصلَ التفكير:

– خُطَّتي التالية هي البحث أكثر في الاستشارات الإداريَّة لأرى إنْ كنتُ متميِّزًا

فيها أم لا. كما أنَّ عليَّ أن أبحثَ في الهندسة الكهربائيَّة والبرمجة والمهن الأخرى في خانة «متميِّز»؛ لأرى مكانَها المناسب في مصفاة المتعة.

ثمَّ تذكَّر:

– إنَّ زينة تدرس إدارة الأعمال، سأستعير كتبَها لأقرأها.

مخزن الأعمال				
مصفاة القدرة	متميِّز	عادي	سيِّئ	لا أعرف
	مدير المركز البرمجة الهندسة الكهربائيَّة التفكير الإبداع الفكاهة التعلُّم التحليل البحث	الطبُّ البشري التخطيط المهارات اليدويَّة التصميم الداخلي طبُّ الأسنان	الرسم إدارة الوقت التعامل مع الأطفال الغناء	الاستشارات الإداريَّة
مصفاة المتعة	ممتعة (خانة التركيز)	حياديَّة	كريهة	

١٠

وصلت رسالةٌ إلى هاتف زينة النقَّال، فرفعته وقرأت الرسالة، كانت من تامر:

"هل من جديد بخصوص جامعتك؟ لقد أخبرتني بأنَّك ستعطيها فرصةً أخيرة"

فكَّرت في نفسها:

– لقد نسيتُ أن أخبره بما حدث معي في الكليَّة.

كان لدى زينة في أوَّل أسبوعَين من الجامعة ما يُسمَّى التدريب العمليّ، وهو تدريب يُنجزه الطلَّاب في شركة خارجيَّة لتجربة العمل في تخصُّصاتهم مدَّة ٥ ساعات يوميًّا.

فكَّرتْ من جديد:

– أخبرت تامر بأنَّ هذا سيكون الاختبار الأخير لي لأقرِّرَ المتابعة في الجامعة أم المغادرة. وقد أنهيتُ هذا التمرين للتوِّ.

كتبت ردًّا على رسالته:

"لقد جرَّبتُ العمل، وقد كان مملًّا جدًّا. وسألت مشرفتي عن فرص العمل في الإدارة بعد التخرُّج، وأعطتني خِياراتٍ متنوِّعة. جميعها كانت محبطة ولا تتوافق معي".

ردَّ عليها:

"أي أنَّكِ ستتركين الجامعة؟"

أجابته:

"لقد قدّمتَ ورقة الانسحاب، وتوقَّفت عن الدوام. لقد سِرتُ في المسار الخاطئ، ولن أكملَه حتَّى النهاية"

ردَّ عليها:

"لكنَّ ذلك سيفسد علاقتنا؛ فأنتِ تعرفين رأي أهلي وأهلك في ذلك"

فقالتْ له:

"إنَّه مستقبلُنا أنا وأنت، وليست للأهل علاقة بذلك! لا يعقل أن أبقى دُميةً يلعبون بها كيفما أرادوا وكأنِّي لستُ واعيةً بما يكفي. لا يزالُ أهلي يظنُّون أنِّي طفلةٌ حمقاءُ مهما فعلت، ويعاملونني كأنِّي أحتاجُ إلى وصايتهم لئلَّا أُوذِيَ نفسي"

ردَّ تامر:

"لكنِّي اعتدتُ دَومًا أن أبرَّ بأهلي وأسمع كلامهم، لذلك لا يمكنني أن أعصيَهم بالزواج بفتاة لم تنهِ تعليمَها الجامعيّ"

بدأت تغضب: "على ما يبدو أنَّ تامر ليس متفرِّدًا في قراراته. أين شخصيَّته وكِيانه إنْ كان يتلقَّى تعليماته من أهله؟".

ردَّت عليه بغضب:

"وهل تأخذ رأي أهلك قبل أن تدخل دورة المياه أيضًا؟"

ردَّ عليها:

"لا تستهزئي بالأمر يا زينة! والدي أمرني بالزواج بجامعيَّة، وأنا سأنفِّذُ ذلك"

ردَّت عليه:

"إنَّ هناك حدودًا لبرِّ الوالدَين! ومن الخطأ على الأهل أن يتحكَّموا في مستقبل أبنائهم؛ فذلك ليس من شأنهم، واختيار التخصُّص غير مرتبطٍ ببرِّهم بتاتًا"

بعد أن أرسلت الرسالة تذكَّرت أنَّ حالَها ليسَتْ أفضل من حاله؛ فهي أيضًا تعيش في أسرة يتحكَّم فيها الأهل في مستقبل أبنائهم، لكنَّ الفرقَ أنَّها تضع حدًّا ما بين برّ الوالدَين وتسلُّطهما. وهي تؤمن بأنَّ للأهل حدودًا لا ينبغي تجاوزها في تعاملهم مع أبنائهم، وليس من حقِّهم تحديد تخصُّصها؛ لأنَّها هي مَن سيعمل في النهاية في هذا التخصُّص، ولن يعملوا نيابة عنها.

انتظرَتْ ردًّا منه.

لكنَّه لم يرُدَّ.

بعثتْ إليه برسالةٍ ثانية:

"أشعر بأنَّ علاقتي لن تكونَ معك وحدَك، بل مع أهلك أيضًا. حتَّى تستمرَّ علاقتنا، يجب أن نكون مستقلِّين ونتَّخذَ قراراتِنا معًا دون مؤثِّراتٍ خارجيَّة"

انتظرت ردًّا لدقائق، لكنَّه لم يرُدّ.

عندها أرسلَتْ إليه ثالثةً:

"تامر حبيبي، هل من مشكلة؟"

انتظرَتْ دقائق أخرى، دون أيِّ ردٍّ منه.

كان جواد قد بحثَ أكثر عن مهنة «الهندسة الكهربائيَّة»، ووجد الكثير من المعلومات حولها، وعرف أنَّ هناك الكثير من التخصُّصات الأخرى المشابهة لها. وبعد أن بحث في المهارات المطلوبة لكلٍّ منها؛ وسأل أصدقاءه عنها، لفتَ انتباهَه كثيرًا تخصُّصُ «ميكاترونكس»، الذي يجمع ما بين الهندسة الميكانيكيَّة وهندسة الإلكترونيَّات. ووجد أنَّ هذا التخصُّص مناسب له أكثر من الهندسة الكهربائيَّة؛ حيث إنَّ مجال العمل فيه متناسب أكثر مع قدراته الموجودة في خانة «متميِّز». لذا وضع هذا التخصُّص في خانة «متميِّز» ، وقرَّر استبعاد الهندسة الكهربائيَّة.

كما أنَّه استعار بعض الكتب الإداريَّة من زينة ليقرأ أكثر عن تخصُّص التخطيط والإدارة. وبحث أكثر عنها، وتبيَّن له أنَّ هناك العديد من التخصُّصات الإداريَّة والمهن التابعة للإدارة، وأعجبه أيضًا العمل في الاستشارات الإداريَّة، ووضعه أيضًا في خانة «متميِّز».

بعد أن أنهى جواد مصفاة القدرة، بدأ يأخذ المهامَّ الموجودة في خانة «متميِّز» ليصفِّيَها باستخدام مصفاة المتعة. وقد وضع نُصبَ عينَيه صفاتِ المتعة الخمسة التي أخذها من كتاب «التدفُّق»، وراحَ يفكِّر:

– في ما يخصُّ العمل في إدارة المركَز، رغم تميُّزي فيه، فإنَّ المهمَّة أرهقتني كثيرًا. أذكر التوتُّرَ الشديد الذي كنتُ أُصابُ به في أثناء أدائي مهامَّ الإدارة، وتنسيق جدوَل الأطبَّاء، ومتابعة الشؤون الماليَّة في العيادة. كانت مهمَّةً مرهقةً جدًّا، حتَّى إنِّي كنتُ

أكره الردَّ على الهاتف خوفًا من أن يكونَ من أحد المرضى أو أحد الموظَّفين. لذا سأضعُ «مدير المركَز» في خانة «حياديَّة»؛ فهذا المنصب لم يشعِرْني بالتدفُّق.

ومن جهةِ القدرات، فأنا أشعر بالمتعة والتدفُّق عند ممارسة أيٍّ من القدرات الموجودة في خانة «متميِّز»، لذلك سأنقلها جميعًا إلى خانة «ممتعة».

وفي ما يتعلَّقُ بمهنة مبرمج، كنتُ أستمتع كثيرًا بها، وكنت أشعر بالتدفُّق وأنا أمارسها، لذا سأضعها في خانة «ممتعة». ومهنة مهندس ميكاترونكس، فوجدتُ أنَّها ممتعة أيضًا عندما زرتُ أصحابي ورأيت ما يقومون به. ومن جهةِ الاستشارات الإداريَّة، فبعد أن عرفتُ القدرات التي تتطلَّبُها هذه المهنة، والموادَّ التي يدرسونها وشاهدت ما يقومون به، وجدتُ أنَّها ممتعة مبدئيًّا. حتَّى إنِّي استمتعت بالكتب التي قرأتها عن الإدارة، لا سيَّما تلك التي تتناولُ كيفيَّة التخطيط الاستراتيجيِّ للفوز على المنافس. وهي أيضًا تحتاج إلى قدرة البحث والتحليل التي وضعتُها للتوِّ في خانة «ممتعة»، وهذا يدعم أنَّ المهنة ستكون ممتعة أيضًا، لذا سأضعها في خانة «ممتعة».

وبذلك أُنهي تصفية جميع المهامِّ باستخدام مصفاة المتعة.

سحبَ نفسًا عميقًا، ثمَّ نظر إلى المهن الموجودة في خانة «ممتعة» والتي أسماها أيضًا «خانة التركيز»، وبدأ يفكِّر:

– صارت لديَّ ثلاثُ مهن في «خانة التركيز» لأختارَ من بينها. كيف سأُفاضلُ بينها؟ فالكتاب الذي أرسله إليَّ أ. جمال لم يذكُرْ شيئًا عن الاختيار ما بين البدائل المختلفة.

هل أتَّصل بالأستاذ جمال؟

تردَّدَ قليلًا، ثمَّ قال:

– أظنُّ أنَّ عليَّ أوَّلًا أن أزور زينة لأرى إلى أين وصلت في حلِّ التمرين.

ارتدى ملابسَه، ثمَّ توجَّه إلى منزل زينة.

مخزن الأعمال

مصفاة القدرة

متميِّز	عاديّ	سيِّئ	لا أعرف
مدير المركز البرمجة الهندسة الكهربائية ميكاترونكس الاستشارات الإداريَّة: التفكير الإبداع الفكاهة التعلُّم التحليل البحث ...	الطبُّ البشري التخطيط المهارات اليدويَّة التصميم الداخلي طبُّ الأسنان ...	الرسم إدارة الوقت التعامل مع الأطفال الغناء ...	...

مصفاة المتعة

ممتعة (خانة التركيز)	حياديَّة	كريهة
البرمجة ميكاترونكس الاستشارات الإداريَّة التفكير الإبداع الفكاهة التعلُّم التحليل البحث ...	مدير المركز ...	...

١٢

وصلَتْ إلى زينة رسالةٌ على هاتفها النقَّال، فرفعته لتقرأ الرسالة:

"أنا في الأسفل، افتحي الباب"

قالت في نفسها: "كعادته، يأتي في الوقت المتأخِّر دومًا".

نزلت زينة إلى باب المنزل لتفتحَ له الباب، وأدخلته في غرفتها ليناقشا ما وصلا إليه.

سألها:

- أين وصلتِ في فلتر التخصُّصات؟

أجابته بإحباط:

- لم أصل إلى نتيجةٍ جيِّدة؛ فقد حاولت جاهدة إدراجَ خمسين مدخل في مخزن الأعمال، والنتيجة أنَّ مهارتين فقط وصلتا إلى «خانة التركيز».

ثمَّ أخرجت له زينة ورقة رسمت عليها فلتر التخصُّصات.

نظر إلى الرسمة، فتوسَّع بؤبؤ عينَيه، وفغر فمَه وهو يحملق في تلك الورقة وكأنَّه ينظرُ إلى منظر بديع، أو كنز متلألئ، وصرخ:

- يا للرَّوعة! ما هذه الرسمة يا زينة؟ مَن رسمها؟

حاول أن يقول شيئًا- أيَّ شيء- ليغيِّر من ردِّ فعلها، لكنَّه لم يعرف ما عليه أن يقول.

ثمَّ وجد نفسه يقول:

- عليك الآن أن تغيِّري حالتك في الفيسبوك وتعيديها إلى عازبة «Single»، ثمَّ تكتبي «أشعر بالألم».

فجأة طارَ أحد كتب الإدارة باتِّجاه جواد وارتطم برأسه بقوَّة، فصاح من الألم. وصرخ عليها وهو يفركُ رأسَه من الألم:

- لقد أوجعتني!

على ما يبدو أنَّكِ متميِّزة أيضًا بالرَّمْي.



قرَّر جواد أخيرًا أن يتَّصل بالأستاذ جمال. فقد أنهى الكتابَ وطبَّقه جيِّدًا على نفسه وعلى زينة. وكان عليه أن يعرفَ كيف سيختار بين هذه المهن التي خرج بها، وعليه أيضًا أن يعرفَ الخطوة التالية بعد معرفة مهاراته والمهن المناسبة له.

رفع جواد هاتفه واتَّصل بالأستاذ جمال. رنَّ الهاتف خمس مرَّات، ثمَّ أتاه الردُّ:

- أهلا بالدكتور جواد. مضى وقتٌ طويل على آخر اتِّصال.

ردَّ عليه جواد:

- أهلًا بك أ. جمال. أجل! فقد كان هذا التحدِّي هو الأصعب.

سأله أ. جمال:

- هل وصلتَ إلى الحلِّ؟

ردَّ جواد:

- أعتقد ذلك. لقد لَخَّصتُ تمارينَ الكتاب بشكلٍ بسَّط عليَّ اتِّباعه.

وبدأ يشرح كيف اختصر الأسئلة ووضعها في نموذج متكامل، ثمَّ شرح له كيف طبَّقها على نفسه.

وبعد أن انتهى من الشرح قال له أ. جمال:

– إنَّ هذا رائعٌ حقًّا. لم تخطر الفكرة لي من قبلُ أن ألخِّصَ الأسئلة بهذه الطريقة المبدعة.

ردَّ عليه جواد:

– شكرًا على لطفك. لكنْ حصلت معي مشكلة: أنَّ المخرجَ النهائيَّ كان مجموعةً من المهارات، علاوةً على ثلاث مهن. فكيف سأختار من بينها؟

قال أ. جمال:

– سؤالك جميل! في البداية عليك أن تعرف أنَّ المهنَ الثلاث هي ليست النهائيَّة؛ فعمليَّة اكتشاف الذات هي عمليَّةٌ مستمرَّة. وعليك باستمرار أن تبحثَ عن المهارات والمهامِّ والمهن الموجودة في «خانة التركيز».

يجب أن تتوافر صفتَي القدرة والمتعة في أيِّ تخصُّص ستعمل فيه. وعندما تجد عدَّة مهن تتوافر فيها هاتان الصفتان، فهناك معايير ثانويَّة كثيرة يمكنك استخدامها للمفاضَلةِ ما بينها، وفي وُسع كلِّ شخص أن يحدِّد المعايير الأهمَّ له ويختار بناءً عليها.

ومن المعايير الثانويَّة المهمَّة سأذكر مثلًا:

الفرصة: فقد يرى البعض أنَّ من المهمِّ أن يتخرَّج المرءُ ويجدَ فرصَ عملٍ شاغرةً مناسبةً له. بهذه الطريقة يختار المهنة التي تتضمَّن فرصَ عملٍ أكثر في السوق. من الممكن أيضًا أن يوضَعَ في الحسبان متوسِّط رواتب المهنة لدى احتساب الفرصة، بإمكانك إيجاد متوسِّط الرواتب في المواقع التي تتحدَّث بشأن المهن. كما يمكنُك أيضًا وضع متوسِّط الرواتب لتكونَ معيارًا مستقلًّا، وذلك بحسب أهميَّة هذا المعيار لك.

الرسالة أو الشغف: فلبعضنا شغفٌ أو رسالةٌ في الحياة، وبناءً عليها يختار المهنة

الأقرب لرسالته أو شغفه. فإنْ كانت رسالتك هي تقليل عدد الفقراء في المجتمع مثلًا، عليك إذًا أن تنظرَ في تلك المهن التي اخترتها، وترى أيُّها يتوافق أكثر مع رسالتك في الحياة. قد يكون لدى البعض شغف حول قضيَّة ما، عليه هنا أن ينظر إلى التخصُّصات في خانة التركيز، والتي تتوافق مع شغفه. لاحِظْ يا جواد أنَّ الشغفَ موجودٌ بصفةِ معيارٍ ثانويٍّ فقط، وليس له دور بين المعايير الرئيسة للاختيار.

تكاليفُ المال: تكونُ دراسةُ بعض التخصُّصات مكلفةً جدًّا. ويكون على الشخص أن يجدَ طريقةً للحصول على المال. وعليه عندها إمَّا التفكير في طريقة للحصول على المال للدراسة، وإمَّا البحث عن مهنة أقلَّ تكلفة.

تكاليف الوقت: حيث تحتاج بعض المهن إلى مدَّة طويلة للدراسة أو العمل ليتدرَّبَ المرءُ عليها ويكتسبَ المهارة فيها. وفي حال لم يكن لديك الوقت الكافي لذلك، فستكون مدَّة الدراسة مهمَّةً جدًّا لك.

تكاليف الجهد: وهنا ستجد أنَّ بعض التخصُّصات تحتاجُ إلى بذل جهد في تعلُّمها ودراستها أكثر من غيرها. وقد تكون لديك التزامات معيَّنة في حياتك تجعلك غير قادر على بذلِ جَهدٍ كبيرٍ يتناسب مع هذا التخصُّص، كأن تدرسَ في أثناء عملك مثلًا.

الآن اختر المعايير التي تراها مهمَّة لك، ثمَّ قيِّم التخصُّصات الموجودة في «خانة التركيز» وَفقًا لها. ولتسهيل ذلك، يمكنك إعطاء درجة من ٥ نقاط لكلِّ معيار، بحيث تعطي ٥ درجات عند توافق المعيار مع التخصُّص الذي اخترته، ودرجة واحدة عندما لا يتوافق مع المعيار.

الآن قيِّم كلَّ تخصُّصٍ من التخصُّصات الثلاث وَفقَ هذه المعايير الخمسة، ثمَّ اجمَعِ النتائجَ لتعرفَ أيُّها حصل على أعلى نتيجة. سيكون هذا التخصُّص هو الأنسب لك. لكنْ تذكَّر يا جواد، أنَّ هذه مجرَّد أرقام لتبسيط اتِّخاذك القرار؛ لذا هي مجرَّد وسيلة تقريبيَّة لتسهيل الواقع، ولا تعبِّر عنه ١٠٠٪.

فضلًا عن ذلك، إنْ كان أحد المعايير مهمًّا جدًّا، ففي وُسعكَ جعل درجته النهائيّة من ١٠ بدلًا من ٥، بحيث يكون له وزن أكبر في النهاية. وتذكَّر أنّه يمكنك حذف أيّ معيار ليس مهمًّا لك، وإضافة معايير أخرى تراها مهمّة إنْ تطلَّب الأمر. تستطيع إضافة معيار لمقدار القدرة أو حجم المتعة. ومع أنَّ جميع تلك المهامّ تتوافر فيها القدرة والمتعة، فمن الممكن أن تتفوَّقَ متعةُ إحداها على الأخرى.

سأل جواد:

– وماذا لو لم تكن هناك فرص عمل في التخصُّص المناسب لي؟ هل يمكنُني اختياره؟ أقصد ماذا لو كان التخصُّص مناسبًا في كلِّ المعايير، لكنّه سيِّئٌ جدًّا في عدم وجود شواغر وفرص العمل؟

ردَّ أ. جمال:

– في هذه الحالة، على الشخص أن يفكِّرَ جيِّدًا في كيفيَّة خلق الفرص. فهل من المناسب أن يبدأ عملًا خاصًّا ويصنع فرصته بنفسه؟ أو هل يمكنه إيجاد طريقة للدخول في هذا العمل بصورة غير مباشرة؟ أحد زملائي أراد أن يعمل في الإدارة الماليّة، وأخبرني بأنَّ فرص العمل فيها كانت نادرةً جدًّا. لذا وبعد أن تخرَّج من تخصُّص الإدارة الماليّة، بدأ يعمل في شركة تدريب في منصب منسِّق الدورات. وفي وقت فراغه، كان يتعلَّم أكثر عن التدريب وكيفيَّة تقديم الدورات. ثمَّ بدأ بنفسه يعطي دورات مبسَّطة في الإدارة الماليّة. وحتَّى يصقل مهاراته أكثر في هذا المجال، راح يقدِّمُ استشاراتٍ ماليّةً مجّانيّة للجمعيّات الخيريّة. وبذلك بدأ يصنع لنفسه اسمًا في هذا المجال. وبالنتيجة أثبتَ كفاءتَه في العمل في الإدارة الماليّة، ووسَّعَ شبكة معارفه. في نهاية المطاف، تمكَّن من الانتقال إلى العمل في الإدارة الماليّة لدى شركة سبق أن تعاملَتْ مع تلك الجمعيّات الخيريّة، وتعرَّفت فيها إليه. لم يوظِّفه أحَدٌ لدى تخرُّجه بسبب قلّة خبرته أو لأنّهم لا يعرفونه، لكنّه بهذا الطريق غير المباشر تمكَّن من الوصول إلى هدفه، وخلقَ فرصتَه بنفسه. لذا عليك أن تبحث عن طرق بديلة

تمكِّنك من الوصول إلى فرصة العمل المناسبة. وعندما لا تتوافَرُ تلك الطرق؛ أو في حال عدم رغبتك في المجازفة، فعليك أن تفكِّر جِدِّيًّا في استبعاد هذا التخصُّص.

ردَّ جواد بالقول:

– جميل جدًّا. وماذا سأفعل بعد أن حدَّدتُ المهنة التي أريدها والمهارات التي أتميَّز بها؟ وماذا سأفعل بمهنتي التي أكرهُها؟

أجاب أ. جمال:

– سؤالك جميل! وهذا هو موضوع المهمَّة التالية التي عليك اجتيازها.

أسرع جواد بالحديث قبل أن يقفل الاتِّصالَ في وجهه:

– أريد أن أسألك: ماذا كنتَ تقصد بكلمة «GPYSTW» التي ذكرتَها في آخر رسالة لك؟

لكنّه لم يتلقَّ أيَّ ردّ؛ فقد كان الأستاذ جمال قد أنهى المكالمةَ فعلًا.

وبدلَ الشعور بالإحباط، أمسك هاتفه بانتظار اسم الكتاب الذي سيرسله إليه. وبعد ثوان رنَّ هاتفه فعلًا، كانت الرسالة تقول:

"Go Put Your Strengths to Work - Marcus Buckingham"

تحمَّس وقال في نفسه:

– حان وقتُ المتعة والتحدِّي الجديد.

بعد ثوان وصلتْ إلى هاتفه رسالةٌ أخرى. نظر إلى الهاتف، ووجد أنَّ رسالةً أخرى وصلت إليه من أ. جمال. فتح هاتفه وقرأها:

"بالمناسبة، أضِفْ مهارة «تبسيط المعلومات وشرحها» إلى «خانة التركيز» لديك؛ فأنت متميِّز جدًّا في هذه المهارة"

وهنا أُفرِزَتْ كمّيّة كبيرة من هرمون دوبامين في دماغه، فأحسَّ بالسعادة والنشوة، وقال في نفسه:

– يا إلهي كم كنتُ غبيًّا! كانت تلك القدرة موجودة لديَّ منذ البداية، ولم أنتبه لها. أنا فعلًا أحبُّ الشرح والتدريب وأستمتع به منذ أن كنتُ في الجامعة.

تُرى كم موهبةً أخرى عندي ولم أنتبه لها؟

وأضاف مهارة «تبسيط المعلومات» ومهنة «التدريب» إلى خانة التركيز.

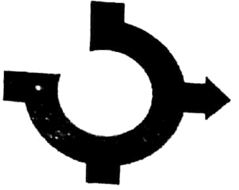
مخزن الأعمال

مصفاة القدرة

متميِّز	عادي	سيِّئ	لا أعرف
مدير المركز البرمجة الهندسة الكهربائية ميكاترونكس الاستشارات الإدارية التفكير الإبداع الفكاهة التعلُّم التحليل البحث ...	الطبُّ البشري التخطيط المهارات اليدوية التصميم الداخلي طبُّ الأسنان ...	الرسم إدارة الوقت التعامل مع الأطفال الغناء ...	...

مصفاة المتعة

ممتعة (خانة التركيز)	حيادية	كريهة
البرمجة ميكاترونكس الاستشارات الإدارية التدريب التفكير الإبداع الفكاهة التعلُّم التحليل البحث تبسيط المعلومات ...	مدير المركز ...	...



الفصل الثالث

نقاط القوَّة والضعف

سألها عامر:

– هذا رائع! المهمُّ أنَّكِ تعرفين تمامًا ما تريدين فعله. وهل وجدتِ معهدًا مناسبًا؟

أجابته باستغراب:

– رائع؟ أنتَ أوَّلُ شخص يصف قراري بأنَّه «رائع»! فقد مللتُ من الشتائم والنقد الذي أتلقَّاه بمجرَّد إخبار الآخرين بقراري.

أمَّا جوابي عن سؤالك، فهو أنّي لم أبحث جيِّدًا بعدُ عن المعاهد.

فقال لها:

– زينة، دعكِ من انتقاداتهم. إنْ كنتِ تعرفين ما ستقومين به، وفكَّرتِ في قرارك بعناية، فلا تكترثي برأيِ أحد مهما حصل.

وبالمناسبة، عمَّتي تعمل مصمِّمةً جرافيكيَّة، وتدرِّس حاليًّا في أكاديميَّةِ التصميم. ولديهم برنامَجُ دبلومٍ مدَّته سنتان في التصميم. هل تريدين أن أنسِّق لك موعدًا معها لتعرفي أكثر عن البرنامَجِ، وترَين ما إذا كانت الأكاديميَّة مناسبة لك؟

ردَّت بحماسة:

– بالتأكيد! سأكون سعيدة جدًّا بذلك.

قال لها:

– إذًا اتَّفقنا. وأتمنَّى لكِ مستقبلًا سعيدًا كما تتمنَّينَ وأكثر. ولا تفكِّري كثيرًا في السنوات التي ضاعَتْ في دراسة الإدارة؛ فلدينا في علم الإدارة مصطلح «التكاليف الغارقة» (Sunk cost)، وهي التكاليف التي صُرِفَتْ مسبَّقًا على مشاريع أو موادَّ أو حتَّى أسهم، فيجب ألَّا تؤثِّر هذه التكاليف الغارقة التي دفعناها في الماضي في قراراتنا المستقبليَّة.

ثاني لفة يمين

إن كنتِ تعرفين ما ستقومين به، وفكَّرتِ في قرارك بعناية، فلا تكترثي برأي أحد مهما حصل.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR

جبل عمّان Jabal Amman

لنفترضْ مثلًا أنَّكِ اشتريتِ منزلًا بغَرَضِ بَيعِه والتربُّح منه. ثمَّ أخبرك أحد أصدقائك بأنَّ سعرَ المنزل اليوم هو ١٠٠ ألف، لكنَّ السعر سينخفض حتمًا في الأشهر المقبلة ليَصِلَ إلى ٥٠ ألفًا. فهل ستبيعين المنزل؟

أجابته:

– سأبيعه دون شكّ؛ فالانتظار يعني خسارةً أكبر.

تابع عامر:

– جميل جدًّا. لكنْ ماذا لو أعطيتُك معلومةً جديدة، وهي أنَّك اشتريتِ المنزل قبل ستَّة أشهر بمبلغ ١٥٠ ألفًا. ويعني هذا أنَّك إنْ بعتِ المنزل الآن بمبلغ ١٠٠ ألف، فستَخسرين ٥٠ ألفًا. فهل ستبيعنه؟

هنا بدأتْ تفكّر. فبحسب المعطَيات الجديدة، لو باعَتِ المنزل الآن ستخسر ٥٠ ألفًا من مبلغ شرائه البالغ ١٥٠ ألفًا.

تردَّدتْ زينة، ثمَّ أجابته:

– في الحقيقة أظنُّ أنَّ عليَّ عدم بَيعه؛ فبَيعُ المنزلِ الآن يعني خسارةً أكيدة مقدارها ٥٠ ألفًا.

ردَّ بسرعة:

– لكنَّ الانتظارَ وعدم بيعه يعني أنَّ المنزل سيخسر بعد أشهرٍ ٥٠ ألفًا أخرى، ومن ثَمَّ ستكون الخسارة ١٠٠ ألفٍ إنِ انتظرْتِ.

فكَّرت قليلًا لتستوعِبَ الفكرةَ ثمَّ قالت:

– صحيح! فعلًا. فبَيع المنزل اليوم بمبلغ ١٠٠ يعني خسارة ٥٠ ألف من سعره

الأصليّ، أمّا الانتظار فسوف يؤدّي إلى انخفاض سعره أكثر، وعندها ستكون خسارتي الإجماليَّة ١٠٠ ألف.

أجابها:

– بالضبط! لذا يُفترَضُ ألَّا تتغيَّر إجابتك عن كلا السؤالَين السابقَين؛ إذ يجب تجاهلُ الخسارة التي حدثت في الماضي عند اتِّخاذ قرارات مستقبليَّة؛ فالخسارة حدثت وانتهَتْ، وإعادة التفكير فيها سيجعلنا نتردَّد في قراراتنا المستقبليَّة، مّما يعني خسارةً أكبر. في الحقيقة، يحدثُ الأمر ذاتُه في سوق الأسهم؛ فإنِ اشترى شخصٌ أسهُمًا بقيمةٍ عالية، ثمَّ حدثَ انهيار كبير في السوق انخفضت معه أسعار أسهمه، فإنَّ المرءَ يُفضِّل عادةً التشبُّثَ بأسهمه رغم استمرار انخفاضها؛ فخسارته السابقة تجعله يتمسَّك بالسهم أكثر لئلَّا تزيد خسارته. مع أنَّ الحلَّ الأمثل هو الرضى بالخسارة الأوَّليَّة وبيع أسهمه قبل أن تزداد خسارته أكثر. لذا على الناس أن يضعوا الخسائر السابقة في خانة «التكاليف الغارقة»، ويحذفوها من حساباتهم المستقبليَّة نهائيًا؛ فتلك الخسارة حدثت وانتهت.

أعجبتها الفكرة، لكنَّها لم تستطع ربطَها بالحديث الذي دار بينهما، فسألته:

– جميل جدًّا. لكن ما علاقة ذلك بقصَّتي؟

أجاب على الفور:

– الأمر ذاته حصل معك فعلًا. فقد أمضَيتِ سنتَين من عمرك في تخصُّصٍ تكرهينه. وردُّ الفعل الطبيعيُّ هو أن يتابع المرءُ الدراسة التي يكرهها، لئلَّا يُضيِّعَ سُدًى السنتَين السابقتَين من عمره اللتَينِ درسَ فيهما هذا التخصُّص.

لكنَّ هاتين السنتَين تُعدَّان «تكاليفَ غارقة» خسرها المرءُ وصارت من الماضي، ويجب ألَّا تؤثِّر في قراراته المستقبليَّة. فالاستمرار في التخصُّص الكريه ذاته، يعني خسارةَ سنواتٍ إضافيَّة في الجامعة وسنوات إضافيَّة في العمل بشهادةٍ يكرهها. وبذلك يكون

الشخص قد خسر عمره لأنّه لا يريد أن يخسرَ سنتَين درس فيهما التخصُّص الخاطئ.

التفكير السليم هو أن يضعَ الشخصُ السنين التي ضاعت من عمره في خانة التكاليف الغارقة التي حدثت وانتهت، ولا يضعها في الحسبان لدى اتّخاذ قراراته المستقبليّة.

ابتسمت وقالت:

- هذا مشجِّعٌ حقًّا! لطالما حزنتُ على السنتَين اللتين ضيَّعتُهما في دراسة الإدارة، وقد حذَّرني زملائي من تَرْكِ التخصُّص لئلَّا أضيِّعَ السنتَين هباء منثورًا. لكنَّ كلامَك منطقيٌّ جدًّا؛ حيث إنّي خسرتُ سنتَين في الماضي وانتهى الأمر، ويجب ألَّا أجعلَ تلك الخسارةَ سببًا لخسارة ما تبقَّى من عمري.

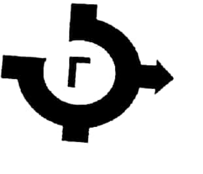
ابتسم وقال لها:

- لقد سررتُ بالتحدُّث إليكِ، وسأخبركِ بردِّ عمَّتي.

وكان ردُّها الأخير:

- شكرًا جزيلًا لك، وسررْتُ أيضًا بالحديث إليكَ.

أنهتِ الاتّصالَ وهي غايةٌ في السعادة، وقالت: "يا إلهي! كم كانت مكالمةً حماسيَّة! أتمنَّى أن أتمكَّنَ من لقاء عمَّتِه في تلك الأكاديميَّة".



من على ارتفاع ٣٠٠ متر عن سطح الأرض، دخل جواد ومجموعة من الزوَّار جسرَ المشاهدة الموجود في إحدى ناطحات السحاب في المدينة. تدافع الزوَّار إلى النوافذ التي تتيح لهم رؤيةً بانوراميّةً ساحرة. نظر جواد إلى الزوّار وقال في نفسه: "كعادتهم، سيتركون كلَّ المنظر الساحر للمدينة ليبحثوا عن منازلهم حيث يعيشون دَومًا!". ذهبَ جواد إلى نافذة بعيدةٍ عن مكان تجمُّعهم، وتركهم يتحدَّثون وهم يشيرون إلى خارج النافذة.

أمّا هو فقد جاء لهدفٍ مختلفٍ تمامًا.

نظر من النافذة ليرى الإطلالةَ الساحرة للمدينة، والسماء الصافية حيثُ تسبحُ بعضُ الغيوم التي غطَّتْ أشعَّة الشمس جزئيًّا، وبهذا أضافَتْ إلى المنظر سحرًا على سحرٍ. وهناك بدأ يفكِّر في حياته ومستقبله:

- يبدو أنَّ الأشهر الأخيرة حملَتِ الكثير من الأحداث الجديدة في حياتي؛ فمنذ سنواتي الأولى في الجامعة وأنا مؤمنٌ بأنّي سأعمل في مهنة طبّ الأسنان إلى التقاعُد، حتّى إنَّ جميع أحلامي وأهدافي وخُططي التي رسمتُها كانت تدور حولها. لكنَّ مطرقة الواقع جاءت وحطَّمت أحلامي الورديَّة. عندها رأيتُ الصورة الحقيقيَّة بوضوح: أنَّ طبَّ الأسنان لا يناسبني. ثمَّ التقيتُ أ. جمال الذي وعدَ أن يعطيني الحلَّ للخروج من مأزقي. ونتيجةَ البحث والتحرّي، وجدتُ أربعةَ مساراتٍ مهنيَّة مختلفة لأختار من بينها- أربعة مسارات مهنيَّة تتناسب مع القدرة والمتعة. ولأنّي لا

أريد أن أكرِّرَ الخطأ الذي ارتكبتُه في طبِّ الأسنان، عليَّ أن أفكِّرَ جيِّدًا.

أظنُّ أنَّ هذا هو المكان الأفضل لاتِّخاذ قرار كهذا؛ فمن ارتفاع ٣٠٠ متر، أرى الصورة الكاملة للمدينة بعيدًا عن التفاصيل الدقيقة التي أراها يوميًّا. من هنا أرى الشوارعَ كاملةً- بداياتِها ونهاياتها، والأحياءَ كلَّها مهما كانت كبيرة.

هذه الصورة تحاكي حياتي التي أعيشها، أراها دومًا بتفاصيلها الدقيقة، فتغيب عنّي الصورة الكاملة. أريد أن أتخيَّلَ حياتي كهذه المدينة، بالصورة الكاملة، بخطوطها ومساراتها. كما أريد أن أرى من أين أتيت وإلى أين عليَّ أن أذهب.

تفكير جوادٍ من هذا المكان مختلف عن التفكير في منزله؛ فاتِّساعُ الأفق سيحفِّز عقلَه على رسم صورة شموليَّة لحياته ومستقبله. فقد أمضى شهرًا كاملًا بالبحث ما بين الخِيارات المتاحة، وسؤال المختصِّين في تلك المهن عن خصائص مهنهم ليعرفَ مدى توافُقِها مع قدراته وما إذا كانت ستجلب إليه المتعة أم لا. الآن صارت معظمُ المعلومات التي يريدها متاحةً لديه، وكلُّ ما عليه فعله هو اتِّخاذ القرار المناسب، وهكذا تابع التفكير:

– أمامي الآن أربع مهن أختارُ من بينها: مبرمج أو مهندس ميكاترونكس أو مستشار في الإدارة أو مدرِّب. أوَّلًا، تحتاجُ مهنةُ التدريب إلى خبرة في مجالٍ ما، وبذلك لا يمكنني أن أدرِّبَ إلَّا ما أُتقِنُه. لذا سأحذفُها من القائمة الآن وأعود إليها عندما أحوزُ خبرةً ومعرفةً يمكنُ نقلُها إلى الآخرين.

سأستخدم المعايير الخمسة التي أخبرني بها أ. جمال للتفضيل ما بين المهن: الفرصة والرسالة وتكاليف المال وتكاليف الوقت وتكاليف الجهد.

فرص العمل في البرمجة عاديَّة، ورواتبها أقلُّ من غيرها عادة، والطريقة المثلى هي أن أمارسَ عملًا خاصًّا فيها، لكنَّ ذلك غير ممكن لأنَّه يحتاج إلى الوقت والخبرة في العمل في السوق. أمَّا فرص عمل الميكاترونكس فهي أكثر بحسب ما ذكر لي

أصحابي، في حين فرصُ الاستشارات الإداريَّة قليلة، لكنَّها متاحة لمن توافرت لديه قوَّةٌ علميَّةٌ فيها. ويمكن تسخير جميع هذه المهن لتتوافق مع رسالتي في تطوير المجتمع، وإحداث أثر إيجابيٍّ فيه.

ومن جهةِ تكاليف المال والوقت والجهد، فهنا مشكلة عويصةٌ نوعًا ما؛ فدراسةُ البرمجة هي الأقلُّ تكلفة، لكنَّها تحتاجُ إلى الكثير من الجَهد والممارسة لأتمكَّن منها، ودراسة الميكاترونكس تحتاج إلى دراسة جامعيَّة طويلة، وذلك يعني دراسةَ الجامعة لأربع سنوات على الأقلّ، وبدوامٍ كاملٍ لأحصلَ على شهادةٍ تخوِّلني للعمل فيها، وهذا سيكلِّفني الكثيرَ من المال والوقت والجهد.

وأخيرًا إدارة الأعمال فموضوعُها مختلف؛ فنظرًا لأنَّها علمٌ نظريٌّ لا يتطلَّبُ وجودَ المختبرات، فإنَّ في الكتب الكثير من العلم المفيد، ويمكن بعدها التدرُّب على الجانب العمليِّ في الشركات. وبناءً على بحثي، فقد وجدتُ أنَّ من الممكن دراسة الماجستير في إدارة الأعمال (MBA)؛ حتَّى وإنْ كانت شهادة البكالوريوس في تخصُّصٍ بعيدٍ عن الإدارة كطبِّ الأسنان. ومدَّة دراسة هذا الماجستير هي ما بين سنتَين وثلاث سنوات. إذًا، هي أفضل من ناحية الوقت والجَهد، وبتكلفة ماليَّة مشابهة لتكلفة الميكاترونكس.

خلاصةُ القولِ إنَّ أرخصَ حلٍّ هو البرمجة، وأسرع حلٍّ هو الاستشارات الإداريَّة، وأعلاها في فرص العمل هو الميكاترونكس. وجميعها متقاربة تقريبًا في توافقها مع الرسالة، بينما تتطلَّبُ البرمجة والاستشارات مقدارًا من الجهد أقلَّ من الميكاترونكس.

تابع النظر من النافذة، وتطلَّعَ إلى ناطحة السحاب البعيدة. اعتاد منذ صغره النظرَ إلى المباني الطويلة التي كانت تذكِّره دَومًا بعلوِّ هامته. لم تتجاوَزِ المباني العشرة طوابق عندما كان صغيرًا، لكنَّها كانت كافية لتذكيره. ورغم أنَّ المبانيَ ازدادت طولًا وصارت ناطحات سحاب، فإنَّ هامته كانت تقصرُ يومًا بعد يوم، وصارت أشبَه بقزم، كما شعر بأنَّ همَّته تراجعت جدًّا.

استطرد في التفكير:

- هل يعقل أن تعود إليّ الهِمّة كما كانت في صِغَري؟

لطالما كانت لديَّ رغبةٌ عارمةٌ في دراسة طبِّ الأسنان لأصيرَ طبيبًا أعالج الناس وأخفِّف أوجاعهم. تلك الرغبة باتَتْ شغفًا مضطرمًا ولَّد لديَّ دافعًا لأدرسَ جيِّدًا في المرحلة الثانويَّة وأحصل على مجموعٍ عالٍ يمكِّنني من دراسته.

لقد اخترتُ تخصُّصي بناءً على رغبتي الحقيقيَّة وشغفي البالغ. لكنَّ ذلك كان مجرَّدَ وهم كبير وقعتُ فيه؛ فالرَّغبة هي مجرَّدُ وهم، أو حبٌّ زائف يرى القشور دون الجوهر. هو أشبَه بأن تحبَّ فتاةً وترغبَ في الزواج بها لمجرَّد أنَّك رأيتَ صورتها فحسب؛ فذلك ليس حبًّا حقيقيًّا، بل مجرَّد إعجاب مبنيٍّ على معيار واحد غير حقيقيّ: الشكل. تلك الصورة هي ما رأيته من طبِّ الأسنان عندما بدأتُ أشحَنُ رغبتي لحبِّه. لقد غشَّني لقبُ «دكتور» الذي يحمله خرِّيجو هذا التخصُّص، ولباسُهم الأبيض، ومكانتُهم الاجتماعيَّة ووضعُهم المادِّيّ وتخفيفُهم لآلام الآخرين. لقد كانت تلك مجرَّدَ قشورٍ من الخطأ أن يُبنى أيُّ قرارٍ جادٍّ على أساسِها. لقد تزوَّجتُ طبَّ الأسنان بناء على صورتِه فقط- صورة ليس لها علاقة بجوهره.

وكي يسيرَ الزواجُ جيِّدًا، على الشخص أن يسأل عن شريك حياته، وعن أخلاقه وطباعه. كما لا بدَّ أن يجلسَ معه ليرى طريقةَ تفكيره، ثمَّ يرى ما إنْ كانا متوافقَين أم لا. كان عليَّ أن أقومَ بالشيء ذاته قبل ارتباطي بطبِّ الأسنان؛ إذ وجبَ عليَّ أن أبحثَ عن التوافق ما بين قدراتي والقدرات التي تتطلَّبها مهنة طبِّ الأسنان، ثمَّ كان عليَّ أن أبحث في ما إذا كنتُ سأشعر بالمتعة فيها أم لا. وهذا هو بالضبط ما تعلَّمتُه في غِمارِ هذه الرحلة.

من الواضح أنَّ الرغبة والشغف كانا مجرَّد وهم. لذا من السيِّئ جدًّا اتِّخاذهما بوصفهما معيارًا لاختيار التخصُّص؛ فالرغبة الحقيقيَّة ستتشكَّلُ بعد أن تجدَ تخصُّصًا يتوافق مع قدراتك ويشعرك بالمتعة. أمَّا الرغبة التي تتشكَّل قبل ذلك، فهي مجرَّدُ حبٍّ كاذب مبنيٍّ

على القشور التي ستزول بعد معرفة التخصُّص على حقيقته. ويكونُ الشغف، شأنه شأن الرغبة، مبنيًّا على القشور فقط، ولا يتشكَّل بصورةٍ حقيقيَّة إلَّا بعد معرفة التخصُّص.

نظرَ مرَّةً أخرى في الأفق، لكنَّه حاوَلَ ألَّا ينظُرَ إلى ناطحات السحاب؛ إذ يبدو أنَّ أحلامَه الصغيرة وهِمَّتَه المتواضعة ليسا بالمستوى الذي يسمح له بأن يناطح السحاب.

عاد ليفكِّر في خِياراته:

- ما أهمُّ تلك المعايير عندي؟

الفرصة مهمَّةٌ، لكنَّها ستكونُ عائقًا فقط إنِ اخترتُ الدخول في البرمجة؛ لأنَّني سأجدُ الكثيرَ من المنافسين فيها، والذين تصعبُ هزيمتهم دون بذْلِ وقتٍ أطوَلَ في العمل والممارسة، وبذلك سأحذف البرمجة.

من جهةِ التكلفة الماليَّة، فهي ليست عائقًا أساسيًّا؛ إذ يمكِنُني تدبُّر المال اللازم لتخصُّصي التالي. وفي ما يتعلَّقُ بتكاليف الجَهد، فهي أعلى في الميكاترونكس التي تحتاج إلى الكثير من الجَهد في دراستها. وأمَّا تكلفةُ الوقت فهي أيضًا أعلى في الميكاترونكس؛ لأنَّها تحتاج إلى دراسةِ أربع سنوات من الدوام المتواصل، مع الحاجة إلى الذهاب إلى الجامعة في أثناء الدراسة، وستكون تلك السنوات شاقَّة فعلًا. كما أنّي عندما أتخرَّج، سأكون مبتدئًا وأُضطَرُّ لأن أعمل عملًا شاقًّا باجتهاد لأحوزَ الخبرةَ، على العكس من الإدارة.

أجل! إنَّ الوقت والجَهد هما العنصران الأكثر أهمِّيَّةً؛ فليس لديَّ الكثير منهما.

وهنا سحبَ نفسًا عميقًا، ثمَّ قال في نفسه:

- الإدارة...سأختار الإدارة، وسأُبقي خِيارَي الميكاترونكس والبرمجة في الخُطَّةِ البديلة، إلى أن أتَّخذَ القرارَ الحاسم لاحقًا عندما أقطع شوطًا في الإدارة، وأتعرَّفَ مدى توافُقِها مع قدراتي وشعوري بالمتعة في أثناء ممارستها.

تابع النظر نحو السماء وكأنّه يتخيّل الكيفيّة التي سيصيرُ عليها بعد اتّخاذه هذا القرار الجديد. هو لا يدري حقيقةً ما إذا كان قراره صائبًا أم لا. لكنّه سيَمضي قُدُمًا فيه ويعيش معه فترة تجريبيّة. وبمجرّد تجاوُزِ التخصُّص تلك الفترة التجريبيّة، فلا مجال للتراجُع.

تابع التأمُّل وهو يفكّر:

– رغم أنّي سأخطو خطوةً جريئةً لأحصل على السعادة، فإنّ هذا لا يعني أنّ النقلة ستكون بسيطةً، بل سيتبعها الكثير من الجهد والتعب والعناء والسهر المتواصل.

تردَّدَ قليلًا بعد أن تذكّر ذلك. ثمّ بدأ يُحمّس نفسه:

– اثبتْ يا جواد! إنّ طاقتك وقدراتك أكبر بكثيرٍ ممّا تستخدمه الآن.

اثبت يا جواد! تذكَّرْ سببَ تسميةِ أبيكَ لك بهذا الاسم؛ فقد سمّاك جواد، لأنّ الاسم يشبِهُ كلمةَ جهاد. فطريقك صعب، ويتطلَّبُ جهادَ النفس، وأنت قويٌّ وستتمكّن من ذلك.

أحسَّ بدفعة من الحماس تسري في جسده، وتابع التأمُّلَ وهو ينظر خارج النافذة.

وفيما كان يتأمّل، أتاه صوتٌ من الخلف:

– انتهى الوقت، حان وقت النزول لو تكرمتُم.

قال جواد في نفسه:

– يا إلهي، لقد مضت ساعة كاملة دون أن أشعر!

على الأقلّ اتّخذتُ قرارًا ما، ولم أضيّعَ ثمن الصعود إلى هنا هباءً.

اتّجه إلى المصعد، وقبل أن يدخله نظرَ إلى الحارس الذي طلب منهم النزول بطرف عينه: "تبًّا لك! لقد أفسدْتَ تأمّلي".



فتح أنور الباب على زينة ووجدها تكتب في أحد دفاترها.

ارتبكت، وراحتْ فورًا تقلِّبُ الصفحاتِ لتصلَ إلى صفحة خاليةٍ لئلّا يرى والدُها ما كتبَتْ فيها. لقد صار دفترُها يحتوي الآن على الكثير من الأدلّة على تمرّدها، وهي كافية لإدانتها بتهمة «الخيانة» بحسب قوانين عائلتها.

كان غاضبًا جدًّا، وبدأ الحديثَ بصوت عالٍ أشبَهَ بالصُّراخ:

– كان تامر هو أفضَلَ المتقدّمين إليكِ، وهو من عائلةٍ متعلّمةٍ ومثقّفة تمامًا كعائلتنا، وقد سارَتِ الأمور على ما يرام...

بدأت ترتجفُ بعد أن شاهدَتْ والدها يتحدَّثُ بهذه الطريقة، وعلمَتْ أنّ هناك مشكلةً على وشك الحدوث، وأنّ ما كانت تُخْفيه لم يَعُدْ سرًّا بعد الآن، لا سيّما أنّ أنور عصبيٌّ جدًّا، ولا يكترث بآراء الآخرين. الدرجات الأكاديميّة العُليا لم تزده إلّا تشبُّثًا بآرائه وأفكاره. وتمكُّنُه من تخصُّصه جعله يتحدَّث بالثقة نفسها سواء تحدَّث في تخصُّصه أم خارجه. وبات يرى أنّ ما يقوله هو الصحيح دومًا. في النهاية، هو والدُ زينة، وهو مَن جرَّبَ الدُّنيا وكافح وناضَلَ فيها، وواجه ما فيها من عذاب وويلات. وهذا يجعله «الخبير» الذي يعرف كلَّ شيء. ولأنّ زينة لم تخُضْ أيًّا من تلك المعارك، فستظلُّ في نظره «البلهاء» التي تتحرَّك بالعاطفة فقط.

- ...لكنَّ حماقتَك وتشبُّثَك برأيك أفسدا كلَّ شيء. أنت فاشلة، وستظلّين فاشلة ما لم تغيّري هذا الأسلوب.

إنِ اعتقدتِ أنَّ خروجَك من الجامعة سيجعلك أفضل، فأنتِ واهمة؛ لأنَّ الفشل سيطاردك أينما ذهبت...

لم تعرف ماذا تفعل. أتعترض على أبيها وتعلّلُ أفعالها، أم تبقى صامتة؟ وهنا آثرَتْ زينة أن تتصرَّفَ تمامًا كالهاتف النقّال على وضعيّة «صامت»، الذي يهزُّ فقط دون إصدارِ أيِّ صوت؛ فالاهتزازات والارتجاف بدَتْ ظاهرةً بوضوح على جسمها، علاوة على وجود اهتزازاتٍ خفيَّةٍ داخل جسمها الذي كاد ينفجر.

واصلَ كلامَه الغاضبَ قائلًا:

- ...لذلك لن تتركي تلك الكلّيَّة حتّى تتخرَّجي. وسأحاول أن أكلّم أهلَ تامر لأُخبِرَهم بأنّكِ عُدتِ إلى رُشدِكِ وستتابعين الدراسةَ كما اتّفقْنا.

وهنا تغيَّر وضعُ الهاتف النقّال من وضعيَّة «الصامت»، إلى وضعيَّة «الصوت مع اهتزاز»:

- لا! لن أكمل، ونحن لم نتّفق.

ثمَّ بدأت تستجمعُ قواها، وزادت من حدَّة صوتها وزادت من درجة الاهتزاز وتابعت:

- انسحبتُ من الجامعة قبل أيّام، ولن أتمكّن من العودة إليها حتّى إنْ أردتُ ذلك. أنا الآن حرَّةٌ طليقة- طليقةٌ من الإدارة، وطليقة من تامر الذي لا يعرف معنى الحرّيَّة. إنّه مجرَّدُ شخصٍ تافهٍ آخرَ لا يفعل إلّا ما يُمليه عليه والدَيه. إنْ كانت قراراتُ تامر جميعها من أبيه، فلِمَ لا أتزوَّج إذًا الأبَ صاحبَ القرار؟

أنور يحنق بالغ:

- أتسخرين بي يا غبيَّة؟

وهنا حوّلت زينة وضعيَّتها من «صوت واهتزاز» إلى «صوت» فقط، فيبدو أنَّ الاهتزازاتِ اختفَتْ من جسمها تمامًا، بل صارتْ تشعرُ بالقوَّة والسيطرة. ولا يهمُّ مَن لديه السلطة الآن؛ فقوّة العقل والمنطق ستبقى الأعلى صوتًا.

- أنا لا أسخر بك، بل أسرُدَ لك الوقائع فحسب. لن أعمل في مهنة أكرهها، ولن أتزوَّج شخصًا لا يحترم قراراتي، ولا يتَّخذُ قراراته بنفسه. نقطة انتهى.

ردَّ بصوتٍ عالٍ مع رجفة صغيرة. يبدو أنّه بدأ يتحوَّل إلى وضعيَّة «الاهتزاز».

- ليس لديَّ بناتٌ يخالفْنَ رأي أبيهنَّ ويعارِضْنَ قراراتِه.

خفضت من صوتها قليلًا، وقالت:

- لن أخالفَ رأيَك ما حييت، وسأبقى ابنتَك المطيعة. لكنَّ مستقبلي هو مستقبلي أنا، ولن أسمح لأحد بأن يتَّخذ قراراتي بالنيابة عنّي. إنْ أردْتَ أن تشيرَ عليَّ، فلك الحقُّ في ذلك دون أن يكونَ لك حقُّ الإجبار.

لم يتركها تتابع الجملة، بل خرج من الغرفة وأغلقَ البابَ بكلِّ قوَّتِه وكأنَّه يريد أن يعاقبَ الباب. وقبل أن يُغلقَه مباشرةً قال:

- بنات آخر زمن.

بعد أن غادر واختفى صوت خطواته على الدرج، تحوَّلتْ زينة إلى وضعيَّة «الصوت مع الاهتزاز المبلَّل»؛ فعاد الارتجاف إلى جسمها من جديد، وراحت تبكي بصوتٍ عالٍ، وانهمرت الدموع على خدَّيها.

ثاني
لفة
يمين

مستقبلي هو مستقبلي أنا،
ولن أسمح لأحد بأن يتَّخذ قراراتي
بالنيابة عنِّي. إنْ أردْتَ أن تشيرَ
عليَّ، فلك الحقُّ في ذلك دون أن
يكونَ لك حقُّ الإجبار.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR
جبل عمّان Jabal Amman

٤

دخل جواد مكتبَه ممسكًا فنجان القهوة بعد يوم طويلٍ حافل.

لم تتغيَّر درجة الملل والكآبة التي يشعر بها مع مرضاه، لكنْ تغيَّرَ تعامُلُه مع حالة الملل تلك؛ فقد كان ينظر إلى الملل على أنَّه عقوبة أبديَّة لا مفرَّ منها، أمَّا الآن فصار الملل ألمًا مرحليًّا، وربَّما مخاضًا سينتجُ عنه جواد جديد مختلف.

وضع فنجانَ القهوة على المكتب، ثمَّ أخرج كتابًا من الكيس ووضعه بجانب الفنجان. كان الكتاب يحمل اسم "Go Put Your Strengths to Work" ويعني "استخدم نقاط قوّتك" للمؤلِّف ماركوس باكينغهام. كان هذا هو الكتابَ الثالثَ من الكتب التي أرسلها إليه أ. جمال.

كان يرجو أن يكون هذا الكتابَ الأخيرَ؛ فهو يريد الخلاص والوصول إلى وجهته. لكنَّ شيئًا ما داخله كان يريد للرحلة أن تستمرَّ لوقتٍ أطوَل؛ فالمتعة التي نالَها من هذه التجرِبة، والتفكير والبحث في الذات ودراسة البدائل المختلفة، فضلًا عن التلخيص والشرح لزينة- كلُّ ذلك جعل الرحلة غاية في المتعة. أمسك الكتاب وبدأ يقلِّب صفحاته ويتحدَّث إلى نفسه:

- يتحدَّثُ الكتاب بشأن الوعي بأهمِّيَّة نقاط القوَّة. وهو توجُّه يدعو إلى التركيز على نقاط القوَّة لتقويتها أكثر حتَّى يصيرَ الشخص متميِّزًا فيها، وعدم وضع هذا التركيز نفسه على نقاط الضعف؛ لأنَّها مهما صُقلَت فلن تصيرَ بتاتًا نقاطَ قوَّةٍ وتميُّز. لا يُعرَف

بالضبط مَن الذي بدأ يلفت أنظار الناس إلى هذا التوجُّه. فقد ذكر بيتر دركر (Peter Drucker)، أحَدُ عمالقةِ الإدارة، في كتابه عام ١٩٦٦م أنَّ «المدير الفعَّال هو مَن يبني على قوَّته وقوَّة مرؤوسيه وزملائه وموظَّفيه». وبذلك يكون من أوائل الذين تحدَّثوا بأهمِّيَّة التركيز على نقاط القوَّة، بدلَ الخطأ الشائع الذي يدعو للتركيز على نقاط الضعف.

كنتُ أظنُّ، حالي حالُ معظم الناس، أنَّ الأساس هو تطويرُ نقاط الضعف. فإنْ كنتُ متميِّزًا في الرياضيَّات في المدرسة، فذلك يعني أنِّي لا أحتاج إلى أيِّ تطوير في هذه المادَّة، وعليَّ أن أصقلَ مهارتي في الموادِّ الأخرى. لكنَّ هذا التوجُّه يرى أنَّ هذه الطريقة خاطئة؛ فعليَّ تطوير نقاط ضعفي قليلًا لئلَّا تُعيقَ عملي، لكنَّ تركيزي الأساسيَّ يجب أن ينصبَّ على صقل نقاط قوَّتي وتنميتِها، لتصيرَ أقوى بعدُ. فلو أخذتُ دروسًا أكثر في الرياضيَّات، فسوفَ أصيرُ أقوى وأقوى في هذه المادَّة.

بعد أن دخلتُ كلِّيَّة طبِّ الأسنان، وجدتُ أنَّ مهاراتي فيها متوسِّطة. لذا كنتُ أسعى جاهدًا إلى تطوير مهارتي في هذا التخصُّص، أي تطوير نقاط ضعفي فيه. بمرور الوقت، تحسَّنتْ مهارتي إلى حدٍّ معيَّن لم أتمكَّن قَطُّ من تجاوُزه. لذا تيقَّنتُ بأنَّ هذا الحلَّ فاشلٌ تمامًا، وإلَّا فالتدريب المستمرُّ الذي قمتُ به كان يُفترَض أن يجعلَني أحدَ أروع الأطبَّاء. غير أنَّ الحلَّ الأمثلَ يكمنُ في تطوير نقاط القوَّة لا الضعف. وبهذا المنطق، كان عليَّ اختيار تخصُّص أحوزُ فيه قدرةً لأصيرَ أقوى مع التمرين.

لقد بدأ استخدام مبدأ تنمية نقاط القوَّة في الشركات قبل الأفراد. وهناك الكثير من الأمثلة على شركات تقيِّمُ موظَّفيها لتتعرَّفَ نقاطَ تميُّزهم، ثمَّ تضعَهم في مناصبَ تتناسب مع تلك النقاط وتعطيهم المزيدَ من التدريب فيها ليكونوا أقوى، مثل شركات أبل (Apple) ودَل (Dell) وولمارت (Walmart) وحتَّى ستاربكس (Starbucks).

يقول بيتر دركر إنَّ «أقوى الشركات منافَسةً في العالم هي الشركات التي تستخدم نقاط قوَّتها وتعزِّزها وتنافس بعيدًا عن نقاط ضعفها».

يبدو أنَّ الخطأ الشائع في تقوية نقاط الضعف، شائعٌ جدًّا حتَّى إنَّ معظمنا لم يسمع بأمرِ تقويةِ نقاط القوَّة.

أخذ عِدَّة رشفاتٍ من فنجانِ القهوة، ثمَّ تابع التفكير:

- يتضمَّنُ الكتابُ دراسةً تذكُرُ أنَّه جرى استطلاع رأي ٢٠٠ ألف موظَّف، ووجدوا أنَّ الموظَّفين الذين يستخدمون نقاط قوَّتهم في أعمالهم يكونون أكثر إنتاجية بنسبة ٣٨٪ من الآخرين، وهم أكثر إرضاءً للعملاء بنسبة ٤٤٪ من الآخرين، علاوة على أنَّ نسبة استقالاتهم من العمل تكون أقلَّ.

يبدو أنَّ العملَ وَفقَ نقاط التميُّز يسبِّبُ ليس فقط الشعورَ بالمتعة ويضع الشخص في حالة «التدفُّق»، بل يزيد أيضًا من فاعليَّة الشخصِ وإنتاجيَّته في العمل، وهكذا ينعكس الأمرُ إيجابًا على مكان عمله وعلى العملاء أيضًا.

وفي بحث آخر، جرت دراسة أكثر من ثمانية آلاف فريق عمل، وكانت نتيجة الدراسة العديد من العوامل التي تزيد من فاعليَّة الفرق، مثل وضع أهداف واضحة للموظَّفين، والثناء على أدائهم المتميِّز وغير ذلك. لكنَّ العامل الأهمَّ في رفع كفاءة الفريق كان بإعطاء الموظَّفين مهامَّ تتناسبُ مع نقاط قوَّتهم.

ووَفقًا للإحصائيَّاتِ أيضًا، فإنَّ واحدًا فقط من كلِّ خمسة أشخاص يستخدم نقاط قوَّته في عمله معظم الوقت. أيْ رغم أهمِّيَّة نقاط القوَّة في زيادة السعادة والإنتاجيَّة في العمل، فإنَّ القِلَّة فقط يحظَون بها!

توقَّفَ جواد قليلًا ثمَّ راح يضحك.

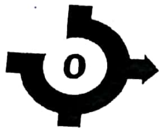
وقال بصوتٍ مسموع، وكأنَّه يخاطب أحدًا بجانبه في الغرفة:

- غريبةٌ هذه النسبة! فقد أُجريَتْ الدراسة في الدول الغربيَّة، حيث لا وجود لآباء كأنور، ولا مجتمع يقدِّس المهن الطبِّيَّة وحرف «د.» قبل اسم الشخص، ولا أحَدَ

تقريبًا يدفع أبناءه لدخول تخصُّصات بحسب الجاه والمال الذي سيأتي به التخصُّص إلى العائلة، ومع كلِّ هذا، كانت النسبة ضعيفةً على هذا النحو. فما بالُنا بالنسبة المتحصِّلة لو أُجرِيَتِ الدراسة هنا؟

أكاد أجزم أنَّ الباحث سينتحرُ لو أجرى بحثَه على أنور.

ثمَّ قَهْقَهَ وعدَّلَ جِلستَه قبل أن يتابعَ القراءة.



بعد أن أنهى جواد المقدِّمة، وجد أنَّ في الكتاب عدَّةَ أقسام. يتحدَّثُ الفصل الأوَّل بشأن خرافاتٍ تتعلَّق بنقاط القوَّة لا بدَّ من معرفتها، ويتناولُ الفصل الثاني كيفيَّة تحديد نقاط القوَّة، أمَّا الثالث فيتكلَّم عن كيفيَّة إطلاق نقاط القوَّة واستخدامها، ويتناوَلُ الفصل الرابع والأخير كيفيَّة التعامل مع نقاط الضعف.

قلَّب جواد صفحات الكتاب ليعودَ إلى أولى صفحات الفصل الأوَّل، وبدأ يقرأ:

– تقول الخرافة الأولى إنَّ «شخصيَّتنا تتغيَّر عندما نكبر»، ويبدو أنَّ ٦٦٪ من الأشخاص المستطلَعين كانوا يؤمنون بصحَّة هذه الخرافة.

لكنَّ الصحيحَ هو أنَّ الشخص مع تقدُّمه في العمر سيصبحُ أكثر ممَّا هو عليه. قد تتغيَّر بعض السلوكيَّات فقط، لكنَّ شخصيَّتنا وطباعنا لن تتغيَّر كثيرًا.

لذا من الخطأ الاعتقاد أنَّ الوقتَ كفيلٌ بأن يجعلَ كراهِيَة العمل في مهنة ما محبَّةً في المستقبل. فقد تتغيَّر بعض الأحوال من حولك وتؤثِّر في مشاعرك، لكنْ في النهاية ستبقى مواهبك كما هي، وستبقى نتائج اختباراتك الشخصيَّة على حالها. لذا إنْ عملتَ في مهنة لا تتناسب مع قدراتك، فستبقى كذلك حتَّى مع تقدُّمك في العمر. لكنْ قد تزيد قدرتك في التأقلم مع الوقت، بحيث تبدأ بالتعايش والتكيُّف مع المهنة التي تكرهها، تمامًا كما يتعايش المريض مع مرض مزمن.

تقول الخرافة الثانية: "ينمو الشخص أكثر عندما يطوّر نقاط ضعفه". ويذكرُ المؤلِّف أنَّ ٦١٪ من الأشخاص يؤمنون بصحَّة هذه المقولة. لكنَّ هذا الكلامَ خاطئٌ تمامًا؛ فإنْ كنتَ سيِّئًا في الرسم، لن تصيرَ رسَّامًا متميِّزًا مهما حاولت. قد تتدرَّبُ كثيرًا لتصيرَ رسَّامًا عاديًّا، لكنَّك لن تصيرَ متميِّزًا.

فالصحيح إذًا هو أنَّ الشخص ينمو أكثر عندما يطوِّرُ نقاطَ قوَّته؛ لأنَّ نقاط القوَّة ستُضاعفُ من إنتاجيَّتك، وستتطوَّرُ معك بسرعة. فلو تمرَّنَ الرسَّام الماهر أكثر على الرسم، فستتحسَّنُ مهارته بسرعة كبيرة.

سبب ذلك هو أنَّ جيناتنا مختلفة بعضنا عن بعض. وقد وُلِدَ كلٌّ منَّا ولديه في دماغه تشابُكاتٌ عصبيَّةٌ (Synapsis) أقوى في مجالات معيَّنة. لذا إنْ تمرَّنَ الشخص على مهارات تتوافق مع تلك التشابكات، فإنَّ مهاراته ستتطوَّر بسرعة. أمَّا إنْ عمل على تطوير مهاراتٍ أخرى، فإنَّ ذلك سيحرِّكُ أجزاء مختلفة من الدماغ لا تتضمَّن تشابكات عصبيَّة قويَّة. وستكون النتيجة أنَّ مهاراته لن تتطوَّر إلَّا بصورةٍ طفيفة. فبناءُ تشابكات عصبيَّة جديدة يتطلَّب الكثير من الوقت والجهد والطاقة. لذا فالأسهل والأسرع والأكثر كفاءة، هو العمل وفقًا لنقاط قوَّتك وتطويرها وتدريبها لتصيرَ نقاط التشابك فيها أقوى.

بعض البحوث وجدتْ أنَّ ٤٥-٥٠٪ من شخصيَّتنا وُلدت معنا وليس لنا أيُّ تأثير فيها، ويبقى ٥٠-٥٥٪ من الشخصيَّة هو ما يمكن بناؤه وتغذيته في الحياة. وبذلك عندما يتمرَّن الشخص ويصقل موهبة موجودة لديه، فإنَّه سيبني على الجزء الموجود لديه والذي وُلد معه، ونسبته ما بين ٤٥ و٥٠٪. أمَّا إنْ بنى على مهارة ليست موجودة لديه، فسيبدأ البناءَ من الصفر، ولن تصيرَ تلك الموهبة قويَّة بما يكفي مهما حاول.

إنَّ أهمَّ طريقة تؤثِّر في بناء النسبة المتبقِّية من شخصيَّتنا (أي ما بين ٥٠ و٥٥٪) من شخصيَّتنا المتبقِّية، هي أن نعرف نقاط تميُّزنا. وأهمُّ طريقة لمعرفة تميُّزنا هي بواسطة

الزملاء والأقران؛ لأنَّهم يخبروننا بحقيقتنا، ويعطوننا تغذية راجعة بشأن أدائنا. فهم الذين يخبروننا بأنَّ حديثَنا ممتع، أو أنَّ رسمَنا جيِّد، أو أنَّ تعامُلَنا لطيف. وكلَّما عرفنا أكثر عن الجزء الموجود من شخصيَّتنا في النسبة التي وُلِدْنا عليها، ٤٥-٥٠٪، فسوف نتمكَّن من البناء عليها وتقويتها بصورةٍ أفضل.

توقَّف جواد عن القراءة ليفكِّر قليلًا في تلك المعلومات، ثمَّ تذكَّر:

- أها...يعني هذ أنَّ اختباراتِ القدرات التي أجريتُها، تخبرني بشأن النسبة الموجودة عندي منذ الولادة. فإنْ عملتُ على صقلِها، وعملت بمهامَّ تتناسب معها، فذلك يعني أنِّي سأطوِّرها وأنمِّيها أكثر. وسوف أساعد بذلك على إكمال الجزء المتبقِّي البالغ نحو ٥٠-٥٥٪ منها. أمَّا إنْ تجاهلتُها وبنيتُ أجزاء أخرى ضعيفة من شخصيَّتي، فلن أتمكَّن من تطويرها إلى مرحلة متقدِّمة مهما حاولت؛ فالجزء الأساسيُّ منها لم يولد معي.

قلَّب جواد باقي صفحات هذا الفصل وهو يقرأ عن الخرافات التي استهلكت كثيرًا من عمره، وجعلته يسير في الاتِّجاه الخاطئ سنوات عدَّة. "تبًّا، يا ليتني عرفتُ تلك الخرافات من قبل! لما أضعتُ الكثيرَ من وقتي".

وصل بعدها إلى الفصل الثاني، الذي يتحدَّث بكيفيَّة تحديد نقاط القوَّة، وبدأ بالقراءة:

- تتألَّف نقاط القوَّة من ثلاثة عناصر: الموهبة والمعرفة والمهارة.

الموهبة هي ذلك الجزء من شخصيَّتنا الذي ولد معنا. وبعض هذه المواهب ملموسة كموهبة الرسم والغناء ولعب كرة القدم، وبعضها غير ملموس مثل التعاطف والإصرار وحبِّ المنافسة.

والمعرفة هي المعلومات النظريَّة الخاصَّة بأداء المهمَّة؛ فمعرفة الألوان التي يجب استخدامها، ولون الظلِّ، ومكان رسمه هي من المعارف المهمَّة لنتمكَّن من الرسم.

كذلك تمييز الأمراض المختلفة وأنواع تسوُّس الأسنان، والعلاج الأنسب لكلّ نوع هو أيضًا معرفة. ومن الواضح أنَّ المعرفة تُكتَسَب بالتعلُّم والقراءة وحضور الدورات وغيرها.

أمَّا المهارة فهي الجزء العمليّ الخاصّ بالمهمَّة. فخطوات الرسم وكيفيَّة الإمساك بالفرشاة وتحريكها هي من المهارات المهمَّة بالرسم. وكلَّما تدرَّبتَ أكثر وكرَّرتَ تلك المراحل أكثر، تطوَّرتْ مهارتك فيها، وصرتَ أكثر إتقانًا لها. لذا نقول عن الأشياء التي نتمكَّن من أدائها إنَّها "مهارة"؛ لأنَّ ذلك يعني تمكُّننا من أداء الجزء العمليّ منها، وليس مجرَّد معرفتها.

بهذه الطريقة، إنْ أردتَ أن تكون نحَّاتًا متميِّزًا، فعليك في البداية أن تمتلك موهبة النحت والتي تتألَّف من أشياءَ عديدة، كدقَّة حركة اليدَين، وإمكانيَّة استخدام الأدوات وتخيُّل الأبعاد وغيرها، وهي موهبة فطريَّة إمَّا أن تولد بها وإمَّا من دونها. ثمَّ إنَّك تكتسبُ المعرفة لتفهمَ كيفيَّة النحت وأدواته وأبعاده. وأخيرًا يأتي دور تنمية المهارة بأن تبدأ بالممارسة والتطبيق العمليّ للمعرفة بأن تمسكَ أدوات النحت وتحرِّكها بالطريقة الصحيحة وتبدأ النحت. بعد ذلك يسعكُ أن تتدرَّبَ على تلك الحركات مِرارًا وتكرارًا إلى أن تتقِنَ النحت. وفي حال لم تولد بموهبة النحت، فإنَّ مستواك في النحت لن يصيرَ متميِّزًا مهما حاولت اكتساب المعارف أو تنمية المهارات.

أمَّا من جهة المواهب غير الملموسة، كموهبة التفكير النقديّ أو التحليل أو حلّ المشكلات، فالممارسة العمليَّة فيها ليست يدويَّة، بل ذهنيَّة. ودون شكّ، يأتي دور الممارسة بعد امتلاك الموهبة، وبعد نَيلِ المعرفة المناسبة.

أغلقَ الكتاب، ثمَّ نهضَ من كرسيِّه وبدأ يمشي في غرفته وهو يفكِّر:

– ما دمتُ إذًا قد وجدتُ امتلاكي للموهبة في مجال استشارات إدارة الأعمال، وذلك وَفقًا لنتيجة الاختبارات المتعدِّدة التي أجريتُها، فعليَّ الآن تقوية معرفتي في

إدارة الأعمال، ثمَّ صقلُ المهارة العمليَّة. علمًا أنَّ تقوية المعرفة سيستمرُّ حتَّى بعد دخول مرحلة صقل المهارة العمليَّة.

لذلك عليَّ متابعة قراءة كتب الإدارة يوميًّا حتَّى أدخل بعمق أكثر في هذا العلم، مع محاولة تطبيق ما تعلَّمته على ما نفعله في إدارة العيادة. وبذلك أكون قد مزجت ما بين اكتساب المعرفة من الكتب ثمَّ صقل المهارة في العيادة. وبعد أن أحصل على معرفة أساسيَّة في الإدارة، سألتحق بإحدى الجامعات في برنامج ماجستير إدارة الأعمال؛ لكي أزيدَ معرفتي بصورةٍ أكبر. وبمجرَّد حصولي على الشهادة، سأبدأ العمل في مجال الاستشارات الإداريَّة كما خطَّطت.

وعلى زينة أن تفعل شيئًا مشابهًا كما يبدو. لكنَّني سأبحث أكثر لأعرف ما عليها فعله لتكونَ أقوى في التصميم.

بعد أن رتَّب أفكاره، عاد وجلس إلى مكتبه، وفتح الكتاب وتابع القراءة والتفكير:

يبدو أنَّ كلَّ مؤلِّف اختارَ لقبًا ليطلقَه على الشيء الذي يميِّز الشخص.

فكين روبنسون أسماه «العنصر» (Element)، وماركوس باكينغهام صاحب هذا الكتاب أسماه «نقطة القوَّة» (Strengths)، أمَّا المؤلِّف صاحب الاسم الصعب فلم يطلق عليه أي اسم، بل وصف ما نشعر به عندما نمارس هذا العمل، وأسمى هذا الشعور «التدفُّق» (Flow).

تابع تقليب صفحات الفصل ليرى ما تبقَّى منه:

– وضع المؤلِّف طريقةً مبسَّطة لمعرفة نقاط القوَّة، أطلقَ عليها اسم «SIGN»، وهي اختصار لأربع كلمات:

«Success» (نجاح)

«Instinct» (فطريّ)

«Growth» (نموّ)

«Need» (احتياج)

تحمَّس جواد لهذا المقياس، ثمَّ توقَّف قليلًا:

– نجاح وفطريّ ونموّ! أين سمعتُ بهذه الكلمات الثلاث؟

فجأة أحسَّ بقُشَعريرةٍ في جسده، ثمَّ أمسَكَ هاتفَه، وراحَ يقلِّبُ في الرسائل:

– تذكَّرت. لقد كانت موجودةً هنا في رسالة أ. جمال التي أرسلَها لقياس تمكُّن الشخص. إذًا لقد عرفَها من هنا. لكنْ ماذا كانت تعني تلك الأحرف «GPYSTW» في نهاية الرسالة؟

أغلق جواد الكتابَ ليقرأ اسمَه من الخارج، وبدأ يتهجَّأ الاسم:

– أها...الأحرف «GPYSTW» هي الأحرف الأولى من الكلمات التي تؤلِّف اسم هذا الكتاب. إذًا أخذ أ. جمال هذه المعايير الثلاثة من هذا الكتاب، لكنْ لماذا لم يذكُرْ كلمةَ «Need» أو «احتياج» بينها؟

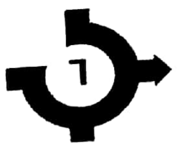
تعريف الاحتياج بحسب المؤلِّف هو أن تشعر بأنَّك محتاجٌ لأن تمارسَ هذا العمل. وتنتظر بفارغ الصبر لتقوم به؛ فأنت لا تعمل من أجل المال أو من أجل الضرورة، بل تعمل لأنَّكَ تحبُّ العمل وتحتاج إليه.

أها...هذا التعريف هو أحد عناصر المتعة الخمسة التي وجدتها في كتاب «Flow». لذا لم يذكرها أ. جمال عندما أرسل إليَّ مقاييس القدرة.

تابع تصفُّح الكتاب، ووجد أنَّ المؤلِّفَ ذكرَ طريقةً لإطلاق نقاط القوَّة، وطريقة أخرى للتعامُل مع نقاط الضعف:

– يبدو أنَّ الإجابةَ التي أريدها موجودة في هاتَين الطريقتَين. سأستيقظ غدًا باكرًا لأقرأها ثمَّ سأذهبُ وأشرحُها لزينة.

أغلق جواد الكتاب بعد أن غلبَه النعاس، واتَّجه إلى غرفة النوم ليأخذَ قسطًا من الراحة حتّى يوم الغد.



كانت زينة تجلس في غرفتها عندما جاءتها رسالة من جواد:

"افتحي الباب أنا أمام المنزل"

شعرت بالحزن عندما قرأتِ الرسالةَ، وردَّت عليه:

"ليس اليوم، فأبي منزعج جدًا بعد أن تركتُ الجامعة. ولن يسمح لي برؤية أحد"

ردَّ عليها:

"لكنِّي لستُ غريبًا! أنا خالك، ومن عائلتكم"

أجابتْ زينة:

"أنت بالذات مقابلتك ممنوعة؛ لأنَّ أبي يعتقد أنَّك جرثمتَ أفكاري، ونقلت إليَّ عدوى تهوُّرك!"

تغيَّرت ملامح وجهه: "يبدو أنَّ أباها بات يراني على أنِّي فيروس قاتل، وأسبِّب مرض إنفلونزا الجواديد".

ثمَّ كتب لها:

"وجدتُ الحلّ، اجدلي شعرك وارميه لي من شباك غرفتك، وأنا سأتسلَّق عليه، دون أن يعرف والدك أنِّي زرتُكم"

[ردَّ]ت عليه:

"اممم، أو يمكن أن نتحدَّث صوتيًا، وتشرح لي الخطوات التالية عبر الهاتف"

قال لها:

"حلِّي أسهل، لكنْ لا مشكلة. سأتَّصل بك مكالمة سكايب (Skype)"

ردَّتْ:

"جيلنا لا يستخدم هذه البرامج القديمة، اتَّصل ببرنامج آخر من برامج جيلنا"

ردَّ عليها بغضب:

"جيلنا؟ تذكَّري أنَّ الفرقَ بيننا هو خمس سنوات فقط وليس خمسين سنة!"

رنَّ هاتف زينة. جاءها اتِّصال من أحد البرامج التي تتضمَّن ميزة الاتِّصال الصوتيّ. ضغطتْ زرَّ الإجابة.

فبادرها:

– أهلًا زينة، آسف لما حدثَ بينك وبين والدك. بحسب معرفتي لضحى، في وُسعِها أن تلطِّفَ الأمورَ قليلًا بينكِ وبينه؛ فضحى ستلينُ بمرور الوقت، وإنْ عارضَتْكِ الآن.

قالت له:

– والدتي باتت تكرهُني كثيرًا بعد قراري هذا، لكنِّي أنتظر أن تهدأ قليلًا لأتمكَّنَ من إقناعها.

ردَّ عليها:

– بالتوفيق إذًا!

سأخبرك الآن بما وجدته في آخر كتاب. يشتملُ الكتاب على طرقٍ لكيفيَّة استخدام نقاط القوَّة وكيفيَّة التعامل مع نقاط الضعف.

في ما يخصُّ طريقة استخدام نقاط القوَّة، فقد ذكر المؤلِّفُ استراتيجيَّات لا تتناسب كثيرًا مع مَن سيُغيِّرون مهنهم، بل تناسبُ مَن سيزيد من استخدامه لنقاط قوَّته في عمله. لذا قرَّرتُ البحثَ والتفكير في طرق أخرى. وبعد التفكير وجدت ثلاث استراتيجيَّات: فإمَّا أن تبقَي في مهنتك القديمة مع بعض التطوير، أو أن تدمجي ما بين المهنة القديمة والجديدة، وإمَّا أن تختاري مهنةً جديدةً تمامًا، وتتحوَّلي إلى العمل فيها.

يمكن استخدام استراتيجيَّة واحدة منها بصورةٍ دائمة. ويمكن أيضًا استخدام إحداها بصورةٍ مرحليَّة ثمَّ الانتقال لاحقًا إلى استراتيجيَّة أخرى. وسأفصِّلها لك الآن:

الاستراتيجيَّة الأولى: التركيز

وفيها تتابعين العمل في مهنتك الحاليَّة. مع فارق أنَّكِ تركِّزين أكثر على استخدام قدراتك ونقاط قوَّتكِ. فقد ذكرَ الكتاب أنَّ ٦٠٪ من الذين لا يستخدمون نقاط قوَّتهم في عملهم قالوا إنَّ في وُسعِهم استخدام نقاط قوَّتهم في العمل إنْ أُعطوا مسؤوليَّات إضافيَّةً في العمل، أو إذا تخصَّصوا أكثر في ما يفعلونه. ومن ثَمَّ، ليس شرطًا أن يترك كلُّ شخصٍ مهنتَه لأنَّها لا تتناسب معه. بل يمكنُه القيام ببعض التعديلات البسيطة، كأنْ يتخصَّصَ أكثر، أو أن يمارسَ عددًا معيَّنًا فقط من المهامّ، أو أن يزيدَ من مسؤوليَّاته فيها.

في هذه الاستراتيجيَّة يبحث الشخص عن نقاط قوَّته وتميُّزه، ويركِّز في عمله عليها أكثر، ويحاول أن يبتعد عن المهامّ التي يكرهها في العمل.

الاستراتيجيَّة الثانية: الدمج

وفيها يدمج الشخص ما بين مهنته القديمة التي يكرهها ومهنته التي يرغب فيها. فيمكن أن ينتقلَ شخص يعمل في قسم الصيانة في الشركة إلى العمل في قسم مبيعات هذه الأجهزة مثلًا. وبذلك يغيِّر مهنته من الصيانة إلى المبيعات.

في هذه الاستراتيجيَّة يبحث الشخص عن عمل آخر يتوافق مع نقاط قوَّته في المجال الذي يعمل فيه. وهكذا سيتغيَّر المسمَّى الوظيفيُّ للشخص، وستتغيَّر طبيعة عمله، لكنَّه لن يخرج من المجال.

تتلاءم هاتان الاستراتيجيَّتان مع معظم الناس الذين يكرهون عملهم؛ حيث إنَّ هذه النقلة ليست جذريَّة، ولن تتسبَّبَ في الكثير من الخسائر ولا في الألم.

كلُّ ما على الشخص القيام به، هو أن يعرفَ ما يريده، ويتحدَّثَ إلى مديره ويخبره برغبته في تغيير مكانه في العمل. وقد يتطلَّبُ الأمر البحث عن مكانِ عملٍ جديدٍ يوفِّر ذلك.

قالت له:

- أنا لم أتخرَّج في الجامعة بعد، فكيف سأطبِّقها؟

ردَّ جواد عليها:

- أنتِ لم تدرسي بعدُ التخصُّصَ الجديد الذي تحبِّينه، لذا لن تستخدميها الآن. لكن عند البدء في العمل، ستجدين بعض الملل في مهامّ معيَّنة، وعندها ستُجرين تعديلاتٍ بسيطةً على عملك ليصيرَ أكثر متعة. بالمناسبة، حتَّى أنا لن تنفع معي تلك الاستراتيجيَّات، وحلُّنا الأفضل هو الاستراتيجيَّة الثالثة.

الاستراتيجيَّة الثالثة: التحوُّل

يلجأ الأشخاص إلى هذه الاستراتيجيَّة عندما يرَون أنَّ مجالَ عملِهم الحاليّ غيرُ مناسبٍ لهم أصلًا. وهنا ينتقلون إلى مهنةٍ أخرى مختلفة.

هذا الحلُّ هو الأصعب والأكثر كلفةً، لكنَّه سينقذنا من التعاسة التي نعيش فيها.

سألتْه زينة:

- وكيف ستطبِّقها أنت؟

أجابها:

– كما أخبرتك فإنّ على الشخص اختيار إحدى هذه الاستراتيجيّات بصورةٍ دائمة، أو مؤقّتة حتّى ينتقل إلى استراتيجيّة أخرى، بُغية الوصول إلى هدفه في نهاية المطاف.

لذا سأبدأ أوّلًا باستراتيجيّة التركيز، لأقلّلَ من كآبة عملي قدر المستطاع. ففي البداية سأتخصّص وأعمل فقط في تركيبات الأسنان. وفي سبيل ذلك، يجب أن أتوقّفَ عن إجراء المهامّ التي أكرهها، وهذا ما سأذكره لك لاحقًا في استراتيجيّة التعامل مع نقاط الضعف.

ثمّ سأنتقل إلى الاستراتيجيّة الثانية، حيث سأبدأ في الدمج ما بين الأسنان والإدارة. وبذلك أساعدُ في إدارة العيادة والتخطيط لها. وهكذا سأقلّلُ من وقتي الكئيب في العيادة، وأزيد من وقتي في عمل شيء أكثر متعة.

ثمّ في النهاية سأنتقلُ إلى تطبيق الاستراتيجيّة الثالثة: أن أتركَ طبَّ الأسنان والعيادات، لأبدأ العمل في الاستشارات الإداريّة.

والآن لننتقل إلى...

زينة أين أنت؟

هل تسمعينني؟

نظر إلى هاتفه، وإذا بالاتّصال قد انتهى. حاولَ أن يتّصلَ ثانيةً لكنّه لم يتمكّن!

فجأة وصلَتْ رسالة إلى هاتفها النقّال، وجاء فيها:

"عزيزي العميل: لقد نفدت باقة البيانات الخاصّة باشتراكك. للاشتراك بباقة بيانات جديدة، يرجى تعبئة رصيدك..."

قال بعصبيّة وهو يخاطب هاتفه:

– تبًّا لكم! لو كنتُ عميلًا عزيزًا فعلًا، لما قطعتُم الباقةَ بهذه الطريقة التعيسة دون تنبيه!

رنّ هاتفه مرّة أخرى، ووصلت رسالة من زينة:

"أين أنت، حاولت الاتّصال بك ولم أتمكّن من ذلك"

ردّ عليها:

"نفدت باقةُ البيانات"

ردّت عليه:

"إذًا اتّصل بي هاتفيًا لمتابعة الشرح"

أجابها:

"لن أربّح شركة الاتّصالات التعيسة هذه أيّ مبلغ آخر لسوء تعاملها. لن أتّصل بك إلّا بواسطة الإنترنت. سأعود إلى المنزل واتّصل بكِ من هناك"

ردّت عليه:

"يمكنُني أن أضع «راوتر» الإنترنت خاصّتي بالقرب منك لتتّصل بي من شبكتنا"

ردّ عليها:

"اممم... منزلي ليس بعيدًا كما تعرفين، لكنّي مللْتُ فعلًا من الجلوس في المنزل. إذًا غيّري مكانه، وسأذهب لشراء قهوة وأعود"

"بالمناسبة هل خالد في المنزل؟"

ردَّت:

"نعم، لماذا؟"

أرسل إليها:

"لديَّ كيس أريدُ منه أن يُعطِيَكِ إيَّاه. أرسِليه ليفتَحَ البابَ ويأخذه. سأترك الكيس معلَّقًا على يد الباب. وقد مسحْتُ بصماتي من على الكيس لئلَّا يعرفَ أنور أنَّه منِّي"

٧

عاد جواد إلى منزل زينة وهو يرتشف القهوة. وأوقف سيَّارته في المكان السابق ذاته، بجانب المدخل الرئيسيّ للمنزل، ليكون بالقرب من المكان الذي وضعت فيه زينة «راوتر» الاتّصال.

أرسل إليها:

"ما اسم الشبكة وكلمة السرّ؟"

ردَّت عليه:

"Username: Zezo_Love
Password: 123456789Love"

لم يتمالك جواد نفسَه، فضحك بصوت مرتفع وهو يقرأ الرسالة. ثمَّ قال بصوت عالٍ وكأنَّه يخاطب أحَدًا:

- هذه هي الأسماء التي سنجدها عادة عندما تسمّي فتاةٌ شيئًا ما.

اختارَ جواد الشبكة، وأدخل كلمةَ السرّ وانتظَرَ حتَّى يبدأ الاتّصال. ثمَّ فتحَ البرنامج واتَّصل بها. بعد عدَّة رنَّات ردَّت عليه:

- ألو جواد.

ردَّ بصوتٍ عريض:

– مرحبًا بكم في شركةِ زيزو لوف. للاستمرار باللغة العربيّة أدخل الرقم ٨٨٩٢، للتحدُّث مع زيزو أدخل الرقم ٨٨٩٥. أمَّا إذا أردْتَ تقديمَ شكوى، فيرجى أن تُنهي الاتّصال ولا تعاود الاتّصال لاحقًا. تبًّا لك ولشكواك الغبيّة!

بدأت تضحك بصوت عالٍ على غير العادة، ثمَّ قالت له:

– لقد اشترينا راوتر الشبكة هذا عندما كنتُ مخطوبة لتامر. فسمَّيتُه بهذه الطريقة. الحمد لله أنّي لم أضع اسم تامر في كلمة السرّ، واكتفيتُ بالأرقام.

قال لها:

– كنتُ عندها سآخذ الجهازَ وأكسره على رأسه. ثمَّ كنتُ سأضع تامر على كرسيِّ الأسنان، وأعالج عصب سنّه دون تخدير.

ضحكت مرَّةً أخرى، وتخيَّلت شكل تامر وهو على كرسيِّ الأسنان.

ثمَّ قالت:

– لقد فتحتُ الكيس، ووجدت فيه علبة كتب عليها "Pen tablet". ما هذا؟!

ردَّ جواد:

– لقد اتَّصلتُ بأحد أصدقائي المصمِّمين وسألتُه عن كيفيَّة تطوير معرفتك ومهاراتك في الرسم. فكان ردُّه أنَّ عليك قراءة الكتب ومشاهدة الڤيديوهات عن برامج التصميم المختلفة. ولتتمرَّني على التصميم بصورةٍ أفضل، عليكِ استخدام هذا الجهاز الخاصِّ الذي يساعدك في الرسم. فعليك وصل الجهاز بكمبيوترك، ثمَّ استخدام القلم واللوح لترسمي ما شئتِ باستخدامه. وهذه الطريقة أسرع بكثير من الرسم باستخدام «الماوس» وأكثر دقَّة وإتقانًا. لذا عليكِ البدء باستخدامها.

ردَّت بفرح شديد:

– شكرًا جزيلًا لك، سأبدأ باستخدامها من اليوم. لطالما كرهتُ الرسمَ على الكمبيوتر بسبب صعوبة التعامل مع «الماوس». لكنْ مع هذا الجهاز سيكون الأمر أسهل حتمًا.

قال لها:

– أنا سعيد جدًّا أنّه أعجبكِ، وأتمنّى أن يكون سببًا في إتقانك للتصميم. لنعد الآن إلى الكتاب.

ذكر المؤلِّفُ استراتيجيَّةً للتعامل مع نقاط الضعف، وقد وضعها في كلمة واحدة «STOP»، وهي اختصار للكلمات التالية:

«Stop» (أوقف)

وتعني أنَّ عليكِ أن تتوقَّفي عن ممارسة الأشياء التي تقع ضمن نقاط ضعفك. أمَّا إنْ لم يكن في وُسعِكِ التوقُّف عن عملها- إمَّا لأنَّها الشيء الوحيد الذي تقومين فيه، وإمَّا لأنَّ مديرك لن يسمحَ بذلك- فعليكِ التفكيرُ في طريقة للتَّقليل من ممارستِها على الأقلّ.

الآليّة الثانية:

«Team up» (شارك ضمن فريق)

وتعني أن تشاركي مجموعةً في تشكيل فريق عمل جديد متنوِّعِ المهارات. بحيث يؤدّي كلُّ شخص في الفريق عملَه بحسب نقاط قوَّته. فإنْ كنتِ تكرهين تنظيم الجداول والتحدُّث إلى العملاء مثلًا، فيمكنُك ضمُّ شخص جديد إلى فريقك يحبُّ هذه المهامّ. وبذلك توزَّعُ المهامُّ بحيث يؤدّي كلُّ شخصِ العمل وَفقَ نقاط قوَّته.

الآليّة الثالثة:

«Offer up» (اعرض)

وتعني أن تعرضي نقاط قوّتك، وتُخبري الآخرين بها، وتتطوّعي للعمل فيها بدلَ العمل في نقاط ضعفك. بهذه الطريقة تقلّلين من الأعمال التي تقومين بها وَفقَ نقاط ضعفك، وتزيدين من الأعمال التي تكون وفقَ نقاط قوّتك. وبمرور الوقت سيتسنّى لكِ الوقت للعمل أكثر على نقاط قوّتك.

وأخيرًا، «Perceive» (لاحظ)

وتعني أن نلاحظ المهامَّ التي تقع ضمن نقاط ضعفنا بصورة مختلفة. فهل يمكن تنفيذها باستخدام نقاط قوّتنا بدلَ نقاط ضعفنا؟ أو هل يمكن أن ننفّذها بصورة مختلفة لتكونَ أكثر إمتاعًا؟ أحد أصدقائي ذكر لي أنّ عليه أن يرسل يوميًّا بريدًا لإدارته يتضمّن تحديثًا عن حالة أبراج الاتّصالات الواقعة تحت مسؤوليّته. فعليه يوميًّا أن يدخلَ في كلّ واحد من هذه الأبراج على حدة لقراءة البيانات، ثمّ كتابتها في البريد ليرسلَه إليهم في التاسعة صباحًا. ولأنّ هذه المهمّة مملّة ولا تتوافق مع نقاط قوّته كثيرًا، فقد وضعَ برنامجًا يدخلُ يوميًّا في تلك الأبراج، ويسجّلُ القراءات، ويضعُها في بريد ويرسلها تلقائيًّا إلى الإدارة. وبذلك فقد صنع برنامجًا وَفقًا لنقاط قوّته، ليحلَّ مشكلةً مملّةً ضمن نقاط ضعفه.

والآن بناء على هذا التحليل، لن أتمكّن من التوقّف عن العمل في طبّ الأسنان قريبًا، لكنْ سيكون في وُسعي التقليل من المعالجات المملّة منها، كمعالجة العصب. وسأحاول أن أتّفق مع د. بسّام بحيث يأخذ هو معالجة تلك الحالات، على أن آخذَ منه وضعَ التركيبات التي يكرهها، وهكذا أتشارك في العمل معه. كما أنّي سأخبر الإدارة برغبتي في العمل على التخطيط، بحيث يقلّلون من دوامي في العيادة، ويزيدون من دوامي الإداريّ.

بهذه الطريقة أكون قد اخترت استراتيجيّةً مناسبةً للتعامل مع نقاط قوّتي، واستخدمت آليّات مناسبة للتعامل مع نقاط ضعفي وتقليلها.

وهنا قالت له:

- رائعٌ جدًّا! ولأنّي لا أعمل الآن، فلن أستفيدَ كثيرًا من آليّات التعامل مع نقاط الضعف، لكنّي سأحفظها لأطبّقَها فور بدء العمل؛ بُغيةَ التقليل من الأعمال المملّة التي ستصادفني.

قال لها:

- حسنًا! لقد تأخّر الوقت. سأغادر إلى منزلي لأنامَ جيّدًا.

فسألت زينة:

- لكنْ ما الخطوة التالية بعد معرفة كيفيّة التعامل مع نقاط القوّة والضعف؟

أجاب جواد:

- في الحقيقة فكّرت كثيرًا في الأمر. أعرف الاستراتيجيّة التي سأستخدمها لأنتقل إلى المهنة الجديدة، لكنّي لا أعرف كيف سيحدثُ هذا الانتقالُ التدريجيّ من طبيب أسنان إلى مستشار إداريّ. لهذا أظنُّ أنّ الخطوة التالية ستكون عن رسم الخُطّة الانتقاليّة.

قالت له:

- ذلك منطقيّ؛ فبعد معرفة الوجهة التي ستنطلقُ فيها، ثمّ تحديد استراتيجيّة الانتقال، عليك أن ترسم الخُطّة الانتقاليّة.

ودّعها قائلًا:

- سيكون هذا إذًا سؤالي للأستاذ جمال في الغد. تصبحين على خير يا زينة!

ردّت عليه:

- نومًا هنيئًا يا جواد.

٨

بعد أسبوع ...

نظرت زينة إلى الساعة في هاتفها وهي في سيّارة الأجرة، وطمأنت نفسها: "ما زال لديَّ متّسع من الوقت لأصل إلى الأكاديميّة في الوقت المناسب".

كان الشارع مكتظًّا كالعادة؛ فالساعة الخامسة هي ساعة الذروة الثانية التي تحوّل المدينة إلى أمواج من السيّارات التي تحمل الموظّفين وتعيدهم إلى منازلهم بعد ساعاتِ العمل الثماني التي يُمضونها في عملهم. اعتادت زينة هذا المنظر الذي كانت تشاهده يوميًّا عند عودتها من جامعتها. كانت عندها تصارع الأمواج لتعودَ إلى المنزل وهي منهكة لتعلنَ انتصارها الساحق في يوم آخر من حياتها الجامعيّة. لكنَّ اليوم سيكون مختلفًا؛ فهي تصارع الأمواج لتذهب إلى مكان أكثر متعةً وحماسةً من جامعتها.

أعادت زينة النظر في ساعة هاتفها، عندما اهتزَّ الهاتف في يدها وبدأ يرنّ.

ضغطتِ الشاشة لتجيب:

– ألو جواد، كيف حالك؟

ردَّ عليها:

– الحمد لله، بخير، أردتُ أن أطمئنَّ عليك. كيف كانت معركتك مع والدَيك؟

ابتسمت ابتسامةً خفيفة وأجابته:

– أنا في طريقي إلى أكاديميّة التصميم.

ردَّ بصوت مندهش:

– حقًّا؟ كيف تمكّنتِ من إقناعهم؟

أجابته:

– في الحقيقة عليك أن تسألني «كيف تمكّنتُ من إقناعها؟»؛ فقد أقنعتُ والدتي فقط، أمّا والدي فلن يوافق على ذلك بتاتًا، كما أنّه لن يدفعَ المالَ للمعهد.

ضحك بصوت عالٍ.

تابعَتْ زينة:

– المهمُّ أنّي ظللتُ ساعةً كاملةً أقنع أمّي بأنَّ الذهاب إلى الأكاديميّة سيطوّر من مهارتي تطويرًا كبيرًا. وبعد أن رفضتْ كلَّ الاقتراحات، قلت لها: إنّي لا أحب دراسة الموادّ النظريّة في الجامعة، وهذا أمرٌ مفروغٌ منه. ولن أعود بتاتًا إلى دراسة الإدارة أو غيرها من العلوم النظريّة الأخرى. إنَّ قدرتي موجودة في يدي، ولديَّ موهبة في الرسم. لذلك سأدرس فصلًا واحدًا فقط في الأكاديميّة، وسآخذ منكم تكاليف دراسة هذا الفصل فقط. وبعد انتهاء الفصل سأريكم قدراتي وتميُّزي فيه. فإنْ لم أثبت لكم قدرتي وتميُّزي، فلا تسمحوا لي بمتابعة الدراسة، عندها ردَّتْ والدتي: «سأسأل والدك».

فسألها:

– وماذا كان ردُّ أنور؟

قالت له:

- لم تسأله بعد، لكنّي اتّفقتُ مع رجاء، عمّةِ عامر أنْ أداومَ مدّة أسبوعَين في الأكاديميّة لأرى المكانَ قبل أن ألتزم معهم وأدفع الرسوم. وأتمنّى أن يقتنع في غضون الأسبوعَين المقبلَين.

قال لها:

- أتمنّى لكِ كلَّ التوفيق. كلُّ ما عليك فعله الآن هو أن تختبري المكان جيّدًا لترَي ما إذا كان ملائمًا لكِ أم لا، وسأكلّم ضحى لتُلحَّ أكثر على أنور.

ردّتْ على استعجال:

- شكرًا لك! وصلنا إلى المكان. سأتّصلُ بكَ لاحقًا. مع السلامة!

ردَّ جواد:

- في أمان الله.

نزلت زينة من سيّارة الأجرة.

ثمَّ نظرت إلى مبنى الأكاديميّة الزجاجيّ الأزرق بلَوحتِه الكبيرة التي كتب عليها بلَون أخضر «أكاديميّة التصميم». سحبَتْ نفسًا عميقًا من أنفها، وزفرَتْ من فمها بقوّة. أحسَّتْ بطاقةٍ كبيرةٍ تندفعُ في جسمها، ثمَّ شعرت بإحساس لم تشعرْ به من قبل.

أطالَتِ الوقوف أمام مبنى الأكاديميّة منتظرةً انتقال إحساس السعادة إلى كامل خلايا جسمها- تلك الخلايا التي لم تشعر بذلك الشعورِ على مدى سنوات؛ فلا الجامعة ولا حتّى المدرسة كانت تعطيها شعورًا كهذا. كانت الدراسة مرتبطةً في مخيّلتها بالعذاب والملل، لكنّها الآن لن تدرسَ تلك الأشياء المملّة، بل ستدرسُ الشيءَ الذي كانت تفعله منذ أن كانت صغيرة: الرسم.

سحبتْ من جديدٍ نفسًا عميقًا، ثمّ اتّجهتْ نحو الباب الرئيسيّ. لم تكن زينة تعرف عندها أنَّ دخولها من هذا الباب سيكون حدثًا مفصليًّا في حياتها.

٩

في اليوم التالي...

استيقظ جواد من نومه، وتناوَلَ فطوره البسيط المكوَّن من الزبدة والمربَّى الذي أعدَّته له سحر.

في أثناء تناوله الفطور سألته سحر:

– كيف هي رحلتك حتَّى الآن؟

أجابها بحماسة:

– كلُّ شيء على ما يرام يا عزيزتي؛ فأنا الآن أكثر وعيًا بنفسي.

لم أرسمْ بعدُ الطريقَ الجديدَ بوُضوح، لكنِّي على يقين أنَّ الخطوات المقبلة ستكون أقوى. بقي لي فقط أن أرسم الخُطَّة العمليَّة لأنتقل بالتدريج من طبِّ الأسنان إلى الإدارة. وقد حاولت الاتِّصال بالأستاذ جمال عدَّة مرَّات في الأسبوع الماضي دون جدوى، وبدأت أشعر بالقلق.

ردَّت بسعادة:

– لا تقلق! يبدو أنَّ مشاغلَ هذا الرجل كثيرة.

تردَّد قليلًا، ثمَّ قال لها:

– بالمناسبة، لديَّ خبر سيِّئ يجب أن أخبرَكِ به.

ردَّت بسرعة وهي تغيِّر جِلستَها:

– خيرًا إنْ شاء الله، ماذا هناك؟

قطَّب حاجبَيه، ثمَّ قال ببطء وبلهجة جادَّة:

– عليَّ أن أدرسَ ماجستير إدارة الأعمال مهما كلَّف الأمر لأنجحَ في خُطَّتي. وبعد البحث وجدتُ أنَّ هذه الدراسة مكلفة جدًّا، أكثر بكثير ممَّا توقَّعتُ. لذلك ستكون المرحلة المقبلةُ من حياتنا شديدةً بعض الشيء، وعلينا التعاون فيها لنجمعَ وندَّخر ما يكفي من المال.

ثمَّ تردَّدَ وكأنَّه يريد أن يخبرَها بشيء أكثر سوءًا ممَّا قاله:

– للأسف، عليَّ أيضًا أن أبيعَ التلفاز والثلَّاجةَ والغسَّالة الأوتوماتيكيَّة، لأتمكَّنَ من سداد أقساط الجامعة تلك.

ردَّت عليه بقلق:

– ماذا؟ ستبيعها؟ وماذا سأفعل أنا في المنزل، وكيف سنحفظ الطعام ونغسل الأغراض؟ هل أنت مضغوط ماليًّا إلى هذا الحدِّ يا عزيزي؟ ألا يوجد حلٌّ آخر؟ أن نقترض المالَ مثلًا؟

صمتَ برهةً، وكأنَّه لا يعرف ما يريد قَولَه.

ثمَّ انفجر ضاحكًا، حتَّى كاد يسقط من كرسيِّه.

تعجَّبت من سلوكه، ثمَّ أحسَّتْ بأنَّها نكتةٌ سخيفةٌ أخرى من نكته:

– ما القصَّة الحقيقيَّة يا سَمِج؟

حاول أن يوقف الضحك لكنَّه لم يتمكَّن. ثمَّ قال وهو يضحك:

– كم تتوقَّعين أن تكون قيمة هذه الأغراض؟ إنَّها لا شيء، ولا تستحقُّ أن تُباعَ أصلًا.

ثمّ تمالَكَ نفسَه أكثر وقال:

– أجل! إنّ الدراسة باهظة التكاليف، وسنعيش حياة متقشّفة بعض الشيء، لكنّي لن أستفيدَ من بيع تلفازك وغسّالتك يا أميرتي المجنونة.

ردّت ببرود:

– هل تعرف أنّك غاية في السماجة؟

ردّ عليها مبتسمًا:

– كان عليّ قول ذلك، لكي تشعري بالنعمة التي نعيش فيها الآن، وتعرفي أنّنا وإنْ تقشّفنا، فسنبقى في نعمة كبيرة، والحمد لله.

سأذهب إلى مكتبي لأتّصل بالأستاذ جمال.

وغادر المطبخ.

أمّا هي فأعدّتْ له فنجانًا من القهوة، ثمّ لحقت به إلى غرفته ووضعته على المكتب، حيث كان يجلس ممسكًا هاتفه.

اختار اسم الأستاذ جمال من قائمة الأسماء، ونظر إلى الاسم على شاشة الهاتف بضعَ ثوانٍ وهو يفكّر: "هل أنت مشغول اليوم أيضًا؟".

ثمّ ضغطَ زرّ الاتّصال.

وبعد ٣ رنّات سمع الردّ من الطرف الآخر:

– أهلًا بالدكتور جواد.

ردّ بسرعة:

– أهلًا أ. جمال، أتمنّى أن يكون الوقت مناسبًا!

ردّ أ. جمال:

– الوقت مناسبٌ جدًّا. أخبرني، إلى أين وصلت؟

أجابَ جواد:

– الحمد لله، الكتاب جميل جدًّا، وقد أجاب عن الكثير من التساؤلات التي لم أكن أعرفها.

ثمّ أخبره عن استراتيجيّات تغيير العمل الثلاثة التي ابتكرها جواد.

ردّ أ. جمال:

– لقد أبهرتني فعلًا يا جواد. فأنت لا تستطيع أن تقرأ شيئًا دون أن تبتكر وسائلَ جديدةً ومبسّطة لتسهيل استخدامه. عليك أن تركّز على نقطة القوّة هذه كما أخبرتُك سابقًا. النتيجة التي وصلت إليها رائعة، وسأخبرك لاحقًا بإضافةٍ بسيطةٍ إلى هذه الاستراتيجيّات الثلاث لتَصيرَ أكثر فاعليّة.

أحسّ جواد بقشعريرة سرور خفيفة تجتاحُ جسمه برفقٍ، مع إحساس بسعادة غامرة من إطراء جمال.

ثمّ ردّ عليه:

– شكرًا جزيلًا على كلماتك الجميلة، الآن صارت رؤيتي أوضح، ولديّ التصوُّر العامُّ لما سأفعله لأتحوّلَ من طبيب أسنان، إلى مستشار إداريّ. لكنّي لا أعرف الخطوات العمليّة التي سأفعلها لأنجزَ هذه الخُطّة، ولا أعرف كيف سيكون هذا الانتقال التدريجيُّ من طبيب أسنانٍ إلى مستشار إداريّ. إنّها لن تحصل حتمًا بين عشيّةٍ وضُحاها.

ردّ عليه أ. جمال:

– كلامك صحيح، لم يبقَ لكَ إلّا أن تعرفَ تفاصيل هذه النقلة، والخطوات

العمليّة لتنفيذها. فهل أنت مستعدٌّ للخطوة الأخيرة؟

أجاب جواد بحماسة:

– أجل! بالتأكيد متحمّس؛ فأنا...

انتبه أنّ أ. جمال سينهي الاتّصال كعادته، لذلك حاول أن يتدارك الموقف ويسأله بسرعة:

– أريد أن أسألك بسرعة...هل يمكن أن أصيرَ قويًّا في التخصّص البديل في وقت قصير؟

لم يردَّ أ. جمال.

قال جواد في نفسه: "تبًّا، لقد أنهى الاتّصالَ كعادته".

ظهر صوت أ. جمال مجدّدًا:

– دون شكٍّ يا دكتور! لا تستهن بتاتًا بقوّة الشغف. فعندما يكون لديك الشغف تُجاه شيء ما، ستنقلبُ حياتك رأسًا على عقب، وستعمل بكامل طاقتك، وستصل ليلك بنهارك إلى أن تصلَ إلى هدفك. وستُنجزُ كلَّ ذلك في وقت قصير جدًّا. لذا لا تقارن المدّة التي أمضيتَها في دراسة تخصّصك الأوّل بالمدّة اللازمة في التخصّص الثاني؛ فالثاني مختلفٌ تمامًا.

سمع جواد صوت إنهاء الاتّصال.

وواسى نفسه: "أجاب عن سؤالي، على الأقلّ".

هزّ رأسه، ثمّ أمسك هاتفه منتظرًا الرسالة التي ستأتي من أ. جمال وبدأ يقول:

– الوجبة العلميّة الدسمة الأخيرة في طريقها إليّ لأفكّ شفرتها- الشفرة الأخيرة في طريق حرّيّتي.

انتظر وانتظر، وطال انتظاره.

ثاني لفة يمين

لا تستهن بتاتًا بقوّة الشغف. فعندما يكون لديك الشغف تُجاه شيء ما، ستنقلبُ حياتك رأسًا على عقب، وستعمل بكامل طاقتك، وستصل ليلك بنهارك إلى أن تصلَ إلى هدفك. وستُنجزُ كلَّ ذلك في وقت قصير جدًّا.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR
جبل عمّان Jabal Amman

وبدأ يتململ. وراحَ يتمشّى في المنزل وهو ينظر إلى هاتفه بين لحظة وأخرى.

وبعد نصف ساعة من الانتظار وصلتْ رسالةٌ إلى هاتفه النقّال.

نظر في الهاتف، ليجدَ أنّ الرسالةَ كانت من أ. جمال بالفعل. فتح الرسالة ليقرأها. ثمّ قطّب حاجبَيه: "ما هذا؟". كان الرسالة تقول:

"goo.gl/qsc56g
١٢/١٥- ١١:٣٠ صباحًا"

نظر إلى الرسالة عدّة مرّات.

ثمّ بدأ يتساءل: "أين اسم الكتاب؟ وما هذا الرابط؟ وما هذا الموعد؟"

فتحَ الرابطَ الموجود في الرسالة، ليجدَ صفحةَ برنامج خرائط غوغل.

بدأت الصفحة بالتحميل، ثمّ وجد سهمًا على الخريطة. وبجانب السهم مكتوب "شركة سمارتكم لأمن المعلومات".

وهنا استوعب ما حدث:

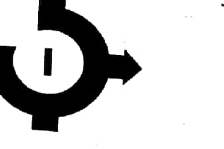
- أها، إنّه يريدني أن أذهبَ للقائه في مقرّ شركته في الأسبوع المقبل عند الساعة الحادية عشر والنصف صباحًا. لكن لماذا لا يوجد كتاب هذه المرّة؟

يا إلهي! سيكون لقاءً جميلًا؛ فأنا لم أره إلّا مرّةً واحدةً قبل سنة تقريبًا عندما أتاني إلى العيادة.

سيكون لقاءً مُلهمًا بالتأكيد.

الفصل الرابع

الخُطّة



- يا لها من وردة رائعة!

كان هذا هو ردّ الأستاذة رجاء عندما رأت رسمة زينة في تمرين برنامج الفوتوشوب (Photoshop).

وكان هذا انتصارًا كبيرًا لزينة؛ فهي لم تُمضِ في الأكاديميّة حتّى اللحظة سوى أسبوعٍ واحد، وتمكّنت بسرعة رغم ذلك من كسب إعجاب الآخرين بأعمالها. اعتمدَ هذا التمرين على رسم وردة جوري باستخدام القلم اللوحيّ. يعتمد هذا النوع من الرسم بصورةٍ أساسيّة على المهارة اليدويّة، ويكفي الشخص أن يعرف كيفيّة استخدام الأدوات المتاحة لينطلق ويتطوّر بسرعةٍ كبيرة، في حال امتلك المهارة حقًّا.

يركّز منهَجُ الفصل الأوّل في الأكاديميّة على التصميم بالبرامج ثنائيّة الأبعاد. وفي الفصول المقبلة، يبدأ تعليم البرامج الأكثر تعقيدًا، مثل برامج المونتاج والبرامج ثلاثيّة الأبعاد.

بعد انتهاء المحاضرة، بدأت زينة بتوضيب أغراضها استعدادًا للمادّة الثانية، عندها نادتها الأستاذة رجاء:

- زينة، أريد أن أراكِ في مكتبي قبل أن تغادري الأكاديميّة.

ردّت زينة:

- حسنًا.

أكملت المحاضرة الثانية والتي كانت عن التصميم باستخدام برنامج إلستريتر (Illustrator)، ثمّ أخذت حقيبتها وخرجت لتقابل الأستاذة رجاء.

وصلت إلى باب غرفة رجاء، ثمّ طرقت الباب. سمعت صوتًا من الداخل يقول:

– تفضّل!

فتحت زينة الباب ودخلت. لتجدَها برفقة شخص آخر.

قالت زينة بصوت مسموع:

– الأستاذ عامر.

ردّ عليها:

– أهلًا زينة، لم أرَكِ منذ مدّةٍ طويلة.

فقالت رجاء:

– شكرًا لك يا عامر لأنّك عرّفتني إلى هذه الطالبة المتميّزة.

قال لها:

– زينة كانت من الطالبات المتميّزات في محاضرتي، وقد تألّمتُ كثيرًا عندما تركتنا. وما دامت تحبُّ الرسم، فأظنُّ أنّكِ أفضل مَن سيرشدها في هذا المجال.

ردّت زينة باستحياء:

– أشكركَ جزيلَ الشكر على اهتمامك؛ فالأستاذة رجاء تبذل قُصارى جَهدها معي.

قالت رجاء:

– لا شكرَ على واجب. في الحقيقة استدعيتُكِ إلى مكتبي لأناقش معك مستقبلك

في الأكاديميّة. الآن، انتهى وقتك يا عامر. أرجو أن تتركني مع زينة لنبدأ الحوار.

استأذن وهو يقول:

– بالتوفيق لكِ يا زينة، وشكرًا لك يا عمّتي على لطفكِ.

ثمّ غادر. وبعد أن أغلق الباب، بدأت رجاء بالحديث:

– زينة، إنّ مستواكِ رائع جدًّا ويتطوّرُ بسرعة. وقد أخبرني عامر بأنّكِ تركتِ كلّيّة الإدارة، وجئت إلينا. وأرى أنّك قمتِ بخطوة جريئة جدًّا، وأظنُّ أنّها ناجحة؛ فموهبتك في الرسم متميّزة حقًّا.

بحسب خبرتي مع الطالبات، مَن يبدأ بمستوًى كمستواك، سيتخرّجُ في الأكاديميّة بتفوُّقٍ وبمهارةٍ رائعةٍ جدًّا تمكّنه من العمل مع شركات التصميم والتسويق.

في أثناء مسيرتك في الأكاديميّة ستتعلّمين موادَّ كثيرة. فعليكِ أن تختاري أكثر الموادّ التي تحبّينها وتتميّزين بها، وترَين أنّكِ ستُبدعين فيها، ثمّ عليكِ أن تركّزي تدريبك عليها في أوقات فراغك في المنزل؛ فالممارسة مهمّة جدًّا لصقل موهبتك. ومع أنّ من الجيّد أن تكونَ لديكِ معرفةٌ بالكثير من البرامج، فإنّ عليكِ أن تركّزي تدريبك على عددٍ قليلٍ منها فقط لتكوني بارعةً فيها. وعادةً ما يؤدّي تشتُّتُ الموهبة بين الكثير من البرامج إلى أن يصيرَ الشخصُ جيّدًا فيها، دون أن يتميّزَ في أيٍّ منها.

ردّت عليها زينة:

– شكرًا لكِ. في الحقيقة بعد أن تركتُ كلّيّة الإدارة، أفكّرُ حاليًّا في خطواتي التالية بحذر أكبر لئلّا تتكرّر القصّة معي مرّةً أخرى. لذلك فأنا سأراقب نفسي جيّدًا، وأتمنّى منكِ أن تعطيني إفادةً صادقةً حول مستواي.

ردّت رجاء:

– بالتأكيد؛ فهذا هو دوري، وسأخبر باقي المدرّسين بذلك. أنا لا أريد لموهبة مثلكِ أن تسيرَ في الطريق الخاطئ.

شكرتْها زينة، ثمّ قالت:

– هل لي بطلبٍ صغيرٍ من حضرتكِ؟

ردّت رجاء:

– بكلّ سرور! تفضّلي.

قالت زينة:

– في الحقيقة، أهلي لم يقتنعوا بعد بخطوتي هذه في دراسة التصميم. وأتمنّى أنْ أحظى بمساعدتكِ إنْ أمكن.

ثمّ شرحت زينة قصّتها مع أهلها وأسباب اعتراضهم على قرارها. وبعد أن سمعت رجاء القصّة كاملة قالت لها:

– امم...يؤسفني ذلك. أعطيني رقم والدتك، وسأتّصل بها وأخبرها بشأن مهارتك وتميّزك معنا. هل هذا مناسب لك؟

ردّت زينة:

– شكرًا جزيلًا لكِ، هذا ما أردتُه بالضّبط.

أعطتها زينة رقم والدتها، ثمّ ودّعتها وغادرَتِ الأكاديميّة.

٢

في الأسبوع التالي...

ركب جواد سيّارته، ووضع الهاتف على الحامل الملصق على زجاج السيّارة. نقرَ الرابطَ في رسالة أ. جمال ليفتح موقع سمارتكم، ثمّ شغّلَ جهاز الملاحة الإلكترونيّ وانطلق.

كان مطمئنًّا أنّه سيصل قبل الوقت المحدّد؛ فما زال لديه الكثير من الوقت تحسُّبًا للازدحام. كما أنّ منزله كان قريبًا نسبيًّا من مقرّ سمارتكم.

بدأ يتذكّر أوّل لقاء جمعَه بالأستاذ جمال- ذلك اللقاء الذي غيّر كلّ شيء في حياته. لم يعرفه إلّا منذ سنةٍ تقريبًا، وكان تواصلهما في الأشهر القليلة الماضية مجرّد دقائق قليلة على الهاتف، إضافة إلى بعض الرسائل النصّيّة.

ثمّ بدأ يفكّر:

– ما شركةُ سمارتكم يا تُرى؟ وما مجال عملها؟ ماذا يعمل أ. جمال تحديدًا؟ وكيف عرف أ. جمال عن خطوات تحويل المهنة؟ هل يدرّب عادة الناس على تغيير تخصّصاتهم؟ أم أنّه مرّ بتجربةٍ مشابهة؟

وبعد مدّةٍ من التفكير والتساؤل، تكلّم جهاز الملاحة وقال: "انعطف إلى اليمين بعد مئة متر".

تجهّز جواد، وأعطى إشارة الانعطاف إلى اليمين. وبعد انعطافه تكلّم جهاز الملاحة: "بعد خمسين مترًا، ستكون وجهتك على الجهة اليسرى".

١

استيقظت زينة على صوت منبه هاتفها المزعج.

قامت بتثاقل من سريرها لتتَّجه صَوب مكتبها حيث وضعت الهاتف. لتكتشفَ أنَّ الصوت ليس من منبّه الهاتف، بل هو اتّصال هاتفيٌّ من رقم مجهول.

حاولت تنعيم صوتها قليلًا قبل الردّ وهي تقول: "احم.. احم"، ثمَّ جلست على الكرسيِّ وردَّت على الهاتف:

- ألو.

جاء الردُّ من صوتٍ ذكوريٍّ عريض:

- ألو...صباح الخير...هل معي زينة؟

أجابت:

- نعم، مَن معي؟

ردَّ عليها:

- آسف إنْ كنتُ قد أزعجتك بالاتّصال، أنا عامر.

ردّت عليه:

– مَن عامر؟

أجابها:

– أنا عامر مُعيد مادّة التخطيط الاستراتيجيّ.

انتظرت قليلًا لتستوعبَ ما يحدث! توسّعت عيناها عندما تذكّرته. إنّه المعيد ذاته الذي كانت تحبُّ أن تحضرَ محاضراته وتستمتع بها.

نهضت بسرعة من كرسيّها، وغيّرت نبرة صوتها:

– أهلًا أستاذ عامر، كيف حالك؟

أجابها:

– أنا بخير، لم أرك في مادّة التخطيط الاستراتيجيّ منذ بداية الفصل، وعندما سألتُ عنك أجابتني صديقتك أنّكِ تركتِ الجامعة. لذا أخذتُ رقمكِ منها لأطمئنَّ عليك، وأعرف ما إذا كان ذلك صحيحًا.

أجابت زينة:

– في الحقيقة، كنتُ أكره موادَّ هذا التخصّص، وكنتُ أنجح بصعوبة فيها، ثمّ اكتشفتُ أنّي أدرس التخصّص الخاطئ. لذا منذ بداية السنة لم أحضر إلّا التدريبَ الخارجيَّ، ومحاضرات مادّة التسويق فقط. وبعد أن أتممتُ التدريبَ الخارجيَّ في الإدارة، تيقّنتُ أنّ هذا ليس مكاني المناسب، فانسحبتُ من الجامعة.

ردّ عامر مستنكرًا:

– كنتِ تنجحين بصعوبة؟ لقد كنتِ متميّزة جدًّا في مادّتي، ولهذا السبب بالذات اتّصلتُ بكِ. كنتِ من أكثر الطالبات تميّزًا ومشاركة في المحاضرات. فكيف تقولين الآن إنّك كنتِ تنجحين بصعوبة؟

أجابته:

– في الحقيقة كانت محاضراتك العمليّة هي الوحيدةَ التي أستمتع بها؛ لأنّ شرحَك كان ممتعًا ومبسّطًا جدًّا. لكنّني لم أكن أحصل على درجاتٍ عالية في الموادّ الأخرى.

سألها:

– ألم تتسرّعي في قرارك هذا؟ هل فكرتِ مليًّا قبل اتّخاذه؟ ماذا لو أنّك...

قاطعتْه بتململ:

– اطمئنّ؛ فقد أشبعتُ الموضوعَ دراسة. القرار ليس وليدَ اللحظة، ولا رجعة عنه.

تنهّد ثمّ سألها:

– وماذا ستفعلين الآن؟

أجابته:

– قرّرتُ أن أتابع دراسة الرسم والتصميم؛ فبعد الكثير من البحث والتفكير، وجدتُ أنّ هذا المجال هو الأنسب لي. وقد انضممتُ إلى بعض الدورات على الإنترنت، وسأبحث عن معهد يُدرّسها لأحترف المجال.

أبطأ جواد من سرعته ونظر إلى اليسار، إلى الجهة المقابلة، وقال بصوتٍ عالٍ:

- يا إلهي، ما هذه الشركة؟ لم أتوقَّع أنّها بهذه الضخامة.

الشركة عبارة من مبنى مؤلَّف من عشرة طوابق، صُمِّمت من الفولاذ والزجاج. شكلها مشابهٌ لشكل نصف بيضة غير متناظرة؛ حيث إنَّ ذروتها مائلةٌ إلى الخلف مع تحدُّبٍ زائد في واجهتها الأماميَّة. كُتِب على الواجهة بمستوى الطابق الثامن "سمارتكم" باللغتَين العربية والإنكليزيَّة. المدخل الرئيسيُّ موجود في الجهة الأماميَّة من المبنى، وفوقه مظلَّةٌ معدنيَّة كبيرة تمتدُّ نحو الخارج عدَّة أمتار، ثمَّ تستند إلى عمودَين كبيرَين.

خرج جواد من سيَّارته، ثمَّ قطع الشارع باتِّجاه المبنى وصعد الدرجات الصغيرة المؤدِّية إلى المدخل الرئيسيّ، ثمَّ سار أسفل المظلَّة إلى أن وصلَ إلى الباب، الذي انفتح تلقائيًّا.

دُهش جواد وهو ينظر إلى التصميم الداخليّ؛ فالأرضيَّة معمولةٌ من حجارةٍ طبيعيَّة تتخلَّلها حشائشُ وأزهارٌ وأشجارٌ، ويمرُّ بين تلك الأشجار جدول من الماء الجاري الذي ينبع من شلَّال على الجدار البعيد. وتتخلَّل أشعَّة الشمس إلى البهو عبر جدار المبنى الزجاجيّ. هناك في الأرض ممرٌّ ضيِّقٌ من الحجارة يرسم مسارًا بين الأشجار والحشائش ويأخذك إلى مكتب الاستقبال في المنتصف، وإلى المصاعد وباقي الغرف الموجودة في الطابق الأرضيّ. تابع السير فوق هذا الممرّ الضيِّق متَّجهًا إلى مكتب الاستقبال. ثمَّ تحدَّث إلى أحد الموظَّفين هناك:

- مرحبًا، لديَّ موعد اليوم مع أ. جمال.

بمجرَّد أن سمع الموظَّف الأخر اسم أ. جمال، نهضَ من كرسيِّه وتحرَّك باتِّجاه جواد:

- أهلًا عزيزي، ما اسمك لو تكرَّمت؟

ردَّ عليه:

- جواد! اسمي جواد.

ع موظف الاستقبال جدول المواعيد الموضوع على المكتب، ثمَّ هزَّ رأسَه وقال:

- أهلًا بك د. جواد، سيكون أ. جمال بانتظارك بعد خمس عشرة دقيقة. تفضَّل معي إلى غرفة الانتظار لو تكرَّمت. غرفته موجودةٌ في الطابق السادس.

وجَّه موظف الاستقبال إلى المصعد، وتبعه جواد. كان المصعد زجاجيًّا شفَّافًا، وله إطلالة على باقي الأدوار الأخرى بما فيها البهو. وقبل أن يصعد جواد المصعد، لفت انتباهَه السلالم أمام المصعد. حيث كتب على كلِّ درجة من درجات السلالم:

«-0.17 Cal».

وفي نهاية السُّلَّم الأوَّل كُتب على الحائط بخطٍّ كبير:

«Total= -2.55 Cal».

تساءل جواد بصوت مرتفع.

- ما هذه الأرقام؟

ردَّ عليه موظَّف الاستقبال:

- إنَّها تمثِّلُ مقدار السعرات الحراريَّة التي ستخسرها في كلِّ درجة تصعدها. فالدرجة الواحدة تجعلُك تحرقُ ٠,١٧ كالوري، وبذلك ستخسر نحو ٥ سعرات حراريَّة في كلِّ طابق. في نهاية كلِّ طابق ستجد لوحةً بعدد السعرات التي خسرتها، فضلًا عن وجود رسومات حماسيَّة وأقوال لعظماء على جدران السلالم نغيِّرها باستمرار لئلَّا يشعر الشخص بالملل. بالمناسبة، أ. جمال لا يستخدم المصعد إلَّا إنْ كان لديه اجتماع مهمٌّ حتَّى لا يصل وهو يلتقط أنفاسه، كما أنَّه يخرج من مكتبه كلَّ بضع ساعات ويتَّجه إلى السلالم، فينزل إلى الطابق الأرضيّ ثمَّ يصعد إل الطابق الأخير، وبعدَها يعود إلى مكتبه في الطابق السادس. هذه الطريقة تساعده على إعادة شحن دماغه كما يقول لنا.

تحمّس جواد لأنْ يصعد السلالم بدلَ المصعد، لكنْ في اللحظة الأخيرة تردّد ثمّ قال:

– سأجرّب الطريقةَ في وقتٍ لاحق. لا أريد الوصول إلى الموعد وأنا ألهث.

دخلا المصعد، وبدأ يشاهد طوابق المبنى من خلال زجاج المصعد، وكان منظرًا ساحرًا فعلًا.

وصلا إلى الطابق السادس، ثمّ قال موظّف الاستقبال وهو يشير إلى إحدى الغرف:

– غرفة الانتظار من هنا لو سمحت.

دخلَ جواد غرفةَ الضيوف وجلس على أحد المقاعد الموجودة. ثمّ بدأ يعدّ الثواني ليقابل أ. جمال من جديد.

٣

طرقت زينة باب غرفة الأستاذة رجاء. كانت رجاء قد أخبرتها بأنّ عليها زيارتها لتخبرها بما حدث لمّا اتّصلت بأمّها. كان فكرها مشغولًا طَوال الوقت بالتفكير في ما دار بينهما. كما أنّها خافت أن تسأل والدتَها عن النتيجة، وآثرت أن تعرف ما حدث من الأستاذة رجاء.

ردّت رجاء من الداخل:

– تفضّل.

فتحتْ زينة الباب ودخلت الغرفة وقالت:

– مساء الخير أستاذة رجاء.

ردّتْ رجاء:

– أهلًا بك يا زينة، كيف كانت دروس اليوم؟

ردّت زينة.

– كانت ممتعةً جدًّا.

تحدّثتْ رجاء بجدّيّة:

– كما تعلمين، لقد تحدّثتُ إلى والدتك صباح اليوم كما وعدتك. إنّها ما تزال غاضبة

من قرارك بشأن تركِ كلّيّة الإدارة. وقد حاولتُ أن أشرحَ مدى تميُّزك وسعادتك في الدراسة معنا، لكنَّ ذلك لم يغيّر الكثير من ردّ فعلها.

في الحقيقة، عندما وجدتُ أنَّ هذا هو ردُّ فعلها، لم أتمالك نفسي، وقرّرتُ أن أغيّر الأسلوب، ورحتُ أهاجمُها...

قاطعتها زينة:

– هاجمتِها؟ يا إلهي!

ردَّت رجاء:

– لا تقلقي، فهذه ليست المرّة الأولى التي أهاجم فيها الأهل؛ فهم يظنّون أحيانًا أنّهم يملكون حقَّ التحكُّم في أبنائهم، واتّخاذ القرارات الشخصيّة نيابةً عنهم. ومع أنَّ من حقِّ الأهل نصح أبنائهم، والتدخُّل عند ارتكابهم الأخطاء، فإنّهم يفقدون أحيانًا القدرةَ على التمييز، ويظنّون أنَّ سلوكَ أبنائهم الذي لا يتوافق مع قناعاتهم هو خطأ أو كسل أو تهرُّب.

لذا أخبرتها بأنَّ دراسةَ الإدارة لا تتناسب معكِ، وأنّها أرادت أن تدرُسي الإدارة لتحقّق هي كبرياءَها وترضي غرورها هي وزوجها. كما أخبرتُها بأنَّ شخصيَّتكِ ليست كشخصيَّتها، وكلٌّ منكما خُلقت بقدرات وإمكاناتٍ مختلفة، وكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له. وقلتُ أيضًا إنَّ إجبار الابن على لعب دور لا يتماشى معه ليس حلًّا، بل هو عقوق بالأبناء وتسلُّط عليهم. ونتيجته لن تكون مُرضِية، بل قد تؤول إلى جعلِ الأبناء عاقّين.

ثمَّ رفعتُ نبرة صوتي وقلت لها: "عليك أن تعرفي أنَّ ابنتك زينة هي من أكثر الطلّاب تميُّزًا، وسيكون لها مستقبلٌ رائع في التصميم والفنون إنِ اعتنَتْ جيّدًا بمهاراتها، ودرسَتْ وتمرَّنتْ وثابرَتْ. أمّا في الإدارة، فطريقها مسدود مسدود مسدود"، وهنا أنهتْ والدتك الاتّصال، وأقفلت السمّاعة في وجهي.

ردَّت زينة بقلق:

– أنهَتِ الاتّصال؟ يا ويلي! ستمنعني من المتابعة في الدراسة هنا.

ردَّت عليها رجاء:

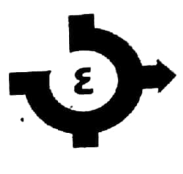
– لا تقلقي! لقد مررتُ بحالات كثيرة كهذه. هي لحظة مكابَرة الأهل وإنكارهم للحقيقة، رغم أنّها واضحة وضوحَ الشمس. ولا بدَّ هنا من هزِّهم بقوّة، أو حتّى صفعهم ليفيقوا من غَيبوبتهم ويرَوا الحقيقة جيّدًا.

وبالمناسبة، اتّصلتْ والدتُك بي قبل ساعتَين، واعتذرت عن إنهاء الاتّصال في وجهي، وأخبرتني بأسفها على تصرُّفها بأنانيّةٍ معك، وأنَّ ذلك كان بدافع الخوف عليك وتمنّي مستقبل أفضل لك.

ثمَّ تابعنا الحديث عن شكل مستقبلك وكيفيَّة تنميته بأفضل ما يمكن.

كادت زينة تطيرُ من الفرح لمّا سمعت كلمات رجاء؛ فالمهمُّ أنّها توصّلتْ إلى تسويةٍ مع أهلها، بغضِّ النظرِ عن الكيفيَّة التي وصلَتْ بها إلى الاتّفاق معهما.

بعد ذلك قامت زينة وقبَّلت رجاء، وتابَعَتا بعض الأحاديث.



- د. جواد، الأستاذ جمال بانتظارك.

قالها موظَّف الاستقبال وهو يشير إلى مكتب أ. جمال.

خفق قلب جواد بسرعة؛ ففي المرَّة الماضية، كان أ. جمال مثل أيِّ مريض يقابله في العيادة، يبتسم له ابتسامة صفراء ليستدرجَه إلى الكرسيّ. ثمَّ يطرحُ عليه بعض الأسئلة التي لا يهتمُّ بسماع إجابتها- أسئلةٍ تكون غاية طرحها هو مجرَّد كسر حاجز الرهبة عند المريض. ثمَّ يبدأ يحفر أسنانهم، وفي نهاية اللقاء يودِّعهم بابتسامةٍ مصطنعة، لعلَّهم ينسون ما عانوه على الكرسيّ. كان هذا بالضبط ما حدث عند آخر لقاء مع جمال. لكنْ بعدَها تحوَّل من مجرَّد مريض، إلى مرشد له، ليأخذه من يده ويضعه على الطريق الصحيح- طريقِ السعادة.

لحق بالسكرتير، الذي أخذه إلى المكتب وفتح له الباب. دخل المكتب وأبهرته تفاصيله. كان مكتبه ناصع البياض؛ فاللون الأبيض موجود في كلِّ مكان: في المقاعد والكراسيّ وطاولة الاجتماعات، بل حتَّى النوافذ كانت بيضاء بسبب اختراقها بأشعة الشمس «البيضاء». وهناك بعيدًا في الوسط، المكتب الكبير الأبيض حيث يجلس أ. جمال.

قام أ. جمال من مكتبه فورًا، وتوجَّه نحو جواد، وهو يقول:

- عزيزي الدكتور جواد، لقد مضى وقتٌ طويلٌ منذ آخر لقاء لنا. مرَّ أكثرُ من سنة على لقائنا الوحيد.

ردَّ جواد وهو يضحك:

- صورتك مغايرة عن تلك التي في ذاكرتي؛ فكلُّ ما حفظته منك هو شكل أسنانك.

ثمَّ سلَّما بعضهما على بعض، وتبادلا القبلات.

قال أ. جمال وهو يشير إلى المقعد الموجود في إحدى زوايا الغرفة المقابلة للباب:

- تفضَّل بالجلوس.

ثمَّ سأله:

- أخبرني كيف صرتَ الآن؟

ضحك جواد وهو يقول:

- أنا بخير، لقد قلبْتَ حياتي رأسًا على عقب!

قال أ. جمال بابتسامة:

- جميل! هذا هو كلُّ ما تحتاج إليه ليبدأ التغييرُ الحقيقيُّ في العمل.

ردَّ جواد:

- دون شكّ! هذا ما اكتشفتُه وجرَّبته فعلًا.

لم يتمكَّن جواد من ترك المحادثة تسير بهذا الشكل، وأحبَّ الدخول في الموضوع فورًا، ليطرحَ السؤال الذي كان بباله دومًا:

- من فضلك أخبرني، كيف عرفتَ كلَّ ذلك؟ كيف عرفتَ خطوات تغيير التخصُّص؟ هذا السؤال طاردني منذ أوَّل مرَّة تحدَّثنا فيها، وكان إلحاحه يزداد يومًا بعد يوم. وعندما زرتُ شركتك اليوم، توقَّعت أن أجد ما يجيب عن سؤالي، كأن

تشتملَ على ما يشير إلى أنَّك مدرِّبٌ أو مرشدٌ أو مستشارٌ مهنيّ، لكنّي وجدتُ شركة عملاقة ليست لها علاقة بالمسارات المهنيَّة، وهذا زاد على حَيرتي حَيرةً.

من أنت؟

تبسَّم أ. جمال، ثمَّ راحَ يضحك، وقال له:

– بالمناسبة، لقد تحدَّثت مع الكثيرين، ممَّن يشاركونك بكرههم لتخصُّصهم. لم يصل الكثير منهم إلى هذه المرحلة. الكثيرون يعرفون أنَّهم في المكان الخاطئ؛ ويعرفون أين هو المكان الصحيح، لكنَّ القلَّة فقط لديهم الجرأة على فعل ما ينبغي لهم أن يصلوا إليه.

قاطعه جواد:

– أي أنَّك تدرِّبُ الناس بهذه الطريقة؟

ردَّ أ. جمال:

– امم...أنا لستُ مدرِّبًا، بل أنا أرشد الناس إلى الطريق فقط. أُعطي بعض التعليمات، وعلى الشخص أن يتابعَ ويجدَ الجوابَ وحده، ثمَّ يسلك الطريق بنفسه.

قاطعه جواد:

– أي أنَّك تعمل بصفةِ مرشدٍ وموجِّه؟

ردَّ أ. جمال:

– ليس تمامًا، لكنّي أرى أنَّ من واجبي نقلَ المعرفةِ إلى غيري. هذه هي زكاة المعرفة. تعلَّمتُ تغيير التخصُّص بالطريقة الصعبة، وأحببتُ أن أنقلَ التجرِبةَ إلى غَيري، لأخرجهم من معاناتهم.

قاطعَه جواد مرَّةً أخرى مستغربًا:

ثاني لفة يمين

الكثيرون يعرفون أنّهم في المكان الخاطئ؛ ويعرفون أين هو المكان الصحيح، لكنّ القلّة فقط لديهم الجرأة على فعل ما ينبغي لهم أن يصلوا إليه.

#ثاني_لفة_يمين
@DrAmjadj
JAPublishers.com/2TR
جبل عمّان Jabal Amman

- أنت مررت بالتّجرِبة ذاتِها؟

وهنا عاد أ. جمال بظهره إلى الخلف وصالبَ ساقَيه إحداهُما على الأخرى، ثمّ قال:

- لأختصر الكثير من تساؤلاتك، سأروي لك قصّتي.

اطمأنّ جواد، وعاد بظهره إلى الخلف بعد أن كان قد جلس على طرف الكنبة، وبدأ يستمع .

٥

بدأ أ. جمال يسرد قصّته:

- تخرّجتُ في الجامعة حيث درستُ في كلّيّة علوم الأحياء قبل عشرين سنةً تقريبًا. لم أكن أحبُّ التخصّص كثيرًا، ولم أستمتع قطُّ بدراسته. لطالما أحببتُ الرياضيّات وحلَّ المعادلات والمسائل. وبعد تخرُّجي، اكتشفت أنّ فرصة العمل الوحيدة لهذا التخصّص هو التدريس في المدارس. لم أتمكّن من المتابعة في الدراسات العليا بسبب انخفاض معدّلي في أثناء الدراسة. لذا لم يكن هناك حلٌّ إلّا أن أكون مدرّسًا في المدرسة.

بعد سنة من التدريس، أحسستُ بأنّ هذا المكان هو أسوأ مكان لاستغلال قدراتي؛ فإمكاناتي أكبر من ذلك بكثير. ومع أنّ التدريس مهنةٌ مهمّة ونبيلةٌ ذات رسالة، فلا يعني هذا أن أعمل أنا في هذه المهنة؛ فكلٌّ منّا ميسّرٌ لما خُلِقَ له، وكلٌّ منّا وُلِد بقدرات تمكّنه من أداء دور يتناسب معه. نحن كقطع الأحجية (Puzzle)؛ لكلٍّ منّا شكلٌ مختلفٌ، ومكانٌ مناسبٌ يحلّ فيه. وإنْ توزّعنا بالشكل الصحيح، كان لنا أن نكملَ الأحجية ونبني الصورة الجميلة في النهاية. أمّا إنْ وضعنا القطع في المكان غير المناسب، فستكون النتيجة صورة مبعثرة لا معالم لها.

دخلتُ في دوّامة من الكآبة، وكرهتُ كلَّ شيء، وامتنعت عن فعل أيِّ شيء. لقد أحسستُ أنّي بلا قيمة في هذه الدنيا، وكنتُ أنظر إلى المدرّسين الناجحين، وأندب

حظِّي. فلماذا يحبُّون التدريس ويبدعون فيه، وأنا لا أحبُّه ولا أطيقه مهما حاولت؟
ثمَّ نظرت إلى زملائي الناجحين في التخصُّصات الأخرى وندبت حظِّي في دخولي تخصُّصًا أكرهه، بينما اختاروا هم تخصُّصاتٍ يحبُّونها، ولم يأخذهم حظُّهم السيِّئ إلى تخصُّصاتٍ لا تتناسب معهم. وبعد فترة من الكآبة، قرَّرتُ محاولة التغيير، دون أن أعرف ما إن كان ذلك ممكنًا أم لا.

بدأت أبحث عن مهنة بديلة أعمل فيها بشهادتي، لكنْ دون جدوى. ثمَّ بدأتُ أقرأ في معارف مختلفة علِّي أجد تخصُّصًا جديدًا يناسبني. قرأت في الفلسفة، وأحببتُها لكنِّي وصلت إلى حدٍّ وجدتُ أنَّ من غير الممكن تخطِّيه. درستُ الطبَّ الشرقيَّ، وأُعجبتُ به، ثمَّ بعد عدَّة كتبٍ وجدتُ أنَّه غير مناسب هو الآخر.

طرقتُ العديدَ من الأبواب، والكثير من المحاولات، لكنْ دون جدوى.

في ذلك الوقت، كانت الكمبيوترات الشخصيَّة في بداية انتشارها في العالم العربيِّ، وكنتُ مغرمًا بها، وكنت أقتني جهازًا رغم غلاء سعره. ثمَّ وجدت أنَّ الكتب المتوافرة في المكتبات ليست كافية لتعليم بعض التخصُّصات الدقيقة فيه. لذا فكَّرت في العمل لدى الشركات التي تتخصَّصُ ببيع الكمبيوترات أو تقديم التدريب فيها.

بدأت فعلًا أبحثُ عن عمل، وبدأتُ أتواصل مع الشركات وأعرض نفسي للعمل لديهم. وبعد بحث طويل وجدتُ فرصةً للعمل في منصب سكرتير في شركة للتدريب على الكمبيوترات. لم يكن الراتب المعروض مناسبًا بتاتًا، لكنْ كان لديهم كنزٌ أعظمُ من أيِّ مردودٍ ماليٍّ؛ إذ إنَّ لديهم مكتبة تعجُّ بكتب الكمبيوتر واستخداماته وبرمجته، ومعظمها باللغة الإنكليزيَّة. بالمناسبة يا جواد، هناك كتاب اسمه "الإتقان" (Mastery) للمؤلِّف روبرت غرين (Robert Greene)، وفيه الكثير من الأفكار المهمَّة في التعلُّم والوصول إلى الإتقان. وممَّا ذكره هو أنَّ على المرءِ في مرحلة تعلُّم التخصُّص الجديد أن يقدِّمَ التعلُّم على المال؛ فالمال لن يفيد كثيرًا في بداية المسيرة، بل قد يُفقِدُ الإنسانَ الحماسة والشغفَ تجاهَ التعلُّم. لذا عليك أن

تبحثَ عن التعلُّم، وتختار المكان الذي يوفِّر لك فرصةَ التعلُّم حتَّى وإنْ كان الراتب زهيدًا. وستكون هذه خطوة مهمَّة لتبدأ منها مستقبلك ثمَّ تنطلق انطلاقة كبيرة. أظنُّ أنَّ عليك أن تقرأ هذا الكتاب يومًا ما يا جواد.

هزَّ جواد رأسه بالموافقة.

تابع أ. جمال:

– قبلت بالعمل بذلك المبلغ الزهيد، وكنت أملأ وقت فراغي بالقراءة في كتب المكتبة، وأخذتُ الإذن لاستعارتها وأخذها إلى المنزل، لأتابع قراءتها والتعلُّم بعد انتهاء الدوام. استهوَتْني البرمجة كثيرًا، وعرفتُ أخيرًا سبب حبِّي للرياضيَّات عندما كنتُ في المدرسة– هو حبِّي لحلِّ المشكلات. لذلك كانت الرياضيَّات ممتعة جدًّا. أمَّا التدريس، فلم يتضمَّنِ الكثيرَ من المشكلات التي تحتاج إلى حلٍّ، أو لم يكنْ فيه ذلك النوع من المشكلات التي أبحثُ عنه. وهناك بدأت بأول تحوُّلٍ مهنيٍّ مهمٍّ في حياتي عندما اخترتُ الانتقالَ إلى البرمجة.

تعلَّمتُ الكثير في البرمجة، وكنتُ أطبِّقُ الكثيرَ ممَّا تعلَّمتُه على جهازي في المنزل، إلى أن أنهيتُ الكتب العربيَّة المترجمة التي تتناولُ البرمجة. كنتُ لا أجيد قراءة الكتب الإنكليزيَّة، لكنَّها الطريقُ الوحيدُ لإتقان البرمجة. اشتريت بعض كتب تعليم اللغة، وبدأت أدرس اللغة الإنكليزيَّة وأتعلَّمُها. كان وقتي مقسومًا بين دراسة اللغة وكتابة كود بعض البرامج الصغيرة بما لديَّ من مهارة في البرمجة لأتابع صقلها أكثر. استغرقتُ ستَّة أشهر لأصيرَ قادرًا على قراءة الكتب الأجنبيَّة. وبعد ثلاث سنوات من العمل في تلك الشركة، كنتُ قد وصلت إلى مستوى محترف جدًّا في البرمجة. عرضت على شركتي أن أعمل في تدريس البرمجة لديهم براتب عاديّ.

الشركات تتأثَّر دوما بأوَّل منصب وظَّفَتْكَ فيه؛ فمَن وظَّفكَ على أنَّك سكرتير، لن يقتنعَ كثيرًا أن يرقِّيَكَ ويعطيَك راتبًا مغريًا. وهذا يدفع الكثير من المبتدئين إلى

تغيير شركتهم بمجرّد أن يصلوا إلى الاحتراف؛ فالشركات ترى أنّها هي من صنعتك وطوّرت مهارتك، ومن ثَمّ تمتنع عن زيادة راتبك زيادةً مُجزية، ولا تتمكّن من النظر إليك إلّا نظرة المبتدئ، مهما زاد احترافك. وتكون النتيجة أنّ الموظف يغادرها مُضطرًّا بحثًا عمّن يقدّرُ موهبته. فأنا لا أنكر فضل الشركات في تعليمنا، لكنّني أنكر أن تعزوَ الفضلَ لها وحدها، وأن تبخس حقّك بحُجّة أنّها هي مَن صنعك، متناسية أنّك صاحب القدرات، وأنّك تعلّمتَ وطوّرتَ نفسك بسرعة.

بدأت البحث عن فرصة أخرى للتعلّم والتطوّر، لكنّي كنتُ أطلبُ راتبًا عاليًا هذه المرّة. فعندما تكون قويًّا، لا ترضى إلّا بفرض قوّتك على مَن يوظّفك. ورغم أنّه ليست لديّ شهادات في البرمجة، فإنّ البرامج التي صمّمتها كفلت لي منصبًا وراتبًا عاليًا في شركة عربيّة للبرمجة. كان العمل جميلًا وفيه الكثير من التحدّيات، لكنْ بعد سنة تحوّل إلى الروتين، وبدأت أشعرُ بالملل، فبحثتُ عن مهارة جديدة أتعلّمُها. كنتُ مغرمًا ببرامج التصميم ثلاثيّة الأبعاد، وعكفت سنة على تعلّمها، ثمّ بدأت أعملُ بها مع البرمجة. لكنّ إنتاجي فيها كان ضعيفًا مقارنة بالبرمجة؛ فأعلنتُ فشلي في التصميم وتوقّفت عنه.

تابعتُ حياتي بصورةٍ عاديّة في البرمجة، لكنّي كنتُ أحسُّ دومًا أنّه ما زال لديّ الكثير من القدرات لأُفعّلَها، فعملي الحاليّ لم يعدْ ممتعًا كما كان. فرُحتُ أفكّر بطريقة مختلفة، وقرّرتُ أن أتّجه إلى ريادة الأعمال وأبدأ عملي الخاصّ في البرمجة.

إنْ وصلتَ إلى تمكّن في تخصّص ما؛ وكنت تتمتّع بمواصفات ريادي الأعمال، فسيكون من الخطأ الاستمرار بالعمل تحت إمرة الآخرين. بل عليك أن تشقّ طريقك في عملك، وتصنع المنتج الذي تريده بنفسك.

كان أمامي مشكلتان: أنّ عليّ أن أعرف أساسيّات بدء المشاريع الناشئة والتخطيط لها وإدارتها، وأن أجدَ مشكلةً أو احتياجًا حقيقيّين في السوق لأؤسّس شركةً توفّر الحلّ

المناسب. لكنّ المشكلات الموجودة في السوق كانت تقليديّة، والكثير من الشركات تقدّم الحلول لها.

لديّ الآن ثلاث قدرات: الرياضيّات والبرمجة وحلّ المشكلات. رحتُ أراقبُ السوق، وأقرأ الأخبار والتقارير المتاحة. كنتُ أبحث دومًا عن مشكلة حقيقيّة في السوق يمكنُني أن أستخدم قدراتي لحلّها.

توقّف أ. جمال عن الكلام، ثمّ نهضَ من الكنبة، وسارَ نحو أحد الجدران. وتابع الحديث في أثناء مشيه:

– ظللتُ في العمل خمس سنوات أعملُ مبرمجًا في تلك الشركة، دون أن أتوصّل إلى أيّة مشكلة في السوق يمكنني حلُّها باستخدام قدراتي.

وضع أ. جمال يدَيه في جيبَيه وبدأ ينظر إلى لوحة موجودة على الجدار. صمتَ قليلًا وهو يتأمّل اللوحة، ثمّ سأل جواد:

– هل تعرف هذه اللوحة يا دكتور؟

قام جواد من مكانه، وسار نحو اللوحة. كانت اللوحة عبارة عن ألوان بسيطة متداخلة. معظم اللوحة مصبوغة باللون الأزرق مع دوائر صفراء. عندما وصل إلى اللوحة، بدأ ينظر إليها ويتأمّلها أكثر. اكتشف أنّ اللون الأزرق هو سماء مرسومة بخطوط زرقاء دائريّة، وأمّا الدوائر الصفراء فهي نجومٌ مرسومةٌ بحجم كبير وكأنّها شموس. وفي الأسفل هناك قرية هادئة، مع وجودِ جبالٍ في خلفيّة تلك القرية، علاوةً على شجرة كبيرة في الجزء الأيسر منها.

قال جواد:

– لا، إنّها المرّة الأولى التي أراها.

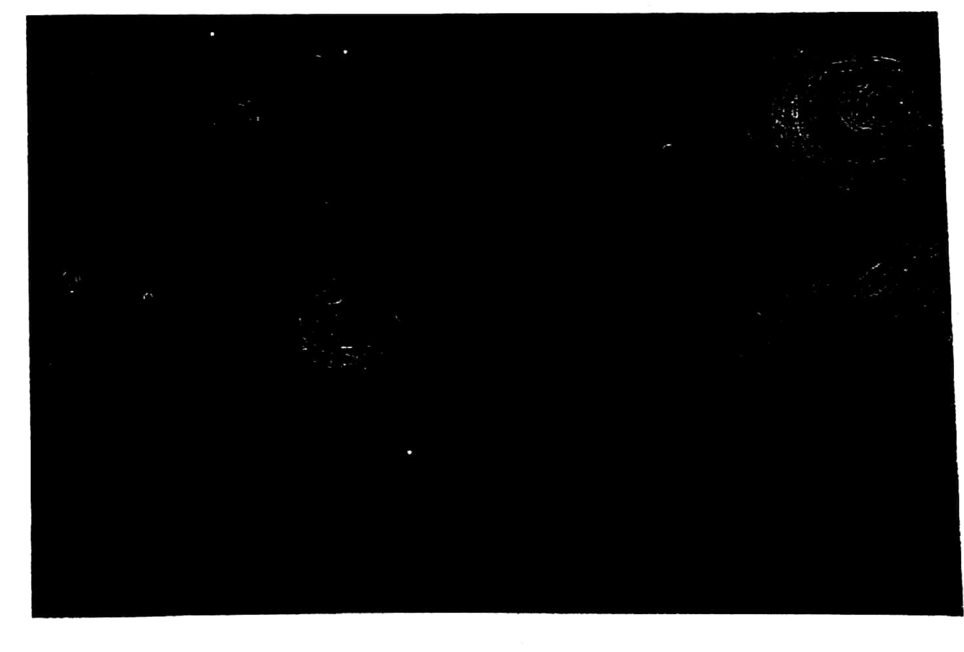
هزَّ أ. جمال رأسه، ثمَّ قال:

– إنَّها لوحة «ليلة النجوم» (Starry Night) للرسَّام الهولنديّ ڤينسنت ڤان غوخ. أصيب هذا الرسَّام باضطرابات نفسيَّة كادت تدمِّر حياتَه، حتَّى إنَّه جرحَ جسده، ثمَّ سلَّم نفسه في النهاية إلى مشفى الأمراض العقليَّة في إحدى مدن جنوب فرنسا، وهناك أمضى الجزء الأخير من حياته. كان الرسمُ هو الشيءَ الأمتع الذي كان يقوم به ليخرجَ من أزمته النفسيَّة. وهناك رسمَ أروَع اللوحات، ليصيرَ أحَدَ أروع الرسَّامين في العالم.

في إحدى الليالي، قرَّر أن يرسمَ المنظرَ خارجَ غرفته. كان المنظر في الخارج عاديًّا جدًّا، حتَّى إنَّ الظلام لم يسمح له بِرَسم تفاصيل كثيرة.

فضلًا عن ذلك، كانت اضطراباته العقليَّة تجعله يكره كلَّ ما حوله، غير أنَّ النتيجةَ أنَّه رسم هذه التحفة الفنِّيَّة!

بعيدًا عن كلِّ السوء الذي كان يعيش فيه ڤان غوخ فقد كان عقله ومخيِّلته ممتلئتان



بالجمال، لذا تناسى اضطراباته، وكلَّ السوء الذي يحيط به، ورسمَ منظرًا خارجيًّا أجملَ من الحقيقة– منظرًا جميلًا كما يحبُّه أن يكون، وكما يتصوَّره في مخيِّلته. كانت أحلامه بحجم النجوم، لذا رسمَ نجومًا كبيرةً بهذا الحجم لتتناسبَ معها، وكأنَّه يريد الوصول إليها. ورسمَ خلفها قريةً مثاليَّةً، كتلك التي أحبَّ دوما أن يعيش فيها لو كانَ في عالم أفضل.

كان ڤان غوخ يرسل بعض لوحاته إلى أخيه الذي يعيش في باريس. وبعد أن رسمَ تلك اللوحة، قرَّرَ إرسالها، لكنَّه في النهاية حسبَها لوحةً فاشلة، فتراجع عن إرسالها. وقد ذكر أنَّ تفاصيل اللوحة متوسِّطة الجودة، وأنَّ النجوم هي أسوأ ما فيها. تُوُفِّيَ ڤان غوخ بعد رسمه تلك اللوحة بسنة واحدة وكان يبلغ ٣٧ سنة، تاركًا خلفه أكثرَ من ألفي عملٍ فنِّيٍّ. هل تعرف ما قيمة هذه اللوحة الفاشلة يا دكتور؟

هزَّ جواد رأسه وقال:

– ليست لديَّ أدنى فكرة.

قال له أ. جمال:

– لقد صارَ ڤان غوخ أحدَ أهمِّ الفنَّانين في العالم، ولوحته هذه موجودةٌ في متحف الفنِّ الحديث في نيويورك. قيمة هذه اللوحة تفوقُ المئة مليون دولار.

صرخَ جواد مستغربًا.

– ماذا؟ مئة مليون دولار؟

ردَّ أ. جمال:

– تأثَّرتُ كثيرًا بهذه اللوحة عندما كنتُ أعمل في البرمجة. فطبعتُ نسخةً مصغَّرةً منها، ووضعتها في مكتبي. علَّمتني هذه اللوحة الكثير من الدروس؛ فهي قصَّةُ كفاح شخصٍ مع اضطرابه النفسيّ، وتحويل هذا الكفاح إلى شكل إيجابيّ. علَّمتني

أيضًا أنَّ النجاح لا يحتاج بالضرورة إلى الكثير من الوقت، فقد ترك هذا الفنّانُ كلَّ هذه الأعمال وعمره سبع وثلاثون سنة فقط. كذلك علّمتني أنَّ الحياة جميلة، وفي وُسعِنا أن نرسمَ صورةً جميلةً لها في مخيّلتنا، مهما كانت مُرّة؛ فتلك الرسمة لم تكن حقيقيّة، بل كانت موجودة في مخيّلته.

لكنَّ الدرس الذي استوقفني كثيرًا هو أنّه وصفَ رسمتَه هذه بالفشل! تقييمنا لأنفسنا مغلوطٌ في معظم الأحيان؛ فنحن إمّا أن نعظم أنفسنا بصورة مبالغ فيها، وإمّا أنِ نحطّمها على نحوٍ غير مبرَّر. عندما أسّست هذه الشركة، وضعت هذه اللوحة أمامي لأنظرَ إليها دومًا، وحتّى أحدِّث صورتي للواقع باستمرار، وكي أفكّر أيضًا في العالم بصورةٍ مختلفة، ولأثق بقدراتي ولا أتسرَّع في الحكم السيّئ على نفسي.

التفت إلى جواد، وتابع حديثه وهو يمشي في الغرفة:

– بقيت ٥ سنوات وأنا أعمل في شركة البرمجة، وكنت أبحث باستمرار عن تلك الفرصة التي إنِ استغللتُها كما يجب، سأفجّر كامل طاقتي وقدراتي، وأرسم لوحة «ليلة النجوم» الخاصّة بي.

في إحدى السنوات الخمس تلك، بدا أنَّ هناك فرصةً تلوحُ في الأفق، حيث بدأت الكثير من الهجمات الإلكترونيّة على المواقع الحكوميّة لقرصنتها ونسخ بياناتها المهمّة وتوزيعها. بدأت المشكلة في إحدى دول الأميركتَين، ثمّ أخذت تنتشرُ في الدول الأخرى. ووصلت إلى الدول العربيّة، وجرت سرقة قواعد بيانات أكبر القطاعات الحكوميّة والشركات الموجودة فيها.

كانت هذه الحادثة هي المنظر الموحش خارج غرفة «ڤان غوخ». أمّا ما دار في عقلي فقد كان مختلفًا جدًّا، إذ كانت في عقلي لوحة «ليلة النجوم» التي سأرسم بها حياةً أجمل، وسأحدِث فرقًا، ولو بسيطًا، عمّا هو موجود في الخارج.

بدأتُ رحلةً جديدةً من التعلُّم. وبدأت أتعلّمُ القرصنةَ وكيف يخترق القراصنة المواقع. بدأتُ أدرسُ الحماية الأمنيّة وما يتعلّق بها. كنتُ أصلُ الليل بالنهار في التعلُّم، وسافرت إلى عدّة دول منها ألمانيا لأدرسَ دورات متقدّمة في الأمن الإلكترونيّ (Cyber Security). بدأتْ نسختي من لوحة «ليلة النجوم» تتبلوَرُ بالتّدريج. ثمّ وصلتُ إلى جذر المشكلة التي تسبّبت في كلِّ ما يحدث من اختراقات. لستُ أنا مَن وصل جذرَ هذه المشكلة؛ فالكثيرون حول العالم كانوا يعرفونها، لكنَّ حلّها كان معقّدًا جدًّا. وبعد سنتَين من الدراسة والتعلُّم والتدريب والتجربة، وصلتُ إلى حلٍّ لهذه المشكلة، وبدأت أعرضه على الجهات الحكوميّة لتستخدمه في سنبيل حماية نفسها. وبعد مفاوضات طويلة والكثير من الإقناع والعروض والاجتماعات، حصلت على أوّل عقد لاستخدام نظامي الجديد في الحماية.

بدأت أتعلّم أساسيّات بناء الشركات الناشئة وإدارتها وتخطيطها، ثمّ قدّمتُ استقالتي من الشركة، وشكّلتُ فريقًا مناسبًا، وبدأنا نعمل على تطبيق النظام لديهم، ثمّ حقّقنا نجاحًا باهرًا. كانت تلك هي البداية، وتابعنا بعدها العمل المتواصل حتّى كبرنا وزاد عدد العملاء الذين يثقون بنا، فضاعفنا أعدادَ موظّفينا من مبرمجين ومطوّرين لنخدمَ عملاءنا، ورحنا نبحث باستمرار عن الثغرات الأمنيّة لحلِّها، وصرنا «سمارتكم» التي تراها الآن.

ردَّ عليه جواد:

– يا إلهي! قصّتك حماسيّة جدًّا، وقد تنقّلتَ فيها بين عدّة مهن. وما قمتَ به باختصار، أنّك تحوّلتَ من مدرّس، إلى مدير لشركة في أمن المعلومات!

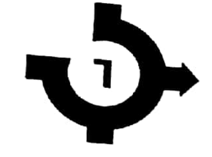
ردَّ أ. جمال:

– لم تكن القصّة بهذا الوضوح عندما بدأتُ الرحلة، ولم أعرف أنّي اقتربتُ من المكان الصحيح إلّا عندما عملتُ في شركة البرمجة. وهناك عرفتُ أنّ عليَّ تحريك دفّة السفينة قليلًا لأصل إلى وجهتي الصحيحة.

وبسبب هذه الرحلة، كنتُ أفكِّرُ كثيرًا في ما حدثَ معي، وفي الطاقة المهدورة التي ضاعت من عمري في دراسة تخصُّصٍ لم أحبّه. وفكَّرت في الطاقة التي تضيع على شبابنا عندما يدخلون في تخصُّص يكرهونه، ثمَّ يستمرُّون فيه. لذلك بدأتُ أبحثُ عن طرق لاختيار التخصُّص، وقرأتُ الكثيرَ من الكتب حول ذلك. ووجدتُ الكتبَ المناسبةَ التي تتناسب مع ما قمتُ به في رحلتي. فبدأت أستخدمها لمساعدة الموظَّفين على اختيار مكانهم الأفضل. وكنت أعطيهم هذه الكتب ليستفيدوا منها ويستكشفوا ذاتهم بصورة أفضل. وأخبرتك بأنَّ الطريق صعب، وينتهي المطافُ بالكثير منهم إلى إجراء تغيير بسيط فقط، دون أن يجرؤوا على إحداث تغيير جذريّ.

كنت أحاولُ تخصيص الوقت لأبدأ بتدريب من هم خارج الشركة وأرشدهم إلى طرق اختيار تخصُّصهم. لكنَّ انشغالي الكبير وأولويَّاتي الأخرى، دفعتني لتأجيل هذه الفكرة، فأجَّلتها لسنين طويلة، ثمَّ نسيتُ الفكرةَ تمامًا.

ثمَّ بالصدفة قابلتُك في العيادة، وبدأتْ جميع ذكرياتي القديمة تعودُ إلى الحياة. كنتُ أرى نفسي فيك، وكنتُ أرى كآبتي السابقة تنعكس في عَينَيك. فتذكَّرتُ أنَّ عليَّ مساعدة مَن هم خارج شركتي أيضًا. لذا اتَّبعتُ معك الطريقة نفسَها التي اتَّبعتُها معهم بأنْ أقدِّم لك أقلَّ توجيه يتناسب مع جدولي المزدحم، مع أكبر فائدة ممكنة. وعندها بدأنا الرحلة معًا.



شكرت زينة رجاء على نصائحها القيِّمة، ثمَّ ودَّعتها وفتحت الباب لتغادر المكتب.

وعندما همَّت بالخروج من الباب، وجدت في وجهها عامر وكادت ترتطم به.

فقالت بتردُّد:

– أهلًا عامر.

ردَّ عليها:

– أهلًا زينة. أهلًا عمَّتي، كيف حالكما؟

أجابتْه رجاء:

– بخير! لقد كنتُ في حوار جانبيٍّ مع زينة، ما الذي جاء بكَ الآن؟

ردَّ عامر:

– جئتُ لأسألكِ عن مستوى زينة، طالبتي سابقًا، لأتحقَّقَ ما إذا كانت قد وصلت إلى المكان الصحيح أم لا.

ردَّت عليه زينة بخجل:

– لقد وجدتُ نفسي فعلًا في هذا المكان. كما أنَّ الأستاذة رجاء خير معلِّمة لي هنا.

قال عامر:

- الحمد لله!

قالت زينة:

- بعدَ إذنكَ. عليَّ أن أغادر لألحقَ بالمحاضرة التالية.

قال بتردُّد:

- بالتوفيق. اممم...أريد أن أسألك بعض الأسئلة، سأطرحها عليك في الطريق إذا كنتُ لا تمانعين.

قالت له:

- لا مشكلة. تفضَّل من هنا، إلى اللقاء أستاذة رجاء.

ردَّت رجاء:

- بالتوفيق لكما!

ثمَّ غادرا الغرفة.

بادر وسألها:

- هل لي أن أسألكِ عن خططكِ المستقبليَّة. ماذا تريدين أن تكوني؟

ابتسمت دون أن تعرفَ ما تقوله، ثمَّ ردَّت:

- لِمَ هذا السؤال؟

ردَّ عامر:

- لقد أعجبت بجرأتك في ترك جامعتك رغم معارضة أهلكِ لكِ. وأحببتُ أن

أعرف أكثر ما تنوين فعله.

قالت له:

- في الحقيقة لستُ سعيدةً بسبب المشكلات التي وقعت بيني وبين أهلي، لكنْ في النهاية أنا مَن سأعيش بتعاسة، لذلك أنا مَن عليه اتِّخاذ القرار وليس هم.

لا أعرف حقيقة ما سأفعله في المستقبل؛ فجميع خططي تغيَّرت. لذا سأتابع الدراسة في المعهد، وبمرور الوقت ستتشكَّلُ لديَّ صورة أفضل.

تابع وقد بدا عليه الارتباك:

- لم أكن أتوقَّع أنَّكِ بهذه الشجاعة؛ فتصرُّفاتك وسلوكك عندما كنتُ أدرِّسك في الجامعة لم توحِ بذلك. سأطرحُ عليكِ سؤالًا آخر. بعد أن كرهتِ دراسةَ الإدارة، هل كرهتِ الإدارةَ كلَّها وكلَّ مَن يعمل فيها؟

أحسَّت بغموض في سؤاله؛ وكأنَّه يريد أن يلمِّحَ إلى شيء ما، فردَّت عليه:

- اممم...لم أفهم سببَ سؤالك، لكنِّي أظنُّ أنَّ من الخطأ أن أصبَّ جامَ غضبي وكرهي على شيء ما ليَطالَ كلَّ مَن يعمل فيه أيضًا! وبالمناسبة، خالي طبيب أسنان، ويريد أن يتحوَّلَ إلى دراسة الإدارة، وحتمًا لن أكرهه لأنَّه دخل التخصُّص الذي كرهته.

سألها باستغراب:

- حقًّا؟ هو أيضًا ترك تخصُّصه. ما هذه الصدفة الغريبة؟

ردَّت:

- هو مَن شجَّعني على اتِّخاذِ قراري؛ فكلٌّ منَّا كان يختصُّ في مجال لا يتوافق مع شخصيَّته وقدراته.

ثمَّ وصلا إلى مكان القاعة.

قالت له:

– شكرًا جزيلًا لك على إعلامي بشأن هذه الأكاديميَّة، وشكرًا أيضًا على دعمك لي أمامَ عمَّتك الأستاذة رجاء.

ردَّ بخجل:

– لا شكر على واجب. بالتوفيق.

دخلت زينة القاعة تاركةً عامر في الخارج.

وقفَ عامر قليلًا خارج القاعة وهو يفكِّر، ثمَّ غادر الأكاديميَّة.

٧

طُرق باب غرفة مكتب أ. جمال، ودخل المكتبَ مسؤولُ الضيافة. قدَّم لجواد فنجانًا من القهوة مع قطعة من الكعك، ووضع كأسًا من الشاي أمام أ. جمال ثمَّ انصرف.

– الآن سأبدأ في الإجابة عن سؤالك الذي جئتَ من أجله، كيف ستضعُ الخُطَّة العمليَّة؟ أليس هذا سؤالك؟

هزَّ جواد رأسه مشيرًا إليه للمتابعة.

بدأ أ. جمال يشرح قائلًا:

– سأبدأ لكَ من البداية لترى الصورة الكاملة. هناك ثلاث خطوات للوصول إلى التخصُّص.

قبل أن أسردَها، سأذكِّرك بحقيقةٍ مؤلمة: أنَّك ستقوم بجميع هذه الخطوات في أثناء عملك في التخصُّص الذي تكرهه. فعندما تغيِّر تخصُّصك، لن تكون هناك عصا سحريَّة تحوِّلُك من الضفدع إلى الأمير، بل عليك أن تعملَ عادةً في التخصُّص الوحيد الذي لديكَ مؤهَّلٌ فيه، التخصُّص الذي تكرهه. أمَّا إنْ غيَّرت تخصُّصك في فترة الجامعة، فسيكون الوضع أسهل.

والآن إليكَ بالخطوات.

وهنا أمسكَ دفترًا عليه شعار الشركة، وأخرج من جيبه قلمًا، ورسمَ على الورقة خطَّين

عموديَّين ليقسمَها ثلاثةَ أقسام، وكتب على هذه الأقسام ١ و٢ و٣ على التوالي. ثمَّ كتب تحت الرقم واحد عبارة «اختر التخصُّص المناسب».

ثمَّ قال وهو يشير إلى هذا المربَّع:

– **الخطوة الأولى: اختر التخصُّص المناسب**

وقد مرَّت بك كيفيَّة القيام بذلك في جميع الكتب التي أرسلتُها إليك. وقد صمَّمتَ ببراعة فلتر التخصُّصات الذي يساعد على تصفية المهامّ والمهن المختلفة إلى أن وصلتَ إلى المهنة المناسبة.

هذه هي الخطوة الأهمُّ والأصعب، ولن تستفيد من متابعة باقي الخطوات إنْ لم تتمكَّنْ من إيجاد التخصُّص البديل.

وهنا أضاف عبارة «فلتر التخصُّصات» في الخانة الأولى وتابع:

١	٢	٣
اختر التخصُّص المناسب فلتر التخصُّصات		

الخطوة الثانية: اختر استراتيجيَّة تغيير التخصُّص

لقد أعجبني ما قمت به يا جواد عند استخراجك للاستراتيجيَّات الثلاث التي وضعتَها في آليَّة استخدام نقاط تميُّزك رغم أنَّ الكتاب لم يذكرها بهذا الشكل. لذلك سأبني عليها قليلًا لتصيرَ أفضل.

ثمَّ كتب اسم الخطوة الثانية وأسماء الاستراتيجيَّات الثلاثة أسفلها، وتابع:

١	٢	٣
اختر التخصُّص المناسب فلتر اختيار التخصُّصات	اختر استراتيجيَّة تغيير التخصُّص ١. التركيز ٢. الدمج ٣. التحوُّل	

الاستراتيجيَّة الأولى: التركيز

وفيها تبقى في مهنتك الحاليَّة نفسها، مع زيادة المهامّ المرتبطة بنقاط قوَّتك، وتقليل المهامّ التي لا تتوافق معها. وهذا هو أسهل أنواع تغيير التخصُّص؛ لأنَّك تُغيِّر فيه طبيعة المهامّ المنفَّذة فقط.

الاستراتيجيَّة الثانية: الدمج

وفيها تدمجُ ما بين تخصُّصك القديم والتخصُّص الجديد. كأنْ تغيِّر مهنتك مع البقاء في المجال نفسه، أو تغيِّرَ المجالَ مع البقاء في المهنة نفسها.

الاستراتيجيَّة الثالثة: التحوُّل

وفيها تغيِّر مجالك ومهنتك في آنٍ معًا. وهذا هو أصعب أنواع تغيير التخصُّص.

وكي تنجح في تغيير تخصُّصك، حاوِلْ دَومًا أن تبدأ مع الاستراتيجيَّات الأسهل؛ فوضع خُطَّةٍ جذريَّةٍ تنسفُ كلَّ ما لديك، هو أمرٌ صعبُ التطبيق، لذا قد تفشل في تنفيذها، ممَّا قد يسبِّب لك الإحباط.

لذلك، حاول أن تبدأ دومًا باستراتيجيَّة التركيز، وذلك بأن تبقى في مهنتك مع تقليل المهامّ التي تكرهها، والتركيز على تلك التي تحبُّها فقط. الآن تخيَّل نفسَك بعد أن طبَّقتَها. هل أنت راضٍ عن حالتك؟ هل تمكَّنتَ من الشعور بالمتعة بعد تطبيق هذه الاستراتيجيَّة؟ فتغييراتٌ بسيطةٌ قد تؤدِّي إلى تغييراتٍ جذريَّةٍ في حياتك. إنْ لم تكُنْ كذلك، تجاوَزْ هذه الاستراتيجيَّة، أو طبِّقها لمدَّةٍ محدودةٍ فقط.

الآن فكِّر في استراتيجية الدمج. هل بالإمكان الدمج ما بين تخصُّصك الحاليِّ والتخصُّص الذي تريده؟ في وُسعكَ مثلًا البقاء في مجال طبِّ الأسنان- أو المجال الطبِّيّ عمومًا- وتغيِّر مهنتك فقط، كأن تعملَ في منصب مدير مشفى بدل أن تكونَ طبيبًا، أو مسوِّقًا للمشفى. أو قد تعمل في بيع موادِّ الأسنان، أو أن تدرِّس طبَّ الأسنان أو تدرِّب الأطباء على استخدام الأجهزة الجديدة في مجال الأسنان، أو أن تعمل في شركات التأمين أو غيرها. بهذه الطريقة ستستفيد من معرفتك في طبِّ الأسنان مع تغيير مهنتك ومسمَّاك الوظيفيّ.

أحيانًا يمكنك البقاء في المهنة نفسها أو المسمَّى الوظيفيِّ مع تغيير المجال. فمثلًا، الشخص الذي يعمل في بيع السيَّارات- أي أنَّ مهنته هي البيع ومجاله هو السيَّارات- بإمكانه البقاء في مهنة البيع، لكنْ مع تغيير مجال السيَّارات. كأن يعمل في بيع الأثاث أو بيع الخدمات المختلفة.

الاستراتيجيَّة الثانية تضمنُ لك سلاسة أو مرونةً في الانتقال؛ فليس عليك تعلُّم الكثير عندما تنتقل. بل ربَّما تستطيعُ الاستقالة من وظيفتك الأولى اليوم، ثمَّ العمل في الثانية مع التدرُّب لمدَّةٍ قصيرة لتُتقِنَ الدَّورَ الجديد. فما يميِّز هذه الاستراتيجيَّة هو أنَّك لن تهدمَ كلَّ خبراتك وشهاداتك السابقة وتبدأ من الصفر، بل ستبدأ من مكانٍ متقدِّم لتُضيفَ إليه وتصقله قليلًا بمهاراتٍ جديدةٍ تنطلق بعدها في العمل الجديد.

لذلك حاول قدرَ الإمكان أن تفكِّر مليًّا في استخدام هذه الاستراتيجيَّة. فكِّر في طرق إبداعيَّة للجمع ما بين المهنتَين الحاليَّة والمستقبليَّة. وحاولْ قدرَ الإمكان الاستفادة من تخصُّصك القديم بأيَّة طريقةٍ كانت؛ فالبداية من الصفر موجعةٌ ومكلفة. كما أنِّي أعرف بعض الذين اتَّخذوا هذا الخِيار بسبب عدم وجود الوقت أو المال الكافي لتطبيق الاستراتيجيَّة الثالثة.

إنْ وجدتَ أنَّ هذه الاستراتيجيَّة غير ملائمة لك أيضًا؛ ولن تمكِّنك من استخدام

كامل قدراتك، ولن تجلب إليك المتعة، فلن تبقى أمامك إلَّا الاستراتيجيَّة الأصعب- استراتيجية التحوُّل.

في استراتيجية التحوُّل تكون جميع الحلول الوسطيَّة غير مناسبة لك؛ فمهنتك الحاليَّة أسوأ من أن تتمكَّنَ من تحمُّلها أو جمعها بمهنةٍ أخرى، وهنا تكونُ مهنتُك البديلةُ هي مهنةً مختلفةً تمامًا عن مهنتك الأولى لتكون أمامَ خِيارَين.

إمَّا أن تعمل في المهنتَين في الوقت نفسه، وإمَّا أن تترك المهنة الأولى تمامًا وتعمل في المهنة الجديدة.

الخِيارُ الأوَّل محبَّذٌ أكثر؛ لأنَّه لن يجعلَك تهدمُ مهنتك الأولى، لكنَّه سيجعلك تعمل فيها جنبًا إلى جنب مع الثانية.

فمثلًا، الدكتور أحمد خيري العمري، طبيب أسنان ويكتب في الفكر ويسجِّل برامج مختلفة. ولديه مهنتان أساسيَّتان: الأولى طبيب أسنان والأخرى مفكِّر، وهو يعمل فيهما معًا في دوامَين منفصِلَين. وكذلك الدكتور وليد الفتيحي يعملُ طبيبًا بشريًّا، كما يعمل في الإشراف والتخطيط على مشفى طبِّيٍّ كبير، وكذلك يصوِّرُ برامج تلفزيونيَّة فكريَّة، ويعطي محاضرات فيها ويؤلِّف كتبًا. وبذلك لديه عدَّة مهن، ويوزِّع وقته ما بينها دون أن يترك أيًّا منها. وهناك أمثلة أخرى كثيرة لمن يجمع ما بين عدَّة مهنٍ؛ لأنَّه يحصل على المتعة منها بدرجات متفاوتة.

يمكن القول إنَّ هذا الخِيارَ سيجعلك تعمل في عملَين: الأوَّل في التخصُّص الذي لا تحبُّه، بهدف كسب المال، وهكذا فإنَّك تتعاملُ معه بوصفه وظيفة، والثاني في التخصُّص الذي تحبُّه، بحيث تحصل منه على المتعة، وتتعاملُ معه بوصفه هِواية، أو حتَّى رسالتك في الحياة.

لكنَّ هذا الخيار سيستنزفك ويفقدك التركيز. وقد يفقدك القدرة على التميُّز والإبداع في هذا التخصُّص جرَّاء قلَّة الوقت الذي تمارسُ فيه هذا التخصُّصَ المحبَّبَ عندك.

من الممكن اللجوء إلى هذا الحلّ إنْ كنتَ تحبُّ تخصُّصك الأوّل، ولو جزئيًا. أمّا إنْ كنتَ غير متمكّن منه؛ أو لا تشعر معه بالمتعة بتاتًا، فقد يكون الخيار الثاني هو الأمثلَ لك.

ستتركُ في الخيار الثاني تخصُّصك القديم تمامًا لتلتحقَ بعمل بديل لا علاقة له بتخصُّصك الأوّل، وبذلك لن تستفيد بتاتًا من شهاداتك وخبراتك فيه. وخُطّة الهروب إلى هذا الخيار هي الخُطّةُ الأصعب والأطول.

وكما ذكرت لك، فالحلُّ في هذه الحالة هو أن تدرسَ التخصُّصَ البديل، ثمّ تبدأ العمل به بدوام جزئيّ، وحينما تجدُ اللحظةَ المناسبة، يمكنك أن تستقيلَ من مهنتك الأولى، لتبدأ العمل بدوام كامل في تخصُّصك الثاني الذي تحبُّه.

هزَّ جواد رأسه علامةَ موافقتِه.

ثمّ تابع أ. جمال:

– ومن الأدوات التي تساعدك على تطبيق هذه الاستراتيجيّات هو كتاب "نموذج عملك الشخصيّ"[1]، حيث يتضمّنُ هذا الكتاب مخطَّطَ نموذج العمل الشخصيّ الذي يساعدك على دراسة وضعك الحاليّ من نواحٍ متعدّدة، كالقيمة التي تقدّمها إلى الآخرين، والعملاء الذين تخدمهم في وظيفتك، علاوة على قدراتك والمهارات التي تمتلكها، وهو بذلك يساعدك على التفكير في كيفيّة استخدامها بصورة مختلفة لتطوّرَ مهنتك الحاليّة باستخدام الاستراتيجيّة التي تريدها.

قال جواد متحمّسًا:

– هذا رائع جدًّا! لقد وضّحتَ لي الكثير، ومن الواضح في حالتي أنّي سأختار الخيار الثاني من الاستراتيجيّة الثالثة.

---

1) هذا الكتاب باللغة العربيّة من منشورات جبل عمّان ناشرون، وعنوانه بالإنكليزيّة هو "Business Model You" للاطّلاع عليه يُرجى زيارة الرابط التالي: https://goo.gl/a34GQh (الناشر).

ردّ عليه أ. جمال:

– دون شكّ، وقد توقّعتُ ذلك. إيّاك أن تبقى في العمل في تخصُّص تكرهه مهما كلّفك الأمر؛ فتكاليف التغيير أرخص دومًا من الألم والتعاسة اللذين ستشعر بهما إنْ عشتَ باقي حياتك في تخصُّص تكرهه.

وأخيرًا...

وهنا ملأ الخانة الأخيرة على الورق وقال:

١ اخترِ التخصُّص المناسب	٢ اخترِ استراتيجيّة تغيير التخصُّص	٣ ابنِ المعرفةَ والمهارةَ في التخصُّص البديل
فلتر اختيار التخصُّصات	١. التركيز ٢. الدمج ٣. التحوُّل	خُطّة الهروب: ١. خُطّةُ التعلُّم ٢. العمل الانتقاليّ

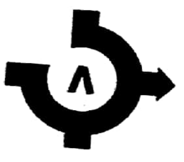
الخطوة الثالثة: ابنِ المعرفةَ والمهارةَ في التخصُّص البديل

عليك أن ترسم خُطّةَ التعلُّم وتحدّدَ الطرقَ التي ستتّبعها للحصول على المعرفة والمهارة في تخصُّصك الجديد. فما الشهادات التي عليك دراستها؟ وما الدورات التي لا بدَّ لك من حضورها؟ وما الكتب التي يجب قراءتها؟ وهل هناك طرقٌ أخرى للحصول على تلك المعرفة التي عليك أن تضعها في الحسبان؟

هذا هو جانب المعرفة، أمّا جانب المهارة، فعليك أن تعرفَ أين ستصقلُ مهارتك، وأين ستتدرَّبُ. هل ستعمل مثلًا في مكان ما بدوام جزئيٍّ لتبدأ في صَقْلِ موهبتِك والتدرُّب عليها؟ أم لديك طريقة أخرى لصقلها؟

تذكَّرْ يا جواد أنَّ من الخيارات المهمّة لتدريب مواهبك وصقلها هو التطوُّع في

مؤسَّسات خيريّة. ففي وُسعِكَ التطوّع لديها لتعملَ في الإدارة أو التخطيط أو غيرها من المهامّ الكثيرة. سيرحّبون بكَ دَومًا؛ فهم يرحّبون بالأشخاص المتحمّسين، الذين يحبّون تخصّصهم ويريدون التطوّع والمساعدة فيه، لا سيّما أنّك لن تتمكّنَ من العمل في الشركات الكبرى من البداية بسبب قلّة خبرتك، وعدم نضج مهارتك.



تابع أ. جمال:

- أن تغيّرَ تخصّصك في أثناء الدراسة يعني أن تكتفيَ باختيار جامعة بديلة لتكملَ فيها، وسيكون لديك الوقت لتتفرَّغَ للدراسة. أمّا إنْ قرّرتَ تغيير التخصّص بعد التخرّج، فسيكون لديك الكثير من الالتزامات عادة، ولن تتمكّنَ من تَركِ جميع التزاماتك لتتفرَّغَ للدراسة والتدريب. فأنت مثلًا، متزوّج ولديك الكثير من الالتزامات الماليّة، ولن تتمكّنَ من تَركِ عملك الحاليّ. وستعيش مرحلة انتقاليّة ما بين تخصّصكَ السابق وتخصّصك الجديد. لذا عليك أن ترسمَ خُطّةَ الهروب- الهروب من تخصّصك القديم إلى الجديد. ولأنّك عشتَ في مرحلةٍ كرهتَ فيها تخصّصَك الحاليّ، فإنّك تعرف تمامًا لماذا عليك «الهروب».

هزّ جواد رأسَه، وابتسم ليشيرَ إليه بأنّه فهم تمامًا مغزى هذه الكلمة.

ابتسم أ. جمال، ثمّ تابع:

- ستضطرُّ لأن تعيشَ هذه المرحلة وترسمَ خُطّةَ الهروب عندما تجد أنّه لا يمكنك الانتقال فورًا من تخصّصك القديم إلى الجديد؛ فأحد معارفي مثلًا تخرّجَ في كلّيّة الطبّ، ولم يكن يحبُّها، حيث كان يحبُّ مجال الإدارة أكثر. لذلك بدأ بعد تخرُّجه يبحث عن العمل في شركات التأمين الطبّيّ، ووجد فرصةَ عملٍ مناسبةً، والتحقَ بالعمل فيها. في هذه الحالة، قام هو بالخطوة الأولى- إذ حدّد تخصصه البديل-

والخطوة الثانية– أن اختار استراتيجيَّة الدمج بين المجال الطبِّيّ والإدارة– ثمّ بدأ يطبِّقُ خُطَّةَ التعلُّم، إذ التحقَ ببعض الدورات في الإدارة والتأمين، ثمّ التحقَ بالشركة، وتابع العمل والتدرُّب معهم. وبذلك لم يَعِشْ أيَّة مرحلةٍ انتقاليَّة.

لكنَّ ذلك لا يحدث دَومًا، عندها ستُضطرُّ لأنْ تبحثَ عن عمل انتقاليٍّ تعملُ فيه في أثناء تطبيق خُطَّةِ التعلُّم. وكي يؤدِّيَ هذا العمل دوره، لا بدَّ أن يمنحَكَ ثلاثة أمورٍ مهمَّة:

١. المال الكافي

يجب أن يوفِّر لك العمل المال الكافي لتعيشَ عيشةً كريمةً مع أسرتك، ويكفيك لتنفقَ منه على دراستك وتدريبك وكلِّ ما تحتاج إليه كي تتمكَّن من تخصُّصك البديل.

٢. الوقت الكافي

يجب أن يعطيَك العملُ الوقتَ الكافيَ الذي تحتاج إليه لتتعلَّم وتصقل موهبتك في تخصُّصك البديل. فعليك أن تبحث عن عمل بدوام ثماني ساعات على الأكثر. أمَّا الدوام الطويل؛ أو العمل الذي يتطلَّب وجودك الشخصيَّ ومتابعتك طَوال اليوم، فهو غير مناسب بتاتًا. كذلك لا يناسبك العمل الذي يتضمَّن دوامًا على فترتَين صباحيَّة ومسائيَّة؛ فرغم أنَّ مجموعَ ساعاتِه الكلِّيِّ سيكون ٨ ساعات، فإنَّه سيعطِّل يومك بأكمله. وسيكون من الصعب جدًّا أن تدرسَ في الوقت ما بين الدوامَين.

ولهذا السبب بالذات، ستواجه صعوبة عند تغيير تخصُّصك يا جواد؛ لأنَّ الأطبَّاء عادة ما يداومون على فترتَين. وعليك أن تغيِّر دوامَك إلى دوام واحد بأيَّة طريقة كانت، حتَّى وإنْ كان ذلك على حساب المال؛ فالوقت عنصر أساسيٌّ جدًّا في تغيير التخصُّص.

٣. السعةُ الذهنيَّة الكافية

كما تعلم، لدينا قدرات ذهنيَّة محدودة؛ فدماغنا لا يتمكَّن من التفكير العميق واتِّخاذ القرارات إلَّا لمدَّة محدودة في اليوم. وإذا كان عملك الأساسيُّ يتطلَّب

الكثير من التفكير والتركيز والدراسة، فلن تتمكَّنَ من التفكير والدراسة جيِّدًا في تخصُّصك الجديد. لذا عليك أن تبحثَ عن عمل لا يحتاج إلى الكثير من التفكير، مثل عمل تنطوي مهامُّه على الكثير من الروتين. أو ابحث عن عمل يمكنك تعلُّمه بسرعة ودخول مرحلة الروتين فيه بسرعة. وبذلك تعود إلى المنزل ولديك سعة ذهنيَّة كافية للتفكير والدراسة في التخصُّص الجديد.

تتألَّف خُطَّة الهروب إذًا من خُطَّة التعلُّم في التخصُّص البديل، ومن العمل الانتقاليِّ الذي ستعمله به في تلك الفترة والذي سيمكِّنك من تطبيق خُطَّة التعلُّم.

فقال له جواد:

– جميل جدًّا. لقد رتَّبتَ أفكاري بصورةٍ جيِّدة الآن. وصار لديَّ تصوُّرٌ كاملٌ عمَّا سأفعله. فأنا اجتزتُ الخطوتَين الأُولَيَين، وظلَّ عليَّ أن أرسمَ خُطَّةَ الهروب التي تتضمَّنُ خُطَّة الدراسة والتدريب في تخصُّصي البديل، علاوة على تحديد العمل البديل الذي سأعمل به، والذي سيمكِّنني من تطبيق خُطَّة التعلُّم.

وماذا بعد أن أطبِّق هذه الخطوات؟

ردَّ عليه أ. جمال:

– بعد أن تبدأ في التعلُّم وصقل موهبتك في التخصُّص البديل، ستتزايد معرفتك ومهارتك فيه بالتدريج، وبمجرَّد أن ترى أنَّك حصلتَ على مقدارٍ مناسبٍ من المعرفة، ابدأ العملَ الجزئيَّ أو التطوُّعيَّ في التخصُّص ذاته، لتصقل مهارتك أكثر. وإيَّاكَ أن تعتمد فقط على معرفتك النظريَّة.

سيفيدك العمل الجزئيُّ أيضًا عند كتابة سيرتك الذاتيَّة؛ فمن الصعب على شركة استشارات إداريَّة أن توظِّفَ طبيبَ أسنان. لكنْ إنْ كان لديك احتكاك عمليٌّ بشركات أخرى أو عمل تطوُّعيٌّ في مؤسَّسات خيريَّة أو حتَّى شركات، فستكون

لديكَ خبرة عمليّة لتتحدَّث بشأنها وتضعها في سيرتك الذاتيّة. تذكَّر أنَّ الشهادة مهمّة، لكنَّ الخبرة في العمل لا تقلُّ أهمّيّة عنها، وعليك أن تسعى إلى الحصول على كلتَيهما.

وبمرور الوقت، ستتشكَّل لديك قوّة كبيرة في التخصُّص الجديد، على الصعيدَين العلميّ والعمليّ. عندها عليك اختيار اللحظة المناسبة للاستقالة من تخصُّصك القديم تمامًا لتبدأ العمل في التخصُّص الجديد.

لكنْ إيّاكَ أن تتركَ العملَ وتستقيلَ قبل أن تجدَ فرصةَ عمل بديلة؛ فعملك الذي تكرهه، قد يكون طريقَك الأساسيّ والوحيد لتصل إلى العمل الذي تحبُّه. ولا تترك العاطفة تتحكَّم فيك وتجعلك تستقيل قبل جاهزيّتك التامّة، وإلّا فإنّك قد تُضطرُّ إلى العمل بأسعار زهيدة جدًّا لتحصلَ على أيِّ مبلغ تؤمِّن به معيشتك، وذلك سيقلِّل من قيمتك في سوق العمل، كما سيقلِّل من ثقتك بنفسك، ويترك للآخرين الفرصة كي يستغلُّوك.

هزَّ جواد رأسه بالموافقة على ما قاله أ. جمال، وكأنّه فهم أنَّ الرسالةَ موجَّهةٌ إليه بعدم تركِ عاطفته تتحكَّم في حياته فتقوده إلى الاستقالة من طبِّ الأسنان قبل تأمين البديل.

طرق أحَدُهم الباب، ثمَّ فتح الباب ودخل السكرتير الغرفة:

– عفوًا أستاذ جمال، ضيوف الموعد التالي في انتظارك بعد دقيقتَين.

نظر أ. جمال إلى ساعته:

– أوه، لقد مضى الوقت بسرعة.

حاول جواد تدارُكَ الوقت وقال بسرعة:

– لديَّ سؤال: لماذا لم تعطِني كتابًا ليحلَّ هذا التحدّي ويخبرني بكيفيّة رَسْمِ خُطّة

ثاني لفة يمين

إيّاكَ أن تتركَ العملَ وتستقيلَ قبل أن تجدَ فرصةَ عمل بديلة؛ فعملك الذي تكرهه، قد يكون طريقَك الأساسيَّ والوحيد لتصل إلى العمل الذي تحبُّه.

التحوُّل كما فعلتَ في التحدّيات السابقة؟ لماذا اخترتَ أن تشرحَ لي الطريقةَ هنا وجهًا لوجه؟

ضحك أ. جمال ثمَّ قال:

– في الحقيقة هناك سببان: الأوَّل أنَّ هناك عدَّة كتب تتحدَّثُ بشأن تَركِ المهنة، لكنِّي لم أجد كتابا يتناوَلُ آليَّةَ رَسْم خُطَّةِ تغيير المهنة بخطواتٍ مبسَّطة. أمَّا السبب الثاني والأهمُّ هو أنِّي أرى أنَّ لكلٍّ منَّا قصَّةً مختلفة، لذلك أحببتُ أن أُخرجَك من الكتب التي يؤلِّفُها الآخرون، وأجعلك تفكِّر بإمعانٍ في ذاتك، فتدرسها وتقيِّمها، ثمَّ تكتبَ الفصل الأخير من كتابك بنفسك.

ابتسم جواد وهو يهزُّ رأسه.

ثمَّ قال أ. جمال:

– بالمناسبة ألم يحن الوقت لتحوُّل اسمَ «جواد» الذي سمَّاك والدك به إلى فعل؟

تردَّد جواد قبل أن يتكلَّم، ثمَّ قال:

– امم...ماذا تقصد؟

ردَّ أ. جمال:

– لديك قدرة رائعة على تبسيط الأفكار وتوصيلها يا جواد؛ فأنت تفوقني كثيرًا في ذلك. وأظنُّ أنَّ من الجيِّد أن تنقلها وتشاركها مع الآخرين لتساعدهم في معاناتهم، وتُخرجَهم منها. ولهذا بالضبط سمَّاك والدك جواد: لتكون جوادًا كريمًا في مساعدة الآخرين، ونقل المعرفة إليهم.

احمرَّ وجهُ جواد عندما سمع هذه الكلمات.

ثمَّ أحسَّ بقُشَعْريرة سرورٍ في جسمه، وانتابه شعور غريب من الخجل والسعادة والإحساس بالذَّنب؛ إذ يبدو أنَّه فكَّرَ في معانٍ كثيرة لاسمه، لكنَّه لم يفكِّر بتاتًا في هذا المعنى رغم وضوحه!

ردَّ جواد:

– شكرًا جزيلًا لك! لقد أفدتني وأسعدتني كثيرًا. وشكرًا على مساعدتي من أوَّل الطريق، ومشاركتي قصَّتك وإعطائي ما أحتاج إليه للنَّجاح في تغيير تخصُّصي.

ردَّ أ. جمال:

– لا شكر على واجب، أتمنَّى أن أراك في المكان الذي تتمنَّاه يا عزيزي جواد. وأنا أيضًا فخور بالتعرُّف إلى شخص ذكيٍّ مثلك.

ثمَّ ودَّع كلٌّ منهما الآخر وافترقا.

غادر جواد المكان، وقبل أن يتركه نظرَ إلى المبنى، وقال:

– كم هي غريبة هذه الدنيا! لمسات أو دفعات بسيطة يبذلُها أشخاص، تكون نتيجتها تغيير حياة أشخاص آخرين بالكامل.

٩

بعد ستّة أشهر...

كانت زينة في غرفتها منهمكةً في دراسة التصميم ثلاثيّ الأبعاد على برنامج «مايا». ويُعدُّ هذا البرنامج من البرامج القويّة في التصميم ثلاثيّ الأبعاد، لكنّه صعب جدًّا، ويحتاج إلى كثير من التعلُّم لفهم واجهته وأدواته وكيفيّة استخدامه في التصميم والتلوين.

بدأت زينة تفكّر:

– لقد كان فصلًا منهكًا جدًّا، لكنّه كان ممتعًا أيضًا. فرغم كلّ التعب والتدريب في الفصل الماضي، فقد شعرتُ بالمتعة والسعادة في كلّ لحظةٍ منه، حتّى أنهيتُه بتفوّق دفعَ أهلي لتغيير رأيهم نحوي. والآن عليّ أن أحافظ على حماستي وعزيمتي لأستمرّ على المستوى ذاته.

دقّ باب غرفة زينة، ثمّ فُتح ودخلت والدتها وقالت بنبرةٍ منخفضةٍ أشبهَ بالهمس:

– زينة هل تعلمين مَن زارنا؟

استغربت زينة من سؤال والدتها ومن طريقتها، فردّت:

– لا، لكنّني أحسستُ بأنّ هناك حركةً غريبةً في المنزل، وليست لديّ فكرة عمّا يحدث.

قالت ضحى بالنبرة نفسها:

– إنّه ضيفٌ يهمُّك.

ردّت زينة:

– مَن؟ جواد؟

رفعت ضحى من نبرتها، وقالت:

– هل تمثّلين أنّكِ لا تعرفين؟ إنّه عامر!

قالت زينة:

– مَن عامر؟ آه...عامر المعيد في كلّيّة الإدارة؟

ردّت ضحى:

– أجل! تعرفين إذًا أنّه آتٍ، أليس كذلك؟

أجابت زينة:

– لا بالتأكيد! لكنّه "عامر" الوحيد الذي أعرفه. ماذا يريد عامر؟

تعجّبت ضحى ثمّ خفضَتْ من نبرة صوتها وقالت:

– ألا تعرفين ما القصّة؟ لقد جاء لخِطبَتِك.

صمتَتْ زينة للحظة، ولم تعرفْ ما تقوله. في الحقيقة توقّعتْ كلّ شيء، لكنّها لم تتوقّعْ أن يأتي عامر لخِطبَتِها. ثمّ بدأت تتذكّر ما حدث.

قالت في نفسها:

– آه...لهذا السبب جاء وطرحي عليّ عددًا من الأسئلة الغريبة قبل أشهر! لقد أراد أن يعرف أكثر عنّي. لكنّي وقتها كنتُ مشغولةً ولم أجبه كما يريد!

ثمّ سألتها ضحى:

– ما شعورُك تُجاهَ عامر؟

أجابتها زينة:

– لا أعرف حقيقة. لقد كان معيدًا جيّدًا، وكنت أسعد كثيرًا بمحاضراته. وقد خدمني خدمة كبيرة عندما عرّفني إلى عمّته الأستاذة رجاء في الأكاديميّة...

قاطعتها ضحى قائلةً:

– التي حدّثتني من أجلك؟

أجابت زينة:

– أجل!

وهو محترم جدًّا، وذو أخلاق حميدة.

طرق أنور باب غرفة زينة، ثمّ دخل مسرعًا وقال:

– أراكُما مجتمعتَين هنا. هل أخبرتِ زينة بأمرِ الضيف؟

قالت ضحى:

– أجل! وذكرت لي أنّه شابٌ جيّدٌ وخَلوق.

قال أنور:

– لقد لاحظتُ ذلك عليه، كما أنّه متعلّم ومن أسرة متعلّمة و...

أراد أنور أن يتابع أنّها تشبه أسرة تامر، لكنّه أحسّ أنّ من غير المناسب ذِكرُ ذلك، فتدارك نفسَه وتابع:

– هل تريدين أن يقابلَك لنبدأ البحث في الأمور الرسميّة ونسأل عنه وعن عائلته، أم أنّ لديك كلامًا آخر؟

ردّت زينة:

– في الحقيقة لا أعرف، لكنّي أخاف إنِ ارتبطتُ به من الآن أن تتأثّر دراستي. ولا سيّما أنّها تتطلّبُ الكثير من العمل.

قالت ضحى:

– إنْ أردتِ يمكنُنا أن نوافقَ على الخِطبة الآن، ثمّ تتزوّجين بعد انتهائك من الدراسة.

قاطعها أنور قائلًا:

– لا هذا غير ممكن. فأنا لا أحبّذُ الخِطبةَ الطويلة لأكثر من سنة.

قالت زينة بتردُّد:

– لا أعرف!

إنّه شابٌ جيّد، لكنّي لا أريد أن تتأثّر دراستي.

قال لها:

– فهمتُ عليك.

ثمّ غادر الغرفة ونزل غرفة الضيوف حيث يجلس عامر مع والده، ثمّ جلس وقال لهما:

– في الحقيقة، تحتاج زينة إلى سنة ونصف تقريبًا لتتخرّج في الأكاديميّة، وهي تخاف

أن تتأثَّر دراستُها إن ارتبطت في هذا الوقت المبكِّر. امم...لذلك يؤسفني القول إنَّ الوقتَ الحاليَّ غير مناسب.

أحسَّ عامر بالصدمة، فصمتَ برهةً، ثمَّ قال:

– في الحقيقة، تلقَّيتُ قبولًا لدراسة الدكتوراه في الإدارة في الخارج. وكنتُ أفكِّر في الزواج قبل السفر. لكنْ إنْ أحببتُم، من الممكن أن نُجرِيَ الخِطبةَ الآن، ونؤجِّل الزواجَ إلى حين عودتي من الدكتوراه.

سأله أنور:

– ومتى ستنهي الدكتوراه؟

ردَّ عامر:

– مدَّةُ الدراسة ٣ سنوات.

قال أنور:

– إنَّها فترةٌ طويلة يا عامر، وأنا لا أحبِّذُ بتاتًا الارتباط بِخطبةٍ طويلة.

ردَّ عامر:

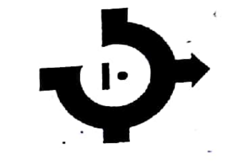
– كلامك صحيح، لكنْ قلَّما يجدُ المرءُ عائلةً مناسبةً كعائلتكم.

ردَّ أنور:

– أشكرك يا بُنَيّ، وأتمنَّى أن يجمعنا النصيب بعائلة كعائلتكم أيضًا. لكنَّ ثلاث سنوات هي فترةٌ طويلة جدًّا لا تسمحُ باتِّخاذ أيَّةِ خطوةِ ارتباطٍ من الآن. فلننتظرْ ونرَ ما ستحمله الأيَّام في جَعبتِها. والزواج كما تعلم قسمة ونصيب.

شرب عامر ووالده القهوة، وتحدَّث ثلاثتُهم قليلًا، ثمَّ ودَّعا أنور وغادرا المنزل.

حزن عامر حزنًا شديدًا؛ فزينة تجمعُ ما بين العقل والإبداع والشجاعة، وهي صفاتٌ نادرةٌ في مجتمع يغلب عليه تهميش دور الفتاة وقرارها وإبداعها، وتمنَّى أن تنتظره حتَّى يتخرَّج.



في الساعة الخامسة عصرًا...

غادر جواد عيادتَه بعد يوم طويل حافل. إنَّها الساعة الخامسة، وهي الوقت الجديد الذي يعلن بدء حرِّيَّته من الدوام في العيادة. حيث اتَّفق مع د. أشرف صاحب العيادة أن يبدأ بالعمل بدوام واحد طويل من الساعة التاسعة وحتَّى الخامسة. ولأنَّ وقت الظهيرة سيكون هادئًا ولا يزوره فيها الكثير من المرضى، فسيعمل مدَّة ساعتَين في وقت الظهيرة على إدارة العيادة ومراجعة خُطَطها ومحاولة تطويرها. واستكمالًا من جواد لخُطَّته، فقد بدأ يعمل في علاج حالات الترميمات والتركيبات في الأسنان، وبدأ يحوِّل جميع مرضاه الذين يريدون معالجات أخرى، كعلاج العصب إلى الدكتور بسَّام وغيره من الأطبَّاء الآخرين في العيادة.

وبذلك بدأ جواد يطبِّقُ استراتيجيَّة التركيز والدمج مؤقَّتًا، وهي ضمن خُطَّة الهروب التي أعدَّها، والتي ستوصله في النهاية إلى هدفه في تحقيق استراتيجيَّة التحوُّل، التي سيُغيِّر عندها تخصُّصه تغييرًا جذريًّا.

ركبَ سيَّارته الحمراء، وانطلق إلى المنزل وهو يفكِّر:

– لقد بدأتُ قبل ثلاثة أشهر أدرسُ عن بُعد ماجستير إدارة الأعمال في الجامعة.

كم أنتِ رائعة يا جامعة فينكس! فقد كانت أولى جامعات العالم في نَشْر طريقة

تدريس ماجستير إدارة الأعمال عن بعد دون سفر، وبصورةٍ فعَّالةٍ حقًّا. ولأنَّها جامعةٌ مُبدِعة فقد طوَّرت هذه الطريقة حتَّى لحقت بها معظم الجامعات، وصارت هذه الطريقة قويَّة ومعتمدةً حول العالم. لكنَّ جامعتي ليست فينكس، بل جامعةٌ أخرى تتناسب رسومها وطريقتها في التدريس مع وضعي الحاليّ.

شغَّل الراديو واختار قناةً تبثُّ الموسيقا، ثمَّ تابع التفكير:

– ما زلت أذكر أوَّل يوم بدأتُ فيه الدراسة؛ فمع أنِّي قرأتُ في الإدارة لعدَّة أشهر قبل الدراسة، فإنَّ ما حدث معي كان كارثيًّا. لم أكن أفهم أيَّ شيء من النقاش الدائر في موقع الجامعة التعليميّ. وأصابني ذلك بالإحباط، وجعلني أفكِّر جدِّيًّا في ترك الدراسة. شيء ما في داخلي كان يقول لي: "هذا ليس تخصُّصك...ستفشل...لقد تعرَّضَ مخُّك للصدأ، ولن يعودَ إلى العملَ كما تريد". لكنِّي قرَّرتُ بعد ذلك أنَّ هذا هو مصيري، وسأتابعه حتَّى آخره.

اضطُررتُ بعدَ ذلك إلى أخذ إجازة مدَّتُها أسبوعان لأدرسَ وأقرأ أكثرَ في كتب الجامعة والكتب الخارجيَّة، لأتمكَّن من استيعاب المادَّة بصورة أفضل، وكي أستطيعَ مجاراة زملائي. وهذا ما حدث بالفعل.

ثمَّ وصلَ إلى منزله.

دخل المنزل لتستقبلَه سحر:

– كيف كان يومك يا عزيزي؟

قبَّلها وقال لها:

– طويل جدًّا وممِلّ، لكنَّه أفضل بكثير ممَّا كان عليه من قبل؛ فكما ترَينَ صار الباقي من يومي أطوَل، وفي وُسعي عمل الكثير فيه.

تناول بعدَها طعامَ الغداء، ثمَّ نام القيلولة المعتادة مدَّة نصف ساعة. بعدَها استيقظ، وتحدَّث قليلًا مع سحر، وشاهد جزءًا من فيلم مدَّة ساعة. وبمجرَّد عودة قدراته الذهنيَّة إلى قوَّتها وامتلاء شحنها، أعدَّ فنجانَ القهوة ثمَّ ذهبَ إلى مكتبه، الذي علَّق على مقبَض بابه من الخارج ورقة مكتوب عليها «الرجاء عدم الإزعاج» (Don't Disturb) التي كان قد أخذها من فندق أقامَ فيه لحضور مؤتمر عن طرق التسويق لعيادات الأسنان.

ثمَّ بدأ يقرأ ويدرس ويبحث، ليعيشَ المتعة مع كتب تخصُّصه الجديد.

كان يشعر بالألم في كلِّ مرَّة يحوِّل فيها تفكيره من طبِّ الأسنان في الصباح إلى الإدارة في المساء. لذلك كان يحتاج دومًا إلى القيلولة بعد الدوام، ليُعيدَ تشغيل دماغه، أو كما يُقالُ بلُغة الكمبيوتر «Restart».

كثيرًا ما كان الناس يسألونه:

– متى ستستقيل من الأسنان وتبدأ عملك الذي تحبُّه في الاستشارات الإداريَّة؟

فكان يجيبُهم دومًا:

– عليَّ أن أُنمِّي عضلاتي في تخصُّصي الجديد، إلى أن تصيرَ قويَّة ويُعتمد عليها في العمل. وبمجرَّد أن تصيرَ كذلك سأستقيل لأبدأ العمل في التخصُّص الجديد؛ فترك التخصُّص القديم دون تقوية عضلاتٍ بديلة، سيكون كارثيًّا.

ثاني لفة يمين

عليَّ أن أنمِّي عضلاتي في تخصُّصي الجديد، إلى أن تصيرَ قويَّة ويُعتمد عليها في العمل. وبمجرَّد أن تصيرَ كذلك سأستقيل لأبدأ العمل في التخصُّص الجديد؛ فترك التخصُّص القديم دون تقوية عضلاتٍ بديلة، سيكون كارثيًّا.

الخاتمة

١

بعد ٤ سنوات...

يومُ الزفاف هو يومٌ تحلم به كلّ فتاة، لتلتقي فارسَ أحلامِها الذي كانت تنتظره، وحتمًا لم تكن زينة مختلفةً عنهنّ.

نظرت زينة إلى نفسها في المرآة وإلى الفستان الجميل الذي ترتديه، وقالت في نفسها: "يا إلهي كم أبدو جميلةً اليوم!" وتابعت النظر في المرآة متأمّلةً فستانها الورديّ.

هكذا كانت تراه في المرآة، رغم أنّ لونَه الحقيقيَّ كان مختلفًا؛ فقد كان ناصعَ البياض.

«الورديُّ» هو اللون الشائع لفساتين حفلات الخِطبة، وهو ما لبسته منذ زمن بعيدٍ مع خطيبها الأوّل تامر. وعادت فلبسَتْه قبل أقلّ من سنةٍ في خِطْبَتها على عامر، التي تمّت على نِطاقٍ ضيّق ودون احتفال كبير.

وقد حان الوقت لتلبسَ الفستانَ الأبيضَ الزاهيَ الذي يُعلن انتهاء عصر الخِطبة، وبداية عصر جديد من الحبّ الأبديّ.

كانت تحلم دَومًا بلَيلة الزفاف التي تحقّقت اليوم.

نظرت إلى صديقاتها اللواتي ملأنَ الغرفة، وسألتهنّ:

– كيف أبدو اليوم؟

فقُلنَ بصَوتٍ واحد:

– أنت اليوم فاتنة.

ابتسمت وهي تعلم مسبَقًا أنَّ هذه الإجابةَ هي التي ستسمعُها منهنَّ، حتّى لو بدَتْ قبيحةً؛ فهذا هو دور الأصدقاء: يقولون لك ما تودُّ سماعه، لا سيّما في مثل هذه مواقف.

دخلَتْ ريما الغرفةَ مُسرعةً وقالت:

– وصل عامر، ووصل معه خالُكِ جواد.

ركضَتْ إلى النافذة لتنظُرَ نحو الأسفل إلى ساحة المنزل، حيث هجمَ الرجال على عامر، ورفعوه وبدأوا يقذفونَه في الهواء. ثمَّ جاء فريقٌ من الشباب بلباسٍ شعبيٍّ في صفَّين، وراحوا يعزفون الأغاني الشعبيّة، ثمّ أخذوا يرقصون على وَقْع الطبول.

ثمّ أُنزِلَ عامر ليبدأ بالرقص مع باقي الضيوف، وانتظم الضيوف في دائرة كبيرة حيث شبكوا أيديهم وراحوا يدورون حول عامر وأبيه وأنور وخالد وجواد.

ستكون هذه هي أهمّ الأيّام لعامر، ولزوجته زينة أيضًا.

فُتحَ باب غرفة زينة ودخلت ضحى عليهنّ.

– زينة صغيرتي الجميلة.

قالت لزينة وهي تقبّلها، ثمّ تابعت:

– ها قد حان وقتك الآن، والجميع بانتظارك.

نزلت زينة وسط حشدٍ من صديقاتها وهنَّ يرقصنَ ويغنّينَ. واتّجهن إلى صالة الضيوف.

غادرت زينة وزوجُها عامر في السيّارة الرياضيّة الحمراء المزيّنة بالأزهار. ثمّ غادرَ الضيوف مهنّئين ومباركين لأهلِ العروسَين. دخل جواد المنزل ليسلّم على أخته ويهنّئها بزواج ابنتها، ويهدّئ من حزنها على فراق زينة. ثمّ فعل ذلك مع أنور وأبي عامر، وخرج من المنزل.

وهناك التقى زوجتَه سحر التي أخبرته أنّها ستعود بسيّارةِ أهلها. فودّعها ليلتقيا في المنزل.

راحَ عندها يفكّر في الطريقة التي سيعود بها إلى منزله؛ فزينة طلبت أن تأخذ سيّارته الحمراء وتزيّنها بالورود لتخرجَ بها يوم عرسها. ثمّ قال في نفسه:

– مجرّد نصف ساعة من المشي وسأكون في المنزل، لمَ لا أعود ماشيًا؟

خلع سترة البدلة وسدلها على إحدى يدَيه، ثمّ حلَّ ربطةَ عنقه وفكَّ أوّلَ زرَّين من قميصه، ثمّ راحَ يمشي باتّجاه منزله. والمشي عند جواد هو أحَدُ أهمّ الطرق لتحفّزه على التفكير والتخيُّل والإبداع.

– مرَّتْ خمس سنوات على حفل الخِطبة الماضي، كان اسم الخطيب تامر، ثمّ جاء البطل «أبو الحروف» وركل حرفَ التاء بعيدًا، واستبدل به حرف العين ليصيرَ عامر، الذي فاز بزينة اليوم.

كم هو فرق كبير بين حفلة اليوم وتلك الحفلة قبل خمس سنوات! والفرق الأكبر هو بين جواد اليوم وجواد قبل خمس سنوات، وزينة اليوم وزينة قبل خمس سنوات

فزينة التي كانت مكتئبة بسبب تخصُّص الإدارة الذي كانت تدرسه، انقلبت حياتها رأسًا على عقب بمجرَّد دخولها أكاديميَّة التصميم؛ فقد نجحت وتخرَّجتْ بتفوُّق ثمَّ بدأت قبل سنتَين بالعمل مع شركة مونتاج كبرى، لتصمِّم لهم التصاميم والرسوم ثنائيَّة الأبعاد التي صارت عشقَها وشغفها. وبسبب إبداعها وتميُّزها، فهي تتقاضى راتبًا عاليًا، وتؤدِّي معظَمَ العمل من منزلها؛ فالتمكُّن يرفع من قيمة الشخص، ويعطيه القوَّة ليتحكَّم في شروط اللعبة.

توقَّف جواد عند مركَز للتسوُّق واشترى منه قارورة ماء. رشف عدَّة رشفات من القارورة، ثمَّ تابعَ سَيره:

– أمَّا أنا، فقد كان التغيير الذي حصل لي أكثر جذريَّة، فقد غيَّرتُ كلَّ تخصُّصي بعد أن عملتُ فيه سنوات.

كانت البداية صعبة جدًّا، فقد تعثَّرتُ كثيرًا. لكن ما إنْ بدأت أفهمُ التخصُّص وما يحدث فيه، أخذتُ أُطلِقُ كامل طاقاتي التي كنتُ قد توقَّفتُ عن استخدامها منذ زمن بعيد.

ثمَّ بدأتُ أعملُ في مؤسَّساتٍ خيريَّة لأساعدهم على وَضْع خُطَطهم وتنظيم هياكلهم الإداريَّة. وبسبب معرفتي في اختيار التخصُّص المناسب، كنتُ أعطيهم دورات عن كيفيَّة إيجاد الوظيفة والمهامِّ المناسبة للموظَّف، ممَّا ساعد الكثير من الموظَّفين والمتطوِّعين في تلك المؤسَّسات من معرفة أنفسهم بصورةٍ أفضل، وساعدهم كذلك على تغيير وظائفهم في المؤسَّسة ليعملوا بما يتناسب مع قدراتهم ويحبُّوا عملهم أكثر. وكان ذلك كفيلًا بزيادة كفاءة تلك المؤسَّسات.

وقبل أشهر من تخرُّجي في الجامعة بدرجة الماجستير، بدأتُ أبحثُ عن عمل في الاستشارات الإداريَّة. كان من الصعب أن أجدَ شركة ترضى بتوظيفي، لا سيَّما عندما تعرف أنِّي طبيب أسنان. لكنَّ العلاقات التي بنيتُها مع المؤسَّسات الخيريَّة

ساعدتني على التسويق لقدراتي في الاستشارات الإداريَّة. لذلك لم أُمضِ وقتًا طويلًا في البحث قبل أن أجد الشركة المناسبة.

وافقتِ الشركةُ على توظيفي بدوام جزئيٍّ مدَّة ٣ أشهر في فترةٍ تجريبيَّة. وقد كانت الثلاثة أشهر كافية ليأتيني طلب توظيف رسميٌّ منهم.

لا أنسى تلك اللحظة قبل ستَّة أشهر عندما وقَّعت في الوقت نفسه عقدَ موافقتي على العمل مع الشركة، ووقَّعت طلب استقالتي من المركز. أو بالأصحّ، استقالتي من طبِّ الأسنان إلى الأبد.

في الأشهر الستَّة الماضية انقلبت حياتي رأسًا على عقب، وصرتُ أشعر بأنِّي استخدمت معظم قدراتي وإمكاناتي؛ فعقلي الذي ظننت أنِّي لن أستخدمَه كما ينبغي مرَّة أخرى، عاد إلى العمل وبطاقته كاملة. أحسستُ الآن بأنِّي أنافس في اللعبة التي أتقنُها، وليس في لعبة غريبة لا أمتلك أسرارَ الفوزِ فيها. وبدأت للمرَّة الأولى أشعر بالتدفُّق معظم ساعات العمل.

أحسَّ بأنَّه بدأ يضيعُ في الطرق الداخليَّة التي لم يتمكَّن من حفظها يومًا. فأخرج هاتفه ليرى الخريطةَ، اكتشف أنَّه اقترب جدًّا من منزله، فعليه أن يتجاوز الشارع الذي أمامه، ثمَّ ينعطف يمينًا في الشارع الثاني، فتابع السير.

– قبل سنوات كنتُ أظنُّ أنَّه لا يوجد حلٌّ لمشكلة كره التخصُّص، وكنتُ أظنُّ يائسًا أنَّ الطريقَ بعيد جدًّا. كنتُ أظنُّ أنَّ لدينا فرصةً واحدةً نحصلُ عليها عندما نُنهي المرحلة الثانويَّة لنختار التخصُّص، وعلينا أن نعيشَ باقيَ عمرنا مع خِيارنا هذا ونحتملَ مسؤوليَّته بغَضِّ النظر عن النتائج. لكنِّي كنتُ مخطئًا.

فأنا المسؤول عن اختياري لأيِّ تخصُّص لا يتناسب مع قدراتي...وأنا المسؤول عن استمراري بالعمل فيه...

أنا المسؤول إنْ عملتُ في تخصُّص لا يجلب إليَّ المتعة...وعشتُ في كآبة لا مفرَّ منها...

أنا المسؤول عن عدم استخدامي كامل قدراتي ونقاط تميُّزي...

ورغم أنَّ الحلَّ ليس سهلًا، فإنَّه ليس مستحيلًا أيضًا.

إنَّه موجود بالقرب منك، وليس بعيدًا بتاتًا عنك...

إنَّه موجود هناك- في ثاني لفَّة يمين.

الملاحق

خطواتُ الوصول إلى التخصُّص المناسب

تساعدك هذه الخطوات على اختيار التخصُّص المناسب، ومن ثَمّ رسمِ الخُطّة للوصول إليه بصورةٍ سَلِسة. سواء أردتَ اختيار تخصُّصك الأوّل أم تريد تغيير تخصُّصك الحاليّ لأنّه لا يُشعرك بالمتعة. الخطوات هي التالية، الشكل (١):

الخطوة الأولى: اختر التخصُّص المناسب

يجري ذلك باستخدام فلتر التخصُّصات الذي يساعد في تصفية المهامّ والمهن المختلفة حتّى تصل إلى المهنة المناسبة.

هذه هي الخطوة الأهمّ والأصعب، ولن تستفيد من متابعة باقي الخطوات إنْ لم تتمكّنْ من إيجاد التخصُّص البديل. وفلترُ التخصُّصات هو الأداة التي ستساعدك على إيجاد التخصُّص المناسب. وسيجري شرحُ هذا الفلتر لاحقًا في هذا الملحق.

الخطوة الثانية: اختر استراتيجيّة تغيير التخصُّص

عليك أن تختار استراتيجيّةَ تغيير التخصُّص المناسبة لك. وهناك ٣ استراتيجيّات لتغيير التخصُّص، وسيجري شرحها لاحقًا في هذا الملحق، الشكل (٢).

الخطوة الثالثة: ابنِ المعرفة والمهارة في التخصُّص البديل

عليك في هذه المرحلة أن ترسم خُطّة الهروب التي ستنقلك بالتدريج من تخصُّصك

الحاليّ إلى التخصُّص البديل. وتشتملُ هذه الخُطّة على خُطّة التعليم، والتي تتضمّن الآليّة التي ستتّبعُها للحصول على المعرفة والمهارة في تخصُّصك الجديد. وعليك أيضًا أن تجدَ عملًا انتقاليًا يمكّنُك من تنفيذ خُطّة التعلُّم.

الخطوة الأولى	الخطوة الثانية	الخطوة الثالثة
اختر التخصُّص المناسب	اختر استراتيجيّة تغيير التخصُّص	ابنِ المعرفة والمهارة في التخصُّص البديل
فلتر التخصُّصات:	١. التركيز البقاء في المهنة الحاليّة، مع زيادة العمل في المهامّ التي تتوافق مع نقاط القوّة، والتقليل من المهامّ التي لا تتوافق معها. ٢. الدمج الدمج ما بين التخصُّص القديم والجديد، وذلك بتغيير المهنة وحدها أو المجال وحده. ٣. التحوُّل تغير المجال والمهنة كلَيهما، والانتقال إلى مهنة مختلفة كليًّا.	خُطّة الهروب: ١. خُطّة التعلُّم وضعُ خُطّة الحصول على المعرفة وصقل المهارة في التخصُّص البديل. ٢. العمل الانتقاليّ اختيار العمل الانتقاليّ بين التخصُّصَين القديم والجديد، والذي يجب أن يوفّر المال والوقت والسعة الذهنيّة الكافية.

الشكل (١): خطواتُ الوصول إلى التخصُّص المناسب
متاح للتنزيل مجّانًا من صفحة الكتاب: (www.JAPublishers.com/2TR).

الخطوة الأولى: اختر التخصُّص المناسب

فلتر التخصُّصات

فلتر التخصُّصات هو الأداة المستخدمة لإيجاد التخصُّص الذي يناسبك. حيث يعملُ على تصفية المِهَن والمهامّ والقدرات المختلفة ليُعطيَكَ في النهاية المهن التي تتناسبُ معك، والتي عليك العمل فيها. وفي ما يلي شرحٌ لاستخدام هذه الأداة.

مخزن الأعمال			
ضع هنا المهن والتخصُّصات والمهامّ والمهارات والصفات الشخصيّة الموجودة لديك أو التي تحبُّها أو التي تعرفها			
مصفاة القدرة (نجاح- فطرة- نمو)			
★★★ متميّز	★★ عادي	★ سيّئ	؟ لا أعرف
أعمالٌ تتميّز بها	أعمالٌ قدراتك فيها متوسّطة	أعمالٌ لا تجيدُها	أعمالٌ لا تعرف قدرتك فيها
مصفاة المتعة (تحدٍ مناسب- اندماج الوعي- زيادة النضج- سرعة انقضاء الوقت- الحاجة إلى القيام بالعمل)			
☺ ممتعة (خانة التركيز)	☺ حياديّة	☹ كريهة	
أعمالٌ تتميّز بها وتستمتع عند القيام بها	أعمالٌ تتميّز بها ولا تمانع من القيام بها	أعمالٌ تتميّز بها وتكره القيام بها	

الشكل (٢): فلتر التخصُّصات متاح للتنزيل مجّانًا من صفحة الكتاب: (www.JAPublishers.com/2TR).

خصِّصْ دفترًا لاختيار التخصُّص واكتشاف الذات. بإمكانك كتابة التمارين على أوراق متفرّقة أو في دفتر واحد، كما تستطيعُ كذلك حلَّ التمارين بكتابتها إلكترونيًّا على الكمبيوتر أو الهاتف الذكيّ، لكنْ تحقّقْ بأنّ الطريقةَ سهلةٌ ومناسبةٌ لك، ومتناسبة مع نمط حياتك. يتضمَّنُ فلترُ التخصُّصات ثلاثةَ أجزاء موجودة في المخطَّط (Canvas) التالي. وسيجري شرحُ كلِّ جزء منها على حِدة.

١. مخزن الأعمال

هذا المخزن هو نقطة البداية في اكتشاف نفسك ومواهبك، حيث ستعملُ على تعبئة هذا المخزن ابتداءً من اليوم. سيوفِّر لكَ المخزن المادَّة الخام التي ستطبق عليها الاختبارات التالية، وتنطلق منها لاكتشاف ذاتك.

ابدأ بكتابة جميع الأعمال والمهامّ والوظائف والمواهب والطباع والمهارات التي تعرفها، سواءً كانت موجودة لديك أم كنت تحبُّها وتتمنَّى وُجودَها، أو حتَّى إنْ كنتَ قد سمعتَ بها بالاسم، ولا تعرفها جيّدًا بعدُ.

خصِّصْ عدَّةَ صفحاتٍ من دفترك لهذا المخزن، وعبِّئها باستمرار. عليك أن تعبِّئَها بما لا يقلُّ عن ٥٠ مدخلًا، ويفضل أن تصل إلى ١٠٠ مدخلٍ. إنْ أدخلتَ رقمًا أقلَّ من ذلك (١٠ مدخلات مثلًا) فهذا يعني أنّك لم تبذل جهدًا في التفكير، ولم تتعمَّقْ كفايةً في تفكيرك. ستجد أنَّ سَرْدَ أوّلِ ١٠ أفكار سيكون سهلًا نسبيًّا، لكنْ ستصيرُ المهمَّةُ أصعب كلَّما اقتربتَ من الرقم ٥٠.

ومن المفيدِ أن تعرفَ أنَّ هناك ثلاثةَ أنواع من المدخلات:

النوع الأوَّل: التخصُّصات

وهي أسماءُ مهنٍ أو تخصُّصاتٍ أو فروع أو حتَّى مَهامّ. جميع المدخلات من هذا النوع ستكونُ أسماء، مثل: الهندسة المدنيَّة، علم البيانات، الرياضيَّات، التجارة، الطبخ، الحساب، ترتيب الأشياء، الطبّ، طبّ العيون، علم اللغويَّات، الزراعة والرّيّ، التعليم.

فكِّر في المهن والمهام التي عملتَ فيها أو احتككْتَ بمَن يعمل فيها. فكِّر في المهن التي يعمل بها أصدقاؤك وأقرباؤك، أو في المهن التي تعجبُك وتظنُّ أنّها ممتعة.

النوع الثاني: المهارات

المهارات هي الأفعال التي نقوم بها في المهامّ المختلفة؛ فمُهمَّةُ أن تطبخ المأكوت تحتاج إلى "الطبخ". وعند الحديث مع الناس فما نقوم به هو "التواصل" و"الإصغاء". لذلك فالطبخ والتواصل والإصغاء جميعها مهارات نمارسُها. قد نكون متميّزين في تلك المهارات أو لا نكونُ كذلك. ومن الممكن تقسيم المهارات ثلاثة أنواع: المهارات المرتبطة بالأشياء، كالرسم والجري ولعب كرة القدم وقيادة السيّارة وتشغيل الأجهزة وغيرها؛ فجميع هذه المهارات مرتبطةٌ بالأشياء. النوع الثاني هو المهارات المرتبطة بالناس، كالتواصل والإقناع والعرض والتحدُّث أمام الجمهور والتدريب والإدارة وغيرها. أمّا النوع الثالث فهو المهارات المرتبطة بالأفكار والبيانات، كالتحليل والحساب والتفكير النقديّ والتفكير الإبداعيّ وحلّ المشكلات والتخيُّل وغيرها.

النوع الثالث: السمات الشخصيَّة (الأنماط)

وهي عبارةٌ عن سمات مَوجودةٍ في البشر. ورغم أنّها ليست مهارات، فإنّه يمكنُ استخدامها مع المهارات. ومن تلك الأنماط مثلًا الهدوء والإصرار والعمل تحت الضغوط ومساعدة الآخرين والتفرُّد والصبر والثبات والإبداع والإقدام والمنطق والتكيُّف والفكاهة وغيرها. وتأتي هذه السمات عادةً بكونها صفةً للمهارات. فمثلًا، التدريب وحلُّ المشكلات ولعب كرة القدمُ هي مهارات، أمّا الإبداع والتأنّي والفكاهة فهي سماتٌ شخصيَّة. وهكذا فإنَّ السمات تعمل على تخصيص المهارات كأنْ نقولَ إنَّ فلانًا يلعب الكرة بإبداع، أو يحلّ المشكلات بصبر وتأنٍّ، أو يدرِّب الآخرين بصورةٍ فكاهيَّة.

ليس من المهمّ بذلُ الجَهد للتمييز بين المهارات والصفات الشخصيَّة؛ لأنّها جميعًا ستخدم الهدف ذاته، وهو تحديد القدرات التي ستوصلك إلى التخصُّص المناسب.

للتمكُّن من إدراج مدخلات أكثر، يمكن الاستعانة بالنقاط التالية:

ابدأ بما تعرف

ابدأ بكتابة المهن والمهامّ التي سبق لك أن عملتَ فيها. أو التي تعرفها وترى غيرك يقوم بها. فكِّر في المهام التي أدّيتَها في وظائفك السابقة، فكِّر في أعمالك التطوّعيّة التي مارستَها. اكتب أسماء تلك المهن أو المهارات أو حتّى المهامّ التي أدّيتَها.

ابحث من حولك

لتحصل على أفكار أكثر تتمكّنُ من إدراجِها في المخزن، افتح حسابك على فيسبوك أو لينكدإن وغيرها من المواقع المشابهة، وانظر إلى وظائف أصدقائك، ثمَّ سجِّلِ الوظائفَ التي تعجبك منها، كما يمكنُك أن تُسجِّلَ المهارات التي تظنُّ أنَّها ممتعة، أو ترى أن مَن يتحدَّث بشأنها مستمتع بها. ابحث عن الأصدقاء الذين تحبُّهم وتُعجَب دومًا بما يقومون به، وسجِّلِ الوظائفَ والمهارات التي يقومون بها.

في وُسعِكَ أيضًا البحثُ في المجلات. ابحث عن صور لمهن أو وظائفَ تجدُها منشورةً هناك. قد تُعجبُك مثلًا صورة اللباس الطبِّيّ أو صورة مصفِّفة شعر، أو صورة طبّاخ. خُذْ هذه الصور التي شدَّتك، وألصِقْها على الدفتر أيضًا. في وُسعِكَ أيضًا أخذُ صُوَرٍ من الإنترنت ووضعها إلكترونيًّا في مذكّرتك. قد تعجبك مثلًا صورة أحدهم وهو يذيعُ نشرةَ الأخبار، أو يحاضر في الناس، أو يضحك مع الصغار وهو يدرِّبهم. خُذْ تلك الصور أو أسمائها، وضعها في مخزن الأعمال. سجِّلْ أيضًا الرياضات المختلفة، ككرة القدم ورياضة الجري مثلًا.

أشخاصٌ مؤثِّرون في حياتك

اكتبْ أسماءَ أشخاص تحبُّهم وتقتدي بهم. قد يكونون زملاءَك الناجحين، أو مشاهيرَ تحبُّهم وتقتدي بهم، سواءٌ كانوا أحياء أم أموات، وسواء عاصرتَهم أم عاشوا قبلَك بعقودٍ أو حتّى عصور. اكتب أسماءهم، واكتب بجانب أسمائهم سببَ حبِّك لهم إنْ أمكن. قد يكون السببُ هو تأثيرَهم في الناس، أو ذكاءهم، أو مهارتَهم المتميِّزةَ في شيء ما. اكتب

ذلك لعلّك تصلُ إلى المهارة التي تبحث عنها.

أحداث غيَّرت في حياتك

ما الأحداث التي مرَّتْ بك وغيَّرت في حياتك؟ قد تكون نقاط تحوُّل قد وقعَتْ لك عندما درَّبتَ شخصًا ما، أو نصحتَ آخر، أو عندما استمعت إلى خُطبةٍ في موضوع ما. ما تلك الأحداث؟ هل في وُسعِكَ تحديدُها ووضعُها في مخزنِ الأعمال؟

انسَ المالَ وفكِّر

فكِّر لو كان لديك مليون دولار في حسابك، وليس عليك أن تعمل في عمل تكرهه لباقي عمرك. ما الشيء الذي ستفعله؟

ما الشغف الذي ستتابعه؟

هل ستعمل في الرسم، أم في تأليف الكتب أو حتّى في الطبخ؟

إنْ فكَّرتَ بهذه الطريقة دون التفكير في المال والقيود الأخرى، فستتمكَّن من التفكير بصورةٍ مختلفة، والوصولِ إلى نتائجَ أفضل.

٢. <u>مصفاة القدرة</u>

تتألَّف مصفاة القدرة من أربع خانات:

متميِّز وعاديّ وسيِّئ ولا أعرف

الآن راجعِ المهن والأعمال التي وضعتها في مخزن الأعمال، وانظر إلى مدى إتقانك لها، ومدى تمكّنِكَ وتميُّزك فيها، ثمّ ضَعْها في الخانة المناسبة. إنْ لم تكن تعرف إنْ كنتَ متميِّزًا في أداء تلك المهمَّة، فَضَعْها في خانة "لا أعرف".

لقياس القدرة، يجب أن تتوافَرَ في المهمَّة ثلاث صفات:

١. النجاح: سبقَ أن حقّقتَ فيها نجاحًا كبيرًا، أو نِلتَ ثناءً عندما أدّيتَ تلك المهمّة. أو إذا امتدحَ مَن حولك أداءَك (مديح صادق).

٢. الفطرة: أي أنّك تؤدّي المهمّة تلقائيًا وفطريًا. حتّى دون أن يخبرَك أحَدٌ بها. كأن ترسُمَ وتلوّن منذ صغرك. أو أن تعملَ على تحليل المشكلات، أو أن تفكّر في حلّها حتّى دون أن يُطلَبَ منك ذلك. في حال ظهرَتِ الفطرة في وقتٍ متأخّر من العمر، فعليك أن تتحقّقَ جيّدًا ما إذا كانت فطرةً حقيقيّة أم لا.

٣. النموّ: أي أنّك تنمو ويتطوّرُ مستواك بسرعة بينما تمارسُ هذه المهمّة وتتدرّب على أدائها.

صنّفْ جميعَ محتويات المخزن ضمن إحدى الخانات الأربع.

راجع الخانات

راجع هذه الخانات، وتحقّق من الترتيب الذي وضعته.

هل أنت راضٍ عنها كما هي؟

انظر إلى الأعمال التي تتميّز بها:

هل أنت متميّز فيها فعلًا؟

انظر إلى عمود عاديّ وسيّئ:

كيف عرفْتَ أنّك سيّئ في هذه المهامّ؟

هل أنت على يقينٍ بأنّك سيّئٌ فعلًا في تلك المهامّ، أم أنّ المشكلة تكمنُ في أنّك لم تتلَقّ تدريبًا مناسبًا لتقوّيَ مهارتَك فيها؟

هل ستعطيها فرصة أخرى وتدريبًا آخر لتطوّرَ نفسك فيها؟

انظر إلى خانة "لا أعرف":

هل سبقَ أن جرّبتَ القيام بهذه الأعمال؟

ما الذي ستفعله لتختبرَ مَوهبتَك فيها؟

كيف يمكنُك أن تتدرّب على تلك المهارات لترى ما إذا كان في وُسعِكَ اكتسابها أم لا؟

سجّل ملاحظاتك اليوميّة

احملْ دفترًا معك، أو في مذكّرات هاتفك، وراقِبْ سلوكَك اليوميّ، وسجّلِ المهامَّ التي تقومُ بها، وما إذا كنتَ متميّزًا فيها أو غير ذلك.

مثلًا، إنْ طلبَ منك مديرك في العمل مهمّةً ما وكنتَ متميّزًا فيها، فأخرج الدفتر، وسجّل تلك المهمّة في خانة التميّز.

كرّرْ مع المهامّ الأخرى. سواءً كانت في المنزل أم في العمل أم في النزهات مع الأصدقاء أم عند التسوّق.

راقِبْ سلوكَك، والأمورَ التي تتميّز بها. وكذلك الأمورَ التي يخبرُك أصدقاؤك بأنك تؤدّيها بصورةٍ رائعة. أحيانًا يكون ذلك الفعل الرائع هو مجرّد الإنصات إليهم، أو مساعدتهم على تفريغ مشاعرهم السلبيّة. سجّلْ هذه القدرات في خانة "متميّز".

استكشف مجالات جديدة

ابحث عن أعمالٍ ومهاراتٍ ومهامَّ أخرى لم تجرّبْها من قبل.

فكيف ستعرف إنْ كنتَ تجيدُ الطبخ، إنْ لم تطبخْ من قبل؟

أو كيف ستعرف إنْ كنتَ تُجيدُ الكاراتيه، وأنت لم تلعَبْها من قبل؟

لذلك، ابحث عن مجالاتٍ جديدة، واستكشفها وجرّبها. ضَعْ خُطّةً لتجربة أنشطة ومهن

مختلفة واستكشافها بصورةٍ دوريّة. حاول أن تقرأ كتبًا من مجالاتٍ مختلفة، هل أحبَبْتَ تلك المجالات؟ هل شدَّك أحَدُ تلك الكتب؟ هل شعرتَ بالسعادة والنشوة بينما كنتَ تقرأها؟

بمجرَّد عثورك على مجالاتٍ جديدة، ضَعْها في مخزن الأعمال، أو مباشرةً في خانة "لا أعرف" لتختبرَها لاحقًا.

اختبارات القدرات

إن أردتَ إضافاتٍ أخرى إلى الفلتر، فيمكنك إجراء اختبارات القدرات. تفيدُ هذه الاختبارات في إعطائك توجيهاتٍ عن نقاط قوّتك وقدراتك؛ فهي تعمل على تحليل سماتك وقدراتك بالإجابة عن مجموعةٍ من الأسئلة، لتصلَ في النهاية إلى القدرات الأبرز الموجودة لديك. ميزة هذه الاختبارات أنّها تكتشفُ بعضَ القدرات الموجودة لديك، والتي لم تكن تعرف عنها من قبل. وعادةً ما تُعرَفُ هذه الاختبارات بِاسْم "Psychometric Assessment".

من الاختبارات المتداولة مثلًا:

Holland Code (للميول المهنيّة)

Myers-Briggs Type Indicator or MBTI (للسمات الشخصيّة)

Five Factor Model (للسمات الشخصيّة)

Clifton StrengthsFinder 2.0 (للمواهب)

DISC (للتقييم السلوكيّ)

تعطيكَ جميعُ هذه الاختبارات معرفةً أعمَق عن شخصيّتك. وبرغم أنّها مبنيّةٌ على أسس علميّة، إلّا أنّها تتضمَّنُ حتمًا نسبةً من الخطأ. لذلك إيّاكَ أن تصدِّقَها ١٠٠٪. وللحصول على دقّة أكبر، حاول أن تجيبَ عن الأسئلة بصراحة؛ فمن أكثر الأخطاء شيوعًا في هذه الاختبارات هو إجابتك عن الأسئلة كما تتمنّى من نفسك أن تكون، وليس كما أنتَ عليه بالفعل. لذا أجِبْ دومًا عن تلك الأسئلة وَفقًا لما أنتَ عليه الآن.

من المواقع العربيّة المجّانيّة لاختبار الميول المهنيّة وتوفير روابط ومعلومات عنها، فضلًا عن اقتراح دورات تدريبيّة فيها عبر الإنترنت، نذكرُ مثلًا:

http://www.smartable.me

من المواقع العربية لاختبار الميول المهنيّة، موقع:

http://iktshaf.com

من المواقع المجّانيّة لإجراء اختبار السمات والأنماط الشخصيّة (متاحٌ باللغة العربيّة):

https://www16personalities.com/ar

من المواقع الأجنبيّة المجّانيّة لاختبار الميول المهنيّة:

http://www.mynextmove.org/explore/ip

ومن المواقع الأجنبيّة غير المجّانيّة لاختبار الميول المهنيّة:

http://www.self-directed-search.com
http://www.careerkey.org

من مواقع إجراء اختبار السمات الشخصيّة بطريقة العوامل الخمسة:

http://www.personal.psu.edu/~j5j/IPIP/ipipneo120.htm

إنْ أجرَيتَ أحدَ هذه الاختبارات، فضَعْ نتائجه في خانة "متميّز" مباشرة؛ لأنَّ هذه القدرات موجودة لديك فطريًّا (نظرًا إلى أنَّ نتائجَ الاختبارات غير دقيقة ١٠٠٪، فإنّك ستضعه في خانة "متميّز"، ثمَّ ستعملُ على تصفيته بمصفاة المتعة كما سيأتي).

٣. مصفاة المتعة

تتألّف مصفاة المتعة من ثلاث خانات:

ممتعة وحياديّة وكريهة

إنَّ المهامَّ الموجودة في خانة "عاديّ" و"سيّئ" و"لا أعرف"، لن تنتقلَ إلى مصفاة المتعة.

أمَّا المهامُّ في خانة "متميِّز" فسوف نأخذها ونختبر ما إذا كانت ممتعةً أم لا كي ننقلَها إلى الخانة المناسبة في فلتر المتعة. صفات المهامِّ الممتعة هي:

١. يتضمَّن العمل تحدِّيًا ويحتاج إلى مهارة تمتلكها (أي أنَّها ليست سهلة، لكنَّ في وُسعكَ تجاوز صعوبتها؛ لأنَّك تمتلك المهارةَ اللازمة).

٢. اندماج الوعي بصورةٍ كاملة مع العمل (أي أنَّها تجعلك تفقدُ شعورك بما يحدث من حولك، وتعيش بكامل وعيك معها).

٣. زيادة نضج الشخص (أي أنَّك تصير أكثر نضجًا ونموًّا وأكثر شعورًا بالطاقة بعد الانتهاء من المهمَّة).

٤. سرعة انقضاء الوقت (أي أنَّ الوقت يمضي سريعًا بينما تُنجزُ تلك المهمَّة).

٥. الحاجة إلى القيام بالعمل مرارًا (أي أنَّك تنتظر بفارغ الصبر لتُنجزَ العمل مرَّةً أخرى).

عندما تتحقَّق لديك معظم تلك الصفات الخمسة (٤ فأكثر)، ضع المهمَّة في خانة "ممتعة". في حال توافرت صفتَين أو ثلاثًا، فضَعْها في خانة "حياديَّة". أمَّا عند عدم توافُر صفة واحدة أو أقل، فضعها في خانة "كريهة".

أعِدْ مراجَعةَ مصفاة القدرة ومصفاة المتعة.

بعد أن انتهيتَ من تعبئة فلتر التخصُّصات، اطرَحْ على نفسك الأسئلة التالية:

هل وجدتَ أعمالًا لا تُجيدُها (في خانة سيِّئ)، لكنَّك تحبُّها وتراها ممتعة؟

هل تدرَّبتَ جيِّدًا على تلك الأعمال، ومع ذلك ظلَّتْ مهارتُك سيِّئةً فيها؟

هل تريد أن تُعطيَ تلك الأعمال فرصةً أخرى من التدريب، أم تعتقد أنَّك استنفدتَ فرصَ التطوير فيها؟

هل لديك شغفٌ في أعمال معيَّنة، لكنَّك لا تتملك قدرةً جيِّدةً فيها؟ هل تدرَّبتَ عليها

جيِّدا ولم تتقنها مع ذلك؟ كيف يمكنك أن تستخدمَ نقاط تميُّزك لتقوم بالأعمال التي لديك شغف فيها لكنْ بصورةٍ مختلفة؟

راجع الأعمال الحياديَّة والكريهة في مصفاة المتعة. هل أنت على يقينٍ بأنَّها غير ممتعة؟

هل هي مهمَّة حقًّا في عملك وترى نفسك مضطرًا إلى القيام بها؟

ماذا ستفعل لتقلِّل من أداء تلك المهامِّ أو المهارات، وتستبدل بها مهامَّ أكثر متعة لك؟

في حال وجود المتعة، وعدم وجود القدرة، عليك إبقاء هذه المهامِّ بوصفها هوايات تمارسها في وقت فراغك تجلبُ إليك المتعة، دون أن تعملَ فيها بوصفها وظيفة؛ فالقدرة هي الأساس الذي سيجري توظيفك على أساسه.

خانة التركيز (متميِّز + ممتع)

الآن انظر إلى خانة "ممتعة". تتضمَّن هذه الخانة جميع المهن والمهامَّ والمهارات الموجودة لديك، والتي تتوافرُ فيها القدرة والمتعة. هذه هي المهن التي عليك العمل فيها وبناء مستقبلك المهنيّ عليها.

بإمكانك العمل في المهن والتخصُّصات الموجودة في هذه الخانة.

أمَّا المهامُّ والمهارات والصفات الأخرى الموجودة فيها، فستستخدمها للبحث عن مهن إضافيَّة.

ابحث عن مهنٍ إضافيَّة

لا تكتفِ بالمهن الموجودة في خانة التركيز، وابحث عن مهن أخرى تتوافر فيها المهارات والمهامُّ الموجودة في خانة التركيز، ثم خذْ هذه المهن وأضفها إلى خانة "متميِّز"، وتحقَّق ما إذا كانَتْ ممتعةً لك أم لا (بالقراءة عنها، وسؤال أصحاب هذه المهن أو حتَّى تجربتها إنْ أمكن). وإنْ وجدتَ أنَّها ممتعة، فأضِفْها إلى خانة التركيز.

هناك الكثير من المواقع الإلكترونيَّة التي تضعُ وصفًا للمهن المختلفة، وتذكر لك المهارات

التي ستحتاج إليها فيها. وبعضها يصفُ أيضًا طبيعةَ المهامّ التي ستؤدّيها في تلك المهن. من أفضل هذه المواقع موقع:

http://www.onetonline.org

وهو موقعٌ رسميٌّ مجّانيٌّ متاحٌ باللغة الإنكليزيّة، وهو يضمُّ قاعدةَ بياناتٍ ضخمةً عن المهن وصفاتها والقدرات التي تحتاج إليها فيها.

في وُسعكَ في هذا الموقع البحث عن المهن بطرقٍ مختلفة، منها أن تضعَ المهاراتِ الموجودة لديك، ثمّ تظهرُ لك المهن التي تتناسب مع هذه المهارات. فمثلًا قد تجد أنّ لديك قدرةً متميّزةً في الرسم والتخيُّل والفكاهة. وعند البحث عن مهنة تحتاج إلى هذه القدرات، قد تجد مهنة رسام الكاريكاتور، أو مصمّم للرسوم الكرتونيّة مثلًا.

من المواقع الأخرى، موقعان يحتويان على الكثير من المعلومات، كأسماء الشهادات والمهن المختلفة التي بإمكانك العمل بها بعد حصولك على الشهادة. فضلًا عن معلومات عن المهنة والمهامّ التي تتضمَّنُها.

http://subol.sa
https://www.prospects.ac.uk

تذكَّر أنّكَ إنْ عملتَ في مهنةٍ تتوافر لديك القدرة فيها دون أن تستمتع، فسوف تجد العمل المناسب؛ ومن الممكن أن يكونَ راتبُه عاليًا أيضًا، لكنّك لن تحصلَ على المتعة في العمل، وستبدأ بمرور الوقت تصرف راتبك العالي في الترفيه في محاولة بائسة منك للحصول على المتعة.

وأمّا إنْ عملت في مهنة ممتعة لكنّك لستَ متمكّنًا منها، فسوف تستمتع في عملك، لكنّك ستُصابُ بالإحباط بسبب أدائك المتواضع، وعدم قدرتك على مجاراة زملائك في العمل.

ابحثْ وفتّشْ أكثر، وستتمكّن في النهاية- بإذن الله- من العثور على المهنة المناسبة التي ستؤمّن لك المزيجَ المثاليَّ من القدرة والمتعة.



إنْ لم تكن لديك نقاطُ تميُّز كثيرة، فعليك أن تعود إلى المربَّع الأوَّل، وتملأ المخزن بأعمال أكثر. قد تستغرق العمليَّة أشهرًا لتتمكَّنَ من معرفة نفسك أكثر، وهذا أمرٌ طبيعيّ. وأن تستغرق وقتًا لتعرف نفسَك جيِّدًا هو أمرٌ أفضلُ من أن تختارَ التخصُّص دون دراسة كافية؛ فالقرارُ الخاطئُ سيكلِّفك الكثير لتتمكَّن من تغييره.

بعد أن تصيرَ لديك عدَّة خِياراتٍ للمهن في "خانة التركيز"، عليك أن تنتقلَ إلى مرحلة المفاضَلة ما بين الخِيارات لتختارَ المهنة الأمثل بينها.

مرحلةُ المفاضَلة ما بين الخِيارات

بعد أن تنتهي من التمرين وتحصل على مجموعة من التخصُّصات المناسبة لك في «خانة التركيز»، قم بالمفاضلة بين التخصُّصات المختلفة باستخدام المعايير الثانويَّة وذلك لتختار التخصُّص الأفضل لك. من أهم معايير المفاضلة الثانويَّة ما يلي:

١. **الفرصة:** فقد يرى بعض الناس أنَّ من المهمّ أن يتخرَّجوا ويجدوا فرصَ عملٍ شاغرةً مناسبةً له. بهذه الطريقة يختار التخصُّص الذي فيه فرص عمل أكثر في السوق. من الممكن أيضًا أخذُ متوسِّط رواتب المهن في الحسبان عند تقدير الفرصة. ومن الممكن أيضًا فصلها ووضعها بوصفها معيارًا مستقلًّا، وذلك بحسب أهمِّيَّة هذا المعيار لك.

٢. **الرسالة أو الشغف:** فبعضنا لديه رسالة أو شغف في الحياة، وبناء على ذلك، نختار التخصُّص الأقرب إلى رسالتنا. فإنْ كانت الرسالة هي تقليلَ تلوُّث البيئة مثلًا، فعلينا أن ننظرَ في تلك المهن التي اخترناها لنرى ما يتوافق أكثر مع تلك الرسالة.

٣. **تكاليف المال:** فدراسةُ بعضِ التخصُّصات مكلفةٌ جدًّا. ويكون على الشخص أن يجدَ طريقةً للحصول على المال. وعليك عندها التفكير إمَّا في طريقة للحصول على المال للدراسة، وإمَّا أن تبحث عن مهنة أقلّ تكلفة.

٤. **تكاليف الوقت:** حيث تحتاج بعض التخصُّصات إلى مدَّةِ دراسةٍ طويلةٍ أو مدَّة عمل طويلة للتدرُّب عليها واكتساب المهارة فيها. وفي حال لم يكن لديك الوقت الكافي لذلك، فستكون مدَّة الدراسة مهمَّةً جدًّا لك. والوقتُ عنصر حاسمٌ؛ لا سيَّما لمن يريد دراسة تخصُّص جديد في أثناء عمله.

٥. **تكاليف الجهد:** تحتاج بعض التخصُّصات إلى بذل جَهد في تعلُّمها ودراستها أكثر من غيرها، كصعوبة الدراسة، أو وجود موادَّ عمليَّة وتجارب مخبريَّة يجب حضورها. هذا المعيار غير مهمٌّ للطلبة الجامعيِّين عادة، لكنَّه حاسمٌ عندما تكون موظَّفًا وتريد دراسة تخصُّص جديد، حيث ستكون لديك التزامات في عملك تجعلك غير قادر على بذل جَهد كبير يتناسب مع التخصُّص. عليك في تلك الحالة أن تبحث عن التخصُّص الأسهل الذي يحتاج إلى جَهد يتناسب مع المقدار الموجود لديك.

اختَرْ في البداية المعايير الأهمَّ عندك من بين المعايير المذكورة آنفًا. وتستطيع بالتأكيد إضافة معايير أخرى تراها مناسبة (مثلًا، في وُسعك إضافة معيار الحاجة إلى السفر للدراسة ليكونَ معيارًا إضافيًّا). وفي حال كانت التخصُّصات في خانة التركيز متفاوتة من حيث توافقها مع القدرة أو المتعة، فيمكن أيضًا إضافتُهما إلى المعايير.

بعد ذلك خُذْ كلَّ تخصُّص من التخصُّصات في خانة التركيز، وقيِّم مدى ملاءمته بدرجة من ١ (غير ملائم بتاتًا) إلى ٥ (ملائم جدًّا). وستكونُ للتخصُّص الذي يحصل على أعلى نتيجة الأولويَّة القصوى. إنْ كان هناك معيار مهمٌّ جدًّا لك، فإنَّ في وُسعكَ جَعْلَ درجته الكلِّيَّة من ١٠ بدلَ ٥، وبهذا يكون له ثقل أكبر.

مثلًا، إنِ افترضنا أنَّ شخصًا وجد أنَّ أهمَّ المعايير عنده هو الرسالة وتكلفة المال وتكلفة الوقت والمتعة (وُضِعَ معيار المتعة لأنَّه رأى أنَّ المتعة موجودة لكنْ بدرجات متفاوتة بين التخصُّصات المختلفة). كما وجد هذا الشخص أنَّ لتكلفة المال أهمِّيَّة أكبر نظرًا إلى عدم وجود دخلٍ كافٍ لديه. عندها يكون جدول التفضيل كما في الشكل (٣):

	الرسالة (٥)	تكلفة المال (١-)	تكلفة الوقت (٥)	المتعة (٥)	المجموع (٢٥)
التخصُّص أ	٥	٧	٣	٤	١٩
التخصُّص ب	٢	١٠	٤	٤	٢٠
التخصُّص ج	٢	٥	٢	٥	١٤

الشكل (٣): جدول التفضيل بين الخيارات متاح للتنزيل مجانًا من صفحة الكتاب: (www.JAPublishers.com/2TR).

ومن الممكن اتِّباع طريقة أخرى بدلَ إعطاء الدرجات والجدول. وهي بأن نحدِّدَ أفضل تخصُّص في كلِّ معيار من المعايير المختارة.

مثلًا، التخصُّص الأفضل في الرسالة هو التخصُّص (أ)، والتخصُّص الأفضل من حيث التكاليف الماليَّة هو التخصُّص (ب)، والتخصُّص الأفضل في تكاليف الوقت هو التخصُّص (ج)، والتخصُّص الأفضل في المتعة هو التخصُّص(ج). ثمَّ تفكِّر في اختيار التخصُّص الأفضل في أهمِّ معيار لك، أو التخصُّص الأفضل في تلبيته لأكثر من معيار في الوقت نفسه.

وعليك أن تتذكَّر أنَّ معظمَ ما ذُكِرَ عن المعايير يدخل في الجانب المنطقيِّ من اتِّخاذ القرار، لذا عليك في المرحلة الأخيرة أن تنظر في عاطفتك.

هل أنت مطمئنٌّ للنتيجة؟

لو اخترت التخصُّص صاحب الأولوية القصوى، فما الذي ستشعر به بعد ١٠ دقائق من اختيار التخصُّص (ودخول الجامعة أو بدء العمل فيه)؟ وما الذي ستَشعرُ به بعد ١٠ أشهر؟ أو بعد ١٠ سنوات؟ فقد تشعر بالسعادة إنْ دخلتَ تخصُّصا طبِّيًّا بسبب المستوى الاجتماعيِّ له، لكنَّك إنْ فكَّرت في ما ستشعر به بعد ١٠ سنوات، فقد تجد أنَّك ستعمل في مهنة تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتعب، وفي أنَّ ذلك غير متناسب معك.

هل هناك شيء ما يدفعك لاختيار تخصُّص آخر رغم أنَّه منخفض في معايير التفضيل. لماذا؟

بعد أن تختارَ المهنة، توكَّل على الله وامضِ قُدُمًا. وإن كان لديك شكٌّ في التخصُّص الذي اخترته، حاول أن تواجهَ شكَّكَ بأن تذهب وتسأل وتستوضح أكثر.

الخطوة الثانية: اختَرِ استراتيجيَّة تغيير التخصُّص

إنْ أردتَ تغيير مهنتك، فلا يكفي فقط أن تعرفَ التخصُّص المناسب لك، بل عليك أن تعرفَ أفضلَ استراتيجيَّةٍ لتنتقل من تخصُّصك إلى العمل في التخصُّص الجديد.

هناك ثلاث استراتيجيَّات لتغيير التخصُّص، وهي مرتَّبة من الأسهل إلى الأصعب. ولكي تنجح في تغيير تخصُّصك حاول أن تختار الاستراتيجيَّات الأسهل ما أمكن. وهي كما يلي: (في حال كنتَ في المرحلة الثانويَّة وتريد اختيار تخصُّصك الأوَّل، فعليك تجاوز هذه الخطوة).

الاستراتيجيَّة الأولى: التركيز

بأن تبقى في مهنتك الحاليَّة، مع زيادة العمل في المهامِّ التي تتوافق مع نقاط قوَّتك، والتقليل من المهامِّ التي لا تتوافق معها. وهذا هو أسهل أنواع تغيير التخصُّص؛ لأنَّك تغيِّر فيه طبيعة المهامِّ المنفَّذةِ فقط دون القيام بتغيُّرات جذريَّة في مهنتك. إن اخترت هذه الاستراتيجيَّة، فعليك أن تزيدَ من استخدام المهامِّ والقدرات الموجودة في «خانة التركيز»، وتقلِّل من القيام بأيِّ شيء موجود في الخانات الأخرى.

الاستراتيجيَّة الثانية: الدمج

وفيها تحاولُ أن تدمجَ ما بين تخصُّصك القديم والجديد، بحيث تستفيد من شهاداتك وخبراتك القديمة في تخصُّصك الجديد. من أمثلة هذا الدمج بأن تغيِّر مهنتك مع البقاء في المجال نفسه، أو تغيِّر المجال مع البقاء في المهنة نفسها، وبذلك سيكون تغيير تخصُّصك جزئيًّا دون الحاجة لأن تبدأ في التخصُّص الجديد من الصفر؛ حيث إنَّك ستستخدم خبراتك وشهاداتك السابقة في التخصُّص الجديد.

من الأمثلة على ذلك التحوُّل من مهنة البيع في مجال السيّارات إلى البيع في مجال الإلكترونيّات؛ إذ إنّ التغيير هنا هو في المجال مع البقاء في المهنة نفسها (مهنة البيع). ومن الأمثلة التحوُّل من مهنة الطبّ إلى مهنة إدارة المشافي، أو التسويق للمشافي، أو مسؤول مبيعات أجهزة طبّيّة، أو مدرّس في الجامعة. فجميع هذه التغيُّرات هي تغيُّرات في المهنة مع البقاء في المجال الطبّيّ نفسه. وبذلك سيستفيد الطبيب من خلفيّته الطبّيّة عند إجراء هذا التغيير جرّاء بقائه في المجال الطبّيّ نفسه.

الاستراتيجيّة الثالثة: التحوُّل

وفيها تغيُّر مجالك ومهنتك كلَيهما. وهذا هو أصعب أنواع تغيير التخصُّص، وأكثرها استنزافًا للوقت والجَهد. ففيه ستبدأ من الصفر تقريبًا في التخصُّص الجديد.

في استراتيجيّة التحوُّل تكون جميع الحلول الوسطيّة غير مناسبة لك؛ فمهنتك الحاليّة كريهة وتفوقُ قدرتك على تحمُّلها- لا مجالها ولا بوصفها مهنة. وهنا يكون تخصُّصك البديل مختلفًا تمامًا عن تخصُّصك الأول، وهنا لديك خيارَين.

الأوّل: أن تعمل في المهنتين في الوقت نفسه

هذا الخِيارُ محبَّذٌ أكثر؛ لأنّه لن يجعلك تهدم مهنتك الأولى، لكنّه سيجعلك تعمل فيها جنبًا إلى جنب مع الثانية. فهناك الكثير من الأطبّاء الذين يكتبون في الفكر والتاريخ. فهم يعملون في المهنة الأولى لجزء معيَّن من حياتهم اليوميّة (أو الأسبوعيّة)، ثمّ ينتقلون إلى العمل في المهنة الثانية في ما تبقّى من الوقت. كما قد يعمل البعض في الصباح في تخصُّص معيَّن لا يحبُّونه ثمّ يعملون في المساء في العمل في مشاريعهم الخاصّة التي يحبُّونها، أو يتطوَّعون في عمل خيريّ يروقُهم. وبذلك تكون لدى مثل هؤلاء الأشخاص وظيفةٌ صباحيّةٌ يتكسَّبون منها المال، وهواية في التخصُّص الذي يحبُّونه ليمارسوها في أوقات فراغهم.

لكنّ هذا الخِيار سيستنزفك ويُفقدك التركيز، وبذلك قد يفقدك القدرة على التميُّز والإبداع في هذا التخصُّص بسبب قلّة الوقت الذي تمارس فيه تخصُّصك.

الثاني: أن تتركَ المهنة الأولى تمامًا وتعمل في المهنة الجديدة

هذا هو الأصعب بيْن جميع الخِيارات السابقة، وقد تضطرُّ فيه إلى العمل لمرحلةٍ انتقاليّة ما بين التخصُّصين (القديم والجديد) مدّة من الزمن إلى أن تصل إلى اللحظة المناسبة التي تكون قد بنيتَ قوّةً كافية في المهارة والمعرفة في تخصُّصك الجديد تمكّنك من العمل فيه بدوام كامل.

ومن الأدوات التي تساعدك على تطبيق هذه الاستراتيجيّات، كتاب "نموذج عملك الشخصيّ"[1]، حيث يتضمَّنُ هذا الكتاب مخطَّط نموذج العمل الشخصيّ الذي يساعدك على دراسة وضعك الحاليّ من نواحٍ متعدِّدة، كالقيمة التي تقدِّمها إلى الآخرين، والعملاء الذين تخدمهم في وظيفتك، فضلًا عن قدراتك والمهارات التي تمتلكها، كما أنّه يساعدك على التفكير في كيفيّة استخدامها بصورةٍ مختلفة لتطوير مهنتك الحاليّة باستخدام الاستراتيجيّة التي تريدها.

في حال قرّرت تغيير تخصُّصك في أثناء دراستك الجامعيّة، فأنت أمام خِيارَين: الأوّل هو أن تتابع دراستَك الجامعيّة وتحصل على الشهادة، ثمّ تطبّق إحدى الاستراتيجيّات الثلاث المذكورة في هذه الخطوة، أمّا الثاني فهو أن تتركَ الجامعة وتلتحقَ بجامعة أخرى في التخصُّص الجديد.

قرار بقائك في الجامعة من عدمه يعتمد على عوامل كثيرة، منها مثلًا عدد السنوات التي درستها، ومدى نجاحك /معاناتك في التخصُّص الذي ستتركه، ومدى قدرتك ومتعتك في التخصُّص الجديد، وأحوالك المادّيّة التي ستمكّنك من دراسة التخصُّص البديل، وأحوالك الاجتماعيّة، وغيرها.

١) هذا الكتاب باللغة العربيّة من منشورات جبل عمّان ناشرون، وعنوانه بالإنكليزيّة هو "Business Model You" للاطّلاع عليه يُرجى زيارة الرابط التالي: https://goo.gl/a34GQh (الناشر).

الخطوة الثالثة: ابنِ المعرفة والمهارة في التخصُّص البديل

عليك في هذه الخطوة أن تبنيَ خُطَّةَ الهروب التي تشتملُ على خُطَّة التعلم، ثمَّ العمل الانتقاليّ الذي سيمكّنك من تطبيق خُطَّة التعلُّم.

١. خُطَّةُ التعلُّم

حدِّد الطرق التي ستتَّبعها للحصول على المعرفة والمهارة في تخصُّصك الجديد. فعليك أن تعرفَ الشهادات التي عليك الحصول عليها، والدورات التي عليك حضورها، والكتب التي عليك قراءتها. كما ينبغي أن تعرفَ إن كانت هناك طرقٌ أخرى للحصول على تلك المعرفة، وعليك أن تضعَ هذه الطُّرقَ في الحِسبان.

هذا هو جانب المعرفة، أمَّا جانب المهارة، فعليك أن تعرفَ أين ستصقل مهارتك، وأين ستتدرَّب، وإنْ كنتَ ستعمل في مكان ما بدوام جزئيٍّ لتبدأ بصقل موهبتك وتتدرَّب. ومن المفيد أيضًا أن تعرفَ الشركات التي ستوافق على عملك لديها بدوام جزئيٍّ كي تتدرَّبَ هناك. كما أنَّك قد تتطوَّعُ للعمل في شركةٍ ما أو في مؤسَّسة خيريَّة.

عند تغيير التخصُّص في أثناء الدراسة، لن تُضطرَّ عادة إلى العمل والدراسة في الوقت نفسه. وبذلك لن تحتاج إلى باقي هذه الخطوة. أمَّا في حال تغيير التخصُّص بعد التخرُّج، فسيكون لديك الكثير من الالتزامات كالمصاريف والأسرة، بحيث لا يمكن تركها والتفرغ للدراسة، لذا لا بدَّ من العمل بصورةٍ انتقاليٍّ.

٢. العمل الانتقاليّ

لن يكون تغيير التخصُّص بعد التخرُّج أمرًا سهلًا؛ حيث إنَّ من الصعب عادة ترك التخصُّص القديم والذهاب للعمل مباشرةً في التخصُّص البديل (إنْ كان ذلك ممكنًا، فتهانينا لك!) لذلك ستجد نفسَك مُضطرًّا إلى العمل بصورةٍ انتقاليَّة في ما تعرفه، وهو عادةً ما يكون تخصُّصك القديم (أجل! القديم الذي تكرهه!).

عليك أن تختارَ العملَ الانتقاليَّ بعناية، حيث يجب أن يوفِّرَ لك هذا العمل ما يلي:

أولًا: المال الكافي

يجب أن يوفِّر لك العمل المال الكافي لتعيشَ عيشةً كريمةً مع أسرتك، ويكفيك لتنفقَ منه على دراستك وتدريبك وكلِّ ما تحتاج إليه كي تتمكَّن من تطبيق خُطَّة التعلُّم.

ثانيًا: الوقت الكافي

يجب أن يعطيَك العملُ الوقتَ الكافيَ الذي تحتاج إليه لتتعلَّم وتصقل موهبتك في تخصُّصك البديل. فعليك أن تبحث عن عمل بدوام ثماني ساعات على الأكثر. أمَّا الدوام الطويل؛ أو العمل الذي يتطلَّب وجودك الشخصيَّ ومتابعتك طَوال اليوم، فهو غير مناسب بتاتًا. كذلك لا يناسبك العمل الذي يتضمَّن دوامًا على فترتَين صباحيَّة ومسائيَّة؛ فرغم أنَّ مجموعَ ساعاتِه الكلِّيَّ سيكون ٨ ساعات، فإنَّه سيعطل يومك كلَّه. لذا من الصعب جدًّا أن تدرسَ في الوقت ما بين الدوامَين.

ثالثًا: السعةُ الذهنيَّة الكافية

لدينا قدرات ذهنيَّة محدودة؛ فدماغنا لا يتمكَّن من التفكير العميق واتِّخاذ القرارات إلَّا لمدَّة محدودة في اليوم. وإذا كان عملك الأساسيُّ يتطلَّب الكثير من التفكير والإبداع والدراسة، فلن تتمكَّنَ من التفكير والدراسة جيِّدًا في تخصُّصك الجديد. لذا عليك أن تبحثَ عن عمل لا يحتاج إلى الكثير من التفكير، مثل عمل تنطوي مهامُّه على الكثير من الروتين. أو ابحث عن عمل يمكنك تعلُّمه بسرعة ودخول مرحلة الروتين فيه بسرعة. وبذلك تعود إلى المنزل ولديك سعة ذهنيَّة كافية للتفكير والدراسة في التخصُّص الجديد.

وبعد أن تطبِّق هذه الخطوات، عليك أن تفكِّرَ مليًّا قبل أن تحدِّدَ توقيت لحظة الهروب من تخصُّصك القديم إلى التخصُّص الجديد. فيجب أن تتحقَّق من أنَّ قوَّتك في التخصُّص الجديد قويَّةٌ كفايةً لتمكِّنَك من العمل في المكان الذي ترغب فيه.

تحديدك لهذه اللحظة باكرًا قد يعني استقالتَك المبكِّرة من تخصُّصك القديم قبل تقوية عضلاتك بما يكفي في تخصُّصك الجديد، ممَّا سيتسبَّبُ في تعثُّرك في التخصُّص الجديد، وفقدان ثقتك بنفسك فيه، أو حتَّى فشلك.

لذلك تريَّث دومًا قبل أن تحدِّدَ موعد لحظة الهروب، ولا تُقبل عليها إلَّا عندما تكون قويًّا بالقدر الكافي لتنتقلَ إلى التخصُّص الجديد، وتجدَ فرصةَ عملٍ مناسبةً فيه.

مع تمنياتي لك بالتوفيق والسداد في خطوتك المقبلة؛ فلا قيمة لحياة تعيسة نعيشها في تخصُّص نكرهه، ونبقى مأسورين فيه.

لديك فرصة كبرى لتستمتع بعملك، وتعملَ في تخصُّص يناسب قدراتك، ويجلب إليك المتعة.

والقرار دائمًا هو بيدك أنت وحدَك.

شكر وعرفان

يستحيل إنجاز أيِّ عمل ضخم دون مساعدة الآخرين. وهذا الكتاب ليس استثناءً، حيث احتجتُ إلى مساعدة الكثيرين في أثناء كتابته للمساعدة في الأفكار والمراجعة وتجربة الطرق الموجودة فيه للتحقُّقِ من أنَّها عمليَّةٌ وقابلةٌ للتطبيق.

أخصُّ بالشُّكر هبة مروان داوود، التي قدَّمت الكثير من الأفكار الإبداعيَّة في أثناء التأليف، وساعدت في تناسق أفكار الكتاب. كما أودُّ أن أشكرَ الذين قرأوا النصَّ المبدئيَّ، وساهموا في بَلْوَرة الفكرة جيِّدًا، وأذكرُ منهم ياسمين شربجي، وبشر سليمة، ورغد السباعي، وسعاد جقميري.

وأحبُّ أن أشكرَ أيضًا الذين ساهَموا في تدقيق النصِّ والمساعدة في صياغته، ومنهم شذا شقفة، وسارة الحسن، والمهنَّد السبيعي، وأحمد جانودي وفداء عويسات. وأخصُّ كذلك بالشُّكر عبير جقميري التي ساعدت في العديد من أفكار الرواية، كما رسمت فلتر التخصُّصات بصورةٍ رائعة.

لم أكن أفكِّر يومًا في تأليف كتاب عن اختيار التخصُّص أو تغييره، لذا أرى من الواجبِ أن أتقدَّمَ بالشكر إلى أنس عبدالرازق، حيث كان أوَّلَ مَن زرعَ هذه الفكرة في رأسي، فيبدو أنَّ الشتلةَ غُرِسَتْ جيِّدًا.

أودُّ كذلك أن أشكرَ الأستاذَ أسامة صالح الذي لم يساعدْني بتاتًا في صياغةِ الرواية، لكنَّه ساهمَ في اكتمالِ الأحداثِ الحقيقيَّةِ لي بعد أن تركتُ تخصُّصي القديم. وأتمنَّى أن

يصادفَ كلُّ مَن يغيِّرُ تخصُّصه شخصًا مثل أسامة صالح كما صادفتُه أنا.

وأشكر أيضًا دار النشر جبل عمّان ناشرون وفريقهم الرائع الذي آمن بفكرة الكتاب وساعَدَ على اكتماله.

وفي النهاية أشكرُ كلَّ مَن ساعدَني في أن يرى هذا الكتابُ النورَ، وأستميحُه عذرًا لأنّي لم أتذكّر إضافةَ اسمِه هنا.

المراجع

1. Career Choice and Development - Duane Brown - 2002
2. Career Development and Counseling Putting Theory and Research to Work - Steven D Brown and Robert W Lent - 2012
3. Change Careers Successfully: How to Make a Job Switch Work for You - A. & C. Black- 2008.
4. Decisive: How to Make Better Choices in Life and Work - Chip Heath and Dan Heath - 2013.
5. Finding Flow: The Psychology of Engagement with Everyday Life - Mihaly Csikszentmihalyi's - 1998.
6. Finding Your Element: How to Discover Your Talents and Passions and Transform Your Life - 2014 - Ken Robinson and Lou Aronica.
7. Flow: The Psychology of Optimal Experience - Mihaly Csikszentmihalyi's - 2008.
8. Go Put Your Strengths to Work: 6 Powerful Steps to Achieve Outstanding Performance - Marcus Buckingham - 2010.
9. http://www.onetonline.org
10. Mastery - Robert Green - 2013.
11. Now, Discover Your Strengths - Marcus Buckingham - 2001.
12. Quitter: Closing the Gap Between Your Day Job & Your Dream Job - Jon Acuff - 2015.
13. So Good They Can't Ignore You: Why Skills Trump Passion in the Quest for Work You Love - Cal Newport - 2012.
14. StrengthsFinder 2.0 - Tom Rath - 2007.
15. The Element: How Finding Your Passion Changes Everything - 2009 - Ken Robinson and Lou Aronica.
16. What Color Is Your Parachute? 2016: A Practical Manual for Job-Hunters and Career-Changers - Richard N. Bolles - 2015.

١٧. "نموذج عملك الشخصيّ"، تيم كلارك وألكسندر أوسترفالدر، منشوات جبل عمّان ناشرون- ٢٠١٧م.